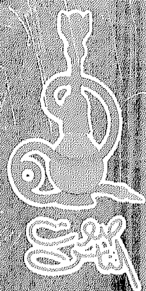
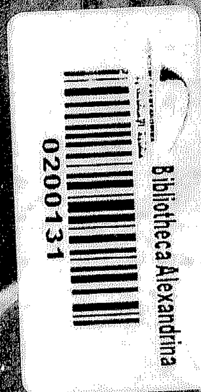
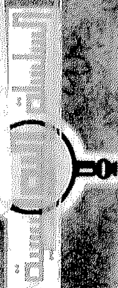
داشيل هاميت

المفتاح الزجاجي







المِفتاحُ الزَّجاجيّ

داشيل هاميت

المفتاح الزجاجي

سام سبايد

ش، ٥٥١٠٨

السلسلة البوليسية



THE GLASS KEY

by

DASHIELL HAMMETT

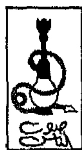
ترجمة

سميّة فلّو عبود

ARABIC EDITION 1994
© SAWT AL-NAS
P.O.Box:7038 - Limassol
CYPRUS
P.O.Box:113/5796 -Beirut
LEBANON

ISBN 1-85513-227-3

جميع الحقوق العربية محفوظة



الطبعة الأولى، كانون الثاني/يناير ١٩٩٤
الغلاف، تصميم رملة شماعة
رسوم شيفورن كوريفان

المحتويات

- ١ -

جثة في شارع الصين

واحد

تدحرج مكعبا النرد الأخضران على الطاولة الخضراء، ارتطما بحافتها وارتدّا إلى الوراء. توقف أحد المكعّبات وبرزت على الجزء الأعلى منه ست نقاط بيضاء موزّعة في صفّين متساويين ووصل المكعّب الثاني إلى وسط الطاولة واستقر بنقطة واحدة على سطحه الأعلى.

قال نيد بومونت متذمراً بهدوء: «أُف!» وجمع الرابحون النقود عن الطاولة.

حمل هاري سلوس مكعّبي النّرد وهزّهما بيده العريضة وقال: «سنبدأ الرهان». وألقى بورقة من فئة العشرين دولاراً وأخرى من فئة خمسة دولارات على الطاولة.

تراجع نيد بومونت قليلاً وقال: «لا تدعوا هذه اللعبة تفوتكم، سأحاول أن أحصل على مبلغ إضافي». اجتاز صالة

البليارد ووصل إلى الباب حيث التقى ب والتر ايفانز الذي كان يهمّ بالدخول.

قال له: «مرحباً يا والت»، وأراد ان يتابع سيره لكن والتر وضع يده على كتفه والتفت ليواجهه.

قال ايفانز واللّعاب يتطاير من فمه: هَـ ـ هل تـ ـ تكلمت مع بـ ـ بول؟».

ـ سأصعد لعنده الآن». التمعت عينا إيفانز الزرقاوان في وجهه الأشقر المستدير، لكن نيد بومونت الذي لم يكن متفائلاً جداً أضاف: «لا تنتظر الكثير. حاول ان تصبر قليلاً».

ارتعش ذقن ايفانز وهو يقول: «لـ ـ لكنها ستلد طـ ـ طفلها في الشهر القادم».

بدت الدهشة في عيني نيد بومونت السوداوين. حرك ذراعه ليحرّرها من قبضة الرجل القصير وابتعد عنه قليلاً. سرت رعشة في شاربه الأسود وقال: «ليس الوقت ملائماً يا والت، و... حسناً... ستوفّر على نفسك الشعور بالخيبة إذا اقتنعت بأن لا تطلب الكثير قبل شهر تشرين الثاني». وصارت عيناه ضيّقتين ومترقّبتين ثانية.

ـ «لـ ـ لكن لو تـ ـ تقول له...».

ـ «سأبذل جهدي لإقناعه وكن على يقين انه سيبذل جهده، لكنه الآن يمر في فترة حرجة». ثم حرك كتفيه وبدا وجهه كئيباً وظلّت في عينيه تلك النظرة المترقبة.

بلّل ايفانز شفتيه وغمز بعينيه مرات عديدة. ثم تنفّس بعمق ووضع يديه على صدر نيد بومونت وقال له متوسّلاً بالحاح: «إ ـ إصعد الآن، سـ ـ سأنتظرك هـ ـ هنا».

إثنان

صعد نيد بومونت السلّم وهو يشعل سيجاراً نحيلاً أخضر. وصل إلى الطابق الثاني حيث عُلّقت صورة كبيرة لحاكم الولاية، وتوجه إلى الجهة الأمامية من المبنى وطرق الباب الخشبي الكبير الذي كان يسدّ الممر.

سمع صوت بول مادفيغ يقول له: «تفضّل».

فتح الباب ودخل.

كان بول مادفيغ وحده في الغرفة يقف قرب النافذة، ويداه في جيبي بنطلونه، وهو يدير ظهره إلى الباب وينظر من خلال الشريط إلى شارع الصين المعتم.

استدار ببطء وقال: «آه، أهلاً بك». كان رجلاً في الخامسة والأربعين، طويلاً مثل نيد بومونت، لكنه يفوقه في الوزن بحوالى أربعين باونداً، ولا أثر للرقّة في ملامحه. شعره أشقر مفروق في وسطه ومصفّف بعناية؛ كان وسيماً، متورّد الخدين، عنيف النظرة. يختار ملابسه من نوعية جيدة ويبدو أنيقاً.

أغلق نيد بومونت الباب وقال: «إقرضني بعض المال».

تناول مادفيغ من جيب سترته الداخلي محفظة كبيرة بنية اللون وسأله: «كم تريد؟».

- «مائتين».

أعطاه مادفيغ ورقة من فئة المئة دولار وخمس ورقات من فئة العشرين وسأله: «كنت تلعب الكرابس؟».

وضع نيد بومونت الأوراق النقدية في جيبه وقال: «أجل، شكراً».

- «منذ فترة طويلة لم تربح، أليس كذلك؟» وأعاد مادفيغ يديه إلى جيبيّ بنطلونه.

- «ليست فترة طويلة - منذ حوالى شهر أو ستة أسابيع».

وابتسم مادفيغ وقال: «هذه فترة طويلة للخسارة».

- «ليست بالنسبة لي». وبدت في صوته نبرة خانقة من التوتّر.

حرّك مادفيغ بعض القطع النقدية المعدنية في جيبه وقال: «هل اللعبة جيدة الليلة؟» وجلس على حافّة الطاولة وأخذ ينظر إلى حذائه البنّي اللمّاع.

نظر نيد بومونت بدقّة إلى الرجل الأشقر، ثم هزّ رأسه وقال: «لا بأس». ومشى نحو النافذة. فوق الأبنية في الجهة المقابلة من الشارع كانت السماء مظلمة وتنذر بالمطر. وقف

خلف «مادفيغ» وتناول سمّاعة الهاتف، وطلب رقماً وقال: «آلو، بيرني. نيد يتكلم. ما هو الرهان على بيغي أوتول؟....».

ـ «هل هذا كل شيء؟...».

ـ «حسناً، اشتر لي خمسمائة من كل صنف... بالتأكيد... إنني أراهن ان السماء ستمطر وإذا حصل ذلك فإن بيغي ستغلب «إنسينراتيور»... حسناً، أعطني إذاً سعراً أفضل... حسناً». ووضع السماعة واستدار ليواجه مادفيغ ثانية.

سأله مادفيغ: «ولماذا لا تقلع لفترة عن اللعب حين تمر في مرحلة من الحظ السيىء؟».

قطّب جبينه وقال: «ليس هذا التصرف سليماً، إنه يزيد في طول الفترة السيئة. كان يجدر بي أن أراهن بمبلغ الألف وخمسمائة على الحصان بدلاً من تبديده على الطاولة. قد أقبل العقاب الذي تقترحه وأضع حداً لهذه اللعبة».

ضحك مادفيغ ضحكة خافتة ورفع رأسه ليقول: «إذا استطعت تحمّل تلك المشقة».

شُدّ نيد بومونت على طرفيْ فمه، وقال وهو يتقدم نحو الباب: «إنني قادر على احتمال ما يجب عليَّ احتماله».

وضع يده على قبضة الباب، قال له مادفيغ بنبرة صادقة: «أنا واثق من ذلك، يا نيد».

استدار نيد بومونت وسأله باضطراب: «ممّ أنت واثق؟».

حوّل مادفيغ نظره إلى النافذة وقال: من قدرتك على الاحتمال».

تأمل نيد بومونت وجه مادفيغ. كان الرجل الأشقر قلقاً ويحرّك القطع النقدية المعدنية في جيبي بنطلونه. سأله نيد بومونت حائراً: «من؟».

توردت وجنتا مادفيغ، ثم وقف وخطا نحو نيد بومونت وقال له: «إذهب إلى الجحيم».

ضحك نيد بومونت.

ابتسم مادفيغ بارتباك ومسح وجهه بمنديل له إطار أخضر، وسأله: «لماذا لم تحضر إلى البيت؟ أمي قالت البارحة انها لم تقابلك منذ شهر».

ـ قد أزوركم في إحدى أمسيات هذا الاسبوع».

ـ «يجب ان تفعل ذلك. أنت تعرف مقدار محبّة أمي لك. تعال لتتناول العشاء معنا».

وضع مادفيغ منديله في جيبه. تقدم نيد بومونت ثانية نحو الباب، ببطء هذه المرة وهو يراقب الرجل الأشقر بطرف عينه. وضع يده على مسكة الباب وسأله: «ألهذا السبب أرسلت في طلبي؟».

قطّب مادفيغ جبينه وقال: «أجل، أعني...» وسعل قليلاً ليجلو صوته ثم أضاف: «آه . آه . هناك أمر آخر». وزال

حياؤه فجأة ليستعيد هدوءه وثقته بنفسه ويقول: «أنت تعرف هذه الأمور أفضل مني. عيد ميلاد الآنسة «هنري» يوم الخميس. ماذا تقترح عليَّ ان أقدّم لها؟».

ترك نيد بومونت مسكة الباب. وحين التفت ليواجه مادفيغ لم يعد في عينيه تلك النظرة المستغربة. نفث دخان سيجاره وسأله: «سيقيمون لها حفلة، أليس كذلك؟».

ـ «أجل».

ـ «وأنت مدعوّ؟».

هزّ مادفيغ رأسه وقال:

ـ «لا، لكنني مدعوّ للعشاء مساء الغد».

نظر نيد بومونت إلى السيجار الذي يحمله. ثم رفع عينيه نحو وجه مادفيغ ثانية وسأله: «هل ستدعم السيناتور يا بول؟».

ـ «أعتقد ذلك».

ابتسم نيد بومونت ببرود وسأله: «لماذا؟».

ابتسم مادفيغ بدوره وقال:

ـ «لأنه بمساعدتنا سوف يهزم رون هزيمة كاسحة وسنتمكن من اجتياح اللائحة كلها كأن أحداً لم يترشّح ضدّنا».

وضع نيد بومونت السيجار في فمه وسأله بلطف أيضاً: «بدونك أنت كمساعد له، هل يستطيع السيناتور الفوز هذه المرة؟».

رد مادفيغ بهدوء: «لا مجال لذلك».

سأله نيد بومونت بعد فترة صمت لم تطل: «وهل يعرف هو ذلك؟».

ـ «أعتقد انه يعرف ذلك أكثر من أي انسان آخر. وإلاّ... ولكن ما بك أنت؟».

ضحك نيد بومونت بسخرية وقال: «وإلاّ ما كنت ستتناول العشاء هناك مساء الغد».

عبس مادفيغ وسأله ثانية: «ما الذي جرى لك؟».

تناول نيد بومونت السيجار من فمه، وبدا طرفه متآكلاً من شدة العضّ عليه. قال: «لم يحدث لي شيء، وبجدية أكثر سأله: «هل تعتقد ان سائر اللائحة بحاجة إلى دعمه؟».

أجاب مادفيغ بدون اهتمام: «ليست هناك لائحة لا تحتاج باستمرار للمزيد من الدعم. لكننا نستطيع بدون مساعدته الوصول إلى نتيجة جيدة».

ـ «هل وعدته بشيء حتى الآن؟».

شدّ مادفيغ على شفتيه وقال: «لقد سوّينا الأمر».

أخفض نيد بومونت رأسه، ثم رفع حاجبيه لينظر إلى الرجل الأشقر بوجه شاحب ويقول له بصوت أجش: «دعْه ينهزم يا بول. دعْه يغرق».

وضع مادفيغ يديه على خصره وقال بهدوء وبنبرة لا تخلو من الشكّ: «لم أعد أفهم ما بالك!».

تقدم نيد بومونت نحو مادفيغ يسحق بأنامل مرتعشة طرف سيجاره المشتعل في الوعاء النحاسيّ على الطاولة. حدّق فيه مادفيغ حتى رفع يده واستدار، ثم ابتسم له بمودّة وسأله عاتباً بشيء من الغضب:

ـ «ما الذي يحدث لك يا نيد؟ تكون عادياً لفترة طويلة ثم بدون سبب تتغيّر فجأة. إنني أعترف لك بأنني عجزت عن فهم تصرفاتك!».

قال نيد بومونت وهو يكشّر باشمئزاز:

ـ حسناً، دعنا من ذلك الآن».

ورجع مباشرة إلى هجومه بسؤال يميل إلى الشك:

ـ «هل تعتقد انه سيتعاون معك بعد نجاحه للمرة الثانية؟».

قال مادفيغ بدون قلق:

ـ «أعرف كيف أتصرّف معه».

ـ «ربما، لكن لا تنس انه لم يترك حتى الآن أي شيء يهزمه».

أحنى مادفيغ رأسه موافقاً وقال: «بالتأكيد، وهذا أحد الأسباب التي تدفعني لخوض المعركة إلى جانبه».

قال نيد بومونت بإخلاص:

ـ «لا، يا بول، هذا غير صحيح. هذا وضع سيىء، يجب ان تفكر انه قد يطالك أنت. إلى أي مدى استطاعت ابنته الشقراء المدلّلة ان تؤثر عليك؟».

قال مادفيغ: «سوف أتزوجها».

زم نيد بومونت شفتيه كأنه يريد ان يصفّر لكنه لم يصفّر، وسأله:

ـ «هل هذا جزء من الاتفاق؟».

أجاب مادفيغ بابتسامة صبيانية: «لا أحد يعرف ذلك، إلاّ أنت وأنا».

بدأت وجنتا نيد بومونت النحيلتان تتوردان وابتسم بمحبّة صادقة وقال:

ـ «تستطيع ان تثق بأنني لن أبوح بالسرّ لأحد، وسأقدم لك نصيحة. إذا كانت هذه رغبتك أطلب إليه ان يكتب هذا الاتفاق ويقسم على تنفيذه أمام كاتب عدل وأن يقدم لك كفالة، والأفضل من ذلك ان يتمّ الزفاف قبل موعد الانتخاب. ففي هذه الحال فقط تضمن حصتك، أليس كذلك؟».

حرك مادفيغ قدميه، وتحاشى نظرة نيد بومونت وهو يقول:

ـ «لا أفهم ما الذي يجعلك تتحدث عن السيناتور وكأنه لصّ انه رجل جنتلمان و...».

ـ «بالتأكيد. اقرأ عنه في جريدة «البوست»، انه أحد الارستقراطيين القلائل الذين يمارسون العمل السياسي في أميركا. وابنته ارستقراطية أيضاً. ولهذا السبب أحذرك وأنصحك بأن تخيط قميصك جيداً قبل زيارتهم، وإلاّ فإنك ستخرج من عندهم بدونه، لأنك بالنسبة لهم تنتمي إلى مستوى أدنى وقوانين السلوك الاجتماعي الراقي لا تنطبق على أمثالك!».

تنهد مادفيغ وقال: «أف، يا نيد لا تكن مزعجاً إلى هذا الحدّ...».

قاطعه نيد بومونت وقد تذكر أمراً فالتمعت عيناه بالمكر وهو يقول:

ـ «ويجب ان لا ننسى ان الشاب تايلور هنري هو ارستقراطي أيضاً، ويبدو انك لهذا السبب منعت أوبال من الخروج معه. كيف ستتدبر الأمر حين تتزوج أنت أخته ويصبح قريباً من ابنتك؟ هل ستسمح له عندئذٍ بالتقرب منها؟».

تنهد مادفيغ وقال:

ـ «لقد أسأت فهمي يا نيد. أنا لم أسألك رأيك في كل هذا. لقد سألتك فقط عن نوع الهدية المناسبة لكي أقدمها للآنسة هنري».

فقدت ملامح نيد بومونت حيويتها وغطتها مسحة من الكآبة.

- «إلى أي حدّ وصلت علاقتك بها؟».

سأله بصوت لا يكشف عن حقيقة أفكاره.

- «إلى لا شيء. زرتهم عدة مرات من أجل التحدث مع السيناتور. كنت أراها أحياناً وأكتفي بالتسليم أو بتبادل حديث عادي في حضور أشخاص آخرين. لم تسنح لي الفرصة بعد بالتحدث إليها على انفراد».

بدا المرح في عيني نيد بومونت لفترة قصيرة ثم اختفى. مسّ طرف شاربه بظفر إبهامه، وسأله:

- «هل ستتناول غداً العشاء للمرة الأولى عندهم؟».

- «أجل، مع انني لا أتوقّع ان تكون الأخيرة».

- «ولم تتلق دعوة لحضور حفلة عيد الميلاد؟».

- «لا ... وتردّد قليلاً ثم أضاف، لم أتلقّ دعوة بعد.».

- «لن يعجبك جوابي إذاً».

سأله مادفيغ بهدوء:

- «وما هو جوابك؟»

- «لا تقدم لها شيئاً».

- «أف، لعنة الله عليك يا نيد!».

هزّ نيد بومونت كتفيه بلا مبالاة وقال:

ـ تصرّف كما يحلو لك. أنت طلبت رأيي».

ـ «لكن لماذا؟».

ـ «ليس من المفروض ان تقدم لأي شخص شيئاً إلاّ إذا كنت متأكداً انه سيقبله منك».

ـ «لكن أي انسان يجب ان...».

ـ «ربما، لكن الأمر أعمق من ذلك. حين تقدم شيئاً لشخص كأنك تقول بصوت عال تعرف بأنه يحبّك ان تقدّم له...».

قال مادفيغ: «فهمت قصدك». ثم فرك خدّه بأصابع يده اليمنى وعبس وقال: «أعتقد انك على حق». ثم ارتاحت أساريره وأضاف: «لكنني أكون غبياً لو تركت هذه الفرصة».

قال نيد بومونت بسرعة:

ـ «حسناً، قدّم لها باقة من الزهور إذاً، أو أي شيء من هذا القبيل، هذا لائق جداً».

ـ «زهور؟ يا الهي، كنت أفكّر في...».

ـ «بالتأكيد، كنت تفكر في تقديم سيارة مكشوفة أو عقد طويل من اللآلىء، سوف تسنح لك الفرصة لذلك فيما بعد. إبدأ صغيراً وستكبر تدريجياً».

مال مادفيغ بوجهه باستياء وقال:

ـ «أعتقد انك على حق يا نيد. أنت تعرف في هذه الأمور أكثر مني. سأهديها باقة من الزهور».

ـ «ولا داعي لأن تكون باقة كبيرة». وأضاف بالوتيرة نفسها: «والت ايفانز أخبر الجميع انك يجب ان تساعد على إطلاق سراح أخيه».

شد مادفيغ بطرف سترته إلى الأسفل وقال:

ـ «فليخبره الجميع ان أخاه تيم سوف يظل سجيناً إلى ما بعد الانتخابات».

ـ «سوف تتركه يقف في قفص الاتهام؟».

ـ «أجل» أجابه مادفيغ وتابع بحماس أكثر: «أنت تعرف جيداً ان الأمر ليس بيدي يا نيد. الجميع مهتمّون بموضوع الانتخابات، والجمعيات النسائية في حالة غضب شديد، لذلك فإن أية محاولة لتسوية قضية تيم الآن تبدو مخاطرة كبيرة».

ابتسم نيد بومونت ابتسامة عريضة وأخذ يتشدّق في الكلام حين قال: «لم نكن نهتم كثيراً بالجمعيات النسائية قبل انضمامنا للطبقة الأرستقراطية».

رد مادفيغ بنظرة مبهمة: «لكننا نهتم بها الآن».

قال نيد بومونت: «سوف تضع زوجة تيم مولودها في الشهر القادم».

تنفّس مادفيغ بصوت مسموع كأنه فقد صبره وقال متضايقاً:

«هكذا يزداد الأمر صعوبة. لماذا لا يفكرون بهذه الأمور قبل التورط في المشاكل؟ لا أحد منهم عنده عقل يفكر به».

ـ «عنده حق التصويت في الانتخابات».

ردّ بصوت كالهدير: «هذه هي المصيبة».

تأمل أرض الغرفة قليلاً ثم رفع رأسه وأضاف: «سوف نتدبر أمره بعد إحصاء الأصوات، لكننا لن نفعل شيئاً قبل ذلك».

نظر نيد بومونت بشكل منحرف إلى الرجل الأشقر وقال:

ـ «ليس هذا الموقف سليماً بالنسبة لأحد رجالنا، بعقول أو بدون عقول، لقد اعتادوا ان تعتني بهم».

شدّ مادفيغ قليلاً على ذقنه. عيناه المستديرتان والزرقاوان كانتا تحدّقان بنيد بومونت، وبصوت هادىء سأله: «وماذا سيحدث برأيك؟

ابتسم نيد بومونت وقال كأنه يقدم تقريراً واقعياً:

ـ «أنت تعرف ان مثل هذه التصرّفات تجعلهم يقولون ان الصدمة كانت مختلفة في الماضي قبل تقرّبك من السيناتور».

ـ «والمقصود؟».

تابع نيد بومونت حديثه دون ان يغيّر في نبرة صوته أو ابتسامته، وقال:

- «أنت تعرف ان الرجال بناء على ذلك سيقولون ان شاد أوروركي لا يزال يهتم بشؤون رجاله».

كان مادفيغ يستمع إليه بانتباه شديد، ثم قال بهدوء مقصود:

- «أعرف جيداً انك لن تبدأ معهم حديثاً كهذا يا نيد، وأعرف أيضاً انني أستطيع ان أعتمد عليك في ان تفعل ما بوسعك لكي تضع حداً لأي حديث من هذا القبيل حين تسمعه».

ساد الصمت بينهما فترة، وكلاهما ينظر مباشرة إلى الآخر، وبدون ان تتغيّر ملامحهما. كسر نيد بومونت الصمت وقال:

- «قد يكون من الأفضل ان نشمل زوجة تيم وطفلها برعايتنا».

بدا الارتياح على مادفيغ وقال:

- «هذه فكرة جيدة. تولّ أنت تنفيذها، قدم لهما كل ما يحتاجان إليه».

ثلاثة

كان والتر إيفانز ينتظر نيد بومونت عند أسفل السلم وعيناه تلتمعان ببارق الأمل.

- «و ـ ماذا قـ ـ ال؟».

- «كما قلت لك: لا يستطيع شيئاً الآن. بعد الانتخابات سيفعل اللازم لإطلاق سراح تيم، لكن لا مجال لأي تحرّك قبل ذلك».

أحنى والتر إيفانز رأسه وأصدر صوتاً خافتاً يعبر عن خيبة أمله.

وضع نيد بومونت يده على كتف الرجل القصير وقال له:

- «إنها مسألة صعبة ولا أحد يعرف ذلك أفضل من بول، وحتى هو لا يستطيع شيئاً الآن. إنه يريدك ان تطلب إليها ان لا تدفع أية فاتورة وترسلها إليه فواتير الإيجار والبقّال والطبيب والمستشفى».

رفع والتر إيفانز رأسه وشدّ بيديه على يد نيد بومونت وقال: و. والله هـ. هذا كرم منه!».

وترقرقت عيناه قليلاً وأضاف: «ل ـ لكنّني كنت أتمنى لو ي. يستطيع إ. اطلاق سراح تيم».

- «قد تتسنّى له الفرصة لذلك». وأضاف بعد تحرير يده من قبضته: «سوف ألقاك فيما بعد».

ومشى نحو باب غرفة البليارد.

كانت الغرفة خالية.

تناول قبعته ومعطفه وتوجه نحو الباب الرئيسي: خيوط

طويلة من مياه المطر بلون المحار كانت تجري في شارع الصين.
ابتسم وقال يخاطب المطر بصوت منخفض:

- «انهمري أيتها المياه الغزيرة، انهمري بغزارة لكي أحصل على ثلاثة آلاف ومائتين وخمسين دولاراً».

ثم وقف ينتظر سيارة تاكسي.

أربعة

رفع نيد بومونت يديه عن الرجل الميت ووقف.

كان رأس الرجل يميل قليلاً إلى اليسار، بعيداً عن الرصيف، ومصباح الشارع عند الزاوية كان يغمره بضوئه. إنه وجه شاب وملامح الغضب فيه ازدادت حدّة بسبب الخط الداكن الذي كان يقطع جبينه بشكل مائل من طرف شعره الأشقر المجعّد حتى حاجبه.

نظر نيد بومونت إلى الشارع في الاتجاهين. لم ير أحداً في الجهة الأعلى من الشارع. وعلى بعد مجموعتين من المباني إلى الأسفل، أمام نادي «لوغ كابين» كان رجلان ينزلان من سيارة. تركا السيارة متوقفة أمام النادي، في مواجهة نيد بومونت ودخلا إلى النادي.

حدّق قليلاً في السيارة المتوقفة، ثم أدار رأسه فجأة لينظر إلى الشارع وبسرعة جعلت الحركتين حركة واحدة التف وقفز إلى الرصيف ليختبىء خلف ظل أقرب شجرة. كان يتنفّس من

فمه ومع ان نقاط العرق بدأت ترطب يديه إلاّ انه أخذ يرتعش ورفع قبة معطفه إلى الأعلى.

ظلّ واقفاً خلف الشجرة واضعاً يده عليها نصف دقيقة. وعلى نحو مفاجىء بدأ يمشي في اتجاه النادي. تزايدت سرعة خطواته، وكان ظهره منحنياً إلى الأمام، حين رأى رجلاً عند الطرف المقابل من الشارع. خفّف سرعته في الحال وبدأ يمشي بشكل عادي. دخل الرجل إلى أحد البيوت قبل وصوله إلى نيد بومونت.

حين وصل نيد بومونت إلى باب النادي كان قد توقف عن التنفس من فمه. كانت شفتاه ذابلتين. ألقى نظرة على السيارة الفارغة ولم يتوقف بل صعد درجات سلم النادي المضاء بمصباحين، وفتح الباب ليدخل.

كان هاري سلوس ومعه رجل آخر يجتازان الردهة أمام حجرة إيداع القبعات والمعاطف. توقّفا قليلاً وقالا معا: «مرحباً يا نيد». وأضاف سلوس: «سمعت انك راهنت على بيغتي أوتول اليوم».

- «أجل».

- «بمبلغ كبير؟».

- «ثلاثة آلاف ومائتان».

مرّر سلوس لسانه على شفته السفلى وقال:

- هذا جيد. ستكون مستعداً للعب هذه الليلة إذاً».

- «في وقت متأخر، ربما هل بول موجود؟».

- «لا أعرف. لقد وصلنا منذ قليل (. لا تتأخر كثيراً: لقد وعدت الفتاة انني لن أتأخر في الرجوع إلى البيت الليلة».

قال نيد بومونت: «حسناً». وتوجه نحو غرفة الإيداع ليسأل الموظف هناك: إذا كان بول موجوداً.

- «أجل، وصل منذ حوالى عشر دقائق».

ألقى نيد بومونت نظرة على ساعته، كانت الساعة العاشرة والنصف. صعد إلى غرفة في الطابق الثاني. كان مادفيغ يرتدي بذلة رسمية ويجلس إلى طاولة ويده ممتدة إلى الهاتف حين دخل عليه نيد بومونت.

رفع مادفيغ يده وقال: «كيف حالك يا نيد؟» كان وجهه الوسيم متورّداً وهادئاً.

قال نيد بومونت وهو يغلق الباب خلفه:

- «عرفت لحظات أسوأ من هذه». ثم جلس على مقعد قريب من مادفيغ وقال:

- «كيف كان العشاء عند آل هنري؟».

برزت بعض التجاعيد عند طرفي عيني مادفيغ وقال:

- «عرفت لحظات أسوأ من هذه».

أخذ نيد بومونت ينزع طرف السيجار، ورعشة يديه كانت تتعارض مع نبرة الثبات في صوته حين قال:

ـ «هل كان تايلور هناك؟» ونظر إلى مادفيغ دون ان يرفع رأسه.

ـ «لكنه لم يشاركنا في العشاء. فلماذا؟».

مدّ نيد بومونت رجليه وأسند ظهره إلى مقعده وحرّك اليد التي تحمل السيجار في حركة دائرية وقال:

ـ «إنه ميت قرب بالوعة في الشارع».

ـ قال مادفيغ بهدوء.. صحيح؟

انحنى نيد بومونت إلى الأمام واشتدّت عضلات وجهه النحيل. أخذ يضغط على غلاف السيجار فتصاعد صوت طقطقة خفيفة.

سأل مادفيغ بعصبية:

ـ «هل فهمت ما قلته؟».

أحنى مادفيغ رأسه ببطء.

ـ «حسناً؟»

ـ «ماذا؟».

ـ «لقد قُتل».

قال مادفيغ: حسناً، هل تريدني أن أصاب بحالة هستيرية لأجل ذلك؟».

أسند نيد بومونت ظهره وسأله: «هل أتصل بالشرطة؟».

رفع مادفيغ حاجبيه قليلاً وقال: «ألا يعرفون بالحادثة؟».

نظر نيد بومونت إلى الرجل الأشقر مباشرة وأجابه:

- «لم يكن هناك أحد حين رأيته. فكّرت في مقابلتك قبل أي تصرّف أقوم به. هل يجدر بي أن أقول انني وجدته؟».

أخفض مادفيغ حاجبيه وقال: «ولـمَ لا؟».

وقف نيد بومونت وخطا خطوتين نحو التلفون ثم توقف، وواجه الرجل الأشقر ثانية وقال بإصرار وببطء: «قبعته لم تكن موجودة!».

قال مادفيغ عابساً:

- «إنه لن يحتاج إليها الآن. أنت غبي جداً يا نيد».

قال نيد بومونت وهو يمدّ يده إلى سمّاعة التلفون:

- «واحد منّا هو الغبيّ بالتأكيد».

خمسة

«تايلور هنري» مات مقتولاً

عُثر على جثة ابن السيناتور في شارع الصين.

«تايلور هنري»، ستة وعشرون عاماً، ابن السيناتور رالف بانكروفت هنري، يبدو انه تعرّض لحادثة سطو وقد عثر عليه مقتولاً في شارع الصين بالقرب من جادّة «باميلا» حوالى العاشرة ليلة البارحة.

أفاد الطبيب الشرعي «ويليام ج. هوبز» أن الشاب هنري مات بسبب تحطّم جمجمته واصابته بارتجاج في المخّ بعدما ارتطمت مؤخرة رأسه بحافة الرصيف بعد وقوعه إثر تعرّضه لضربة قاسية على جبينه بواسطة هراوة أو آلة حادة مشابهة.

كان نيد بومونت، أول شخص عثر على الجثة، وقد توجه إلى نادي «لوغ كايين» على بعد مجموعتين من المباني لكي يتصل بالشرطة؛ لكنه قبل ان يتمكن من التحدث إلى أحد في مركز الشرطة الرئيسي، كان شرطي الدورية مايكل سميث قد شاهد الجثة وأبلغ الجهات المختصة بالأمر.

قائد جهاز الشرطة فردريك م. رايني أمر في الحال بإلقاء القبض على جميع المشتبه بهم في المدينة وأصدر بياناً بأنه لن يوفّر جهداً قبل إلقاء القبض على المجرم أو على المجرمين وذلك في أسرع وقت ممكن. وقد أفاد بعض أفراد عائلة تايلور هنري، انه غادر المنزل في شارع «تشارلز» حوالى الساعة التاسعة والنصف...».

وضع نيد بومونت الصحيفة جانباً، ترشف قليلاً من القهوة المتبقية في فنجانه، ووضع الفنجان وصحنه على الطاولة قرب سريره، وأسند ظهره إلى المخدّة. كان وجهه متعباً وشاحباً. رفع الغطاء إلى رقبته ووضع يديه خلف رأسه وحدّق بعينين متضايقتين إلى الكليشيهات المعلّقة بين نوافذ غرفة نومه.

ظلّ مستلقياً حوالى نصف ساعة وهو لا يحرّك سوى عينيه. ثم تناول الصحيفة وقرأ نبأ الحادثة للمرة الثانية. صارت ملامحه تعبّر بوضوح عن استيائه. وضع الصحيفة جانباً ونهض ببطء

وبإرهاق وارتدى فوق البيجاما البيضاء كيموناً قصيراً بنياً وأسود، وانتعل خفاً بنياً، وسعل قليلاً وهو ينتقل إلى غرفة الجلوس.

كانت غرفة كبيرة قديمة الطراز، سقفها عالٍ ونوافذها عريضة، وفوق المدفأة مرآة ضخمة ويبرز اللون الأحمر في قماش الأثاث. أخذ سيجاراً من العلبة على الطاولة وجلس في مقعد أحمر وثير. ارتاحت قدماه في مساحة من ضوء شمس الصباح والدخان الذي يتصاعد من فمه كان يزداد امتلاء وهو يطفو في ضوء الشمس. حمل السيجار في يده وعبس وهو يقضم ظفره.

سمع طرقاً على الباب فتريث قليلاً وقال: «تفضّل» فدخل نادل يرتدي سترة بيضاء.

قال له نيد بومونت: «آه، لا بأس»، إرتاح ثانية وأسند ظهره إلى مقعده الأحمر.

اجتاز النادل الغرفة إلى غرفة النوم، وخرج منها وهو يحمل صينية عليها عدة أطباق. ألقى نيد الجزء المتبقي من السيجار في المدفأة وذهب إلى الحمام. بعد انتهائه من حلق ذقنه ومن الاستحمام، ارتدى ملابسه وكان الشحوب قد زال عن وجهه وشعر ببعض الارتياح.

ستة

قرابة الظهر غادر نيد بومونت شقته ومشى حوالى ثماني

مجموعات من المباني حتى وصل إلى مبنى رمادي باهت اللون في شارع لينك. ضغط على الجرس في الردهة ودخل إلى المبنى وصعد إلى الطابق السادس في مصعد أوتوماتيكي صغير.

ضغط على جرس باب يحمل الرقم ٦١١. فتحت الباب فتاة صغيرة بالكاد تجاوزت مرحلة المراهقة. كانت عينيها سوداوين وغاضبتين، ووجهها شاحب ما عدا محيط عينيها. قالت له: آه، أهلاً وابتسمت له ملوّحة بيدها كأنها تعتذر له عن غضبها. في صوتها نحول حادّ. كانت ترتدي معطفاً من الفرو البني، ولم تكن تضع قبعة.

شعرها القصير ـ الذي يكاد يكون أسود اللون ـ كان ينساب بنعومة ويتألق على رأسها المستدير. القرط الذهبي الذي يتدلّى من أذنيها كان مزيناً بالعقيق الأحمر. تراجعت قليلاً إلى الوراء لتفسح له المجال بالدخول.

دخل نيل بومونت وهو يسألها: «هل استيقظ بيرني؟».

اشتعل الغضب في وجهها ثانية. وقالت بصوت عال: «الوغد الحقير!».

أغلق نيد بومونت الباب خلفه دون ان يلتفت نحوها.

تقدمت منه الفتاة وأمسكت ذراعيه فوق مرفقيه وحاولت ان تهزّه وهي تخاطبه:

ـ «هل تعرف ماذا فعلت لأجل هذا الصعلوك؟ لقد تركت أسرة تحلم بها كل فتاة، وأماً وأباً كانا يعتقدان انني فتاة مثالية.

قالا لي بأنه لا يليق بي. الجميع قالوا لي ذلك وكانوا على حق، لكنني كنت غبية ولم أفهم. الآن صرت أعرفه جيداً...» وواصلت شتائمها البذيئة.

وقف نيد بومونت يستمع إليها باستياء، لم يعد في عينيه أثر للارتياح، فسألها حين توقفت قليلاً لتسترجع أنفاسها: «ماذا فعل؟».

ـ «ماذا فعل؟ لقد تركني، هذا...» واصلت شتائمها.

أجفل قليلاً وارتسمت على شفتيه ابتسامة ذابلة وسألها:

ـ «لا أظن انه ترك شيئاً لي؟».

شدّت الفتاة على أسنانها وقرّبت وجهها من وجهه، واتسعت حدقتاها وهي تسأله: «هل هو مدين لك بشيء؟».

سعل قليلاً وقال:

ـ «لقد ربحت ... أعتقد انني ربحت ثلاثة آلاف ومائتين وخمسين دولاراً في الشوط الرابع من سباق الخيل البارحة».

رفعت يديها عنه وأخذت تضحك بسخرية. مدّت يديها وقالت له:

ـ «جرّب ان تأخذها. انظر. في اصبعها الصغير في يدها اليسرى خاتم صغير، ورفعت يديها إلى القرط الذهبي وقالت: «هذا كل ما تركه لي من الحليّ، وما كان ليتركها لو لم أكن أرتديها».

سألها نيد بومونت في تجرّد غريب: «متى حدث ذلك؟».

- «ليلة البارحة، مع انني لم أكتشف الأمر حتى هذا الصباح، لكن لا تعتقد أنني لن أجعل هذا الوغد الحقير يتمنّى لو انه لم يكن يعرفني».

مدت يدها إلى جيب معطفها وتناولت مجموعة من الأوراق. فتحت يدها أمام نيد بومونت فرأى فيها ثلاث أوراق مطوية، حين مدّ يده ليأخذها، أغلقت يدها عليها ثانية وابتعدت عنه بحركة مفاجئة.

حرّك زاويتي فمه كأنه فقد صبره وترك يده تهبط إلى جنبه.

قالت بحماس: «هل قرأت صحيفة اليوم عن تايلور هنري؟».

ردّ نيد بومونت بهدوء: «أجل»، لكنه كان يتنفّس باضطراب شديد.

- «هل تعرف ما هذه الأوراق؟ ورفعت نحوه الأوراق ثانية.

هزّ نيد بومونت رأسه. عيناه كانتا ضيقتين، وبرّاقتين. قالت بنبرة من حقّق انتصاراً: هذه أوراق اعتراف بالدين من تايلور هنري. وهي بقيمة ألف ومائتي دولار.

أراد نيد بومونت ان يقول شيئاً، ثم انتبه وقال بصوت خلا من الحماس: «إنها لا تساوي شيئاً الآن بعد وفاته».

أعادت الأوراق إلى جيبها واقتربت منه وقالت:

- «اسمعني جيداً. انها في الأساس لم تكن تساوي شيئاً ولهذا السبب مات».

- «هل هذا مجرد تخمين؟».

- «اعتبره كما يحلو لك». لكن دعني أقل لك: «بيرني اتصل بتايلور يوم الجمعة الماضي وطلب إليه أن يعطيه ثلاثة أيام فقط ليسدّد قيمة الدين».

مرّر نيد بومونت ظفر إبهامه على طرف شاربه وسألها بحذر: «هذه ليست نوبة جنون، أليس كذلك؟».

بدا الغضب على وجهها وقالت: «بالطبع أنا مجنونة. إنني مجنونة بالقدر الكافي لكي أحمل هذه الأوراق إلى مركز الشرطة، وهذا ما أنوي فعله. وإذا كنت تعتقد ان ما أخبرتك به لم يحدث فعلاً فأنت مجنون».

كان لا يزال غير مقتنع حين سألها: «من أين حصلت عليها؟».

- «من الخزنة». وأومأت برأسها إلى داخل الشقّة.

سألها: «متى خرج ليلة البارحة؟».

- «لا أعرف. عدت إلى البيت حوالى التاسعة والنصف وأمضيت معظم الليل وأنا أنتظره. عند الصباح بدأت أشكّ في الأمر، واكتشفت انه حمل جميع النقود التي وجدها وكل المجوهرات عدا تلك التي ارتديها».

مرّر ظفره على شاربه ثانية وسألها: «إلى أين تعتقدين انه ذهب؟».

ضربت الأرض بقدمها وأخذت تهزّ يديها ثانية وتنهال بالشتائم على بيرني الهارب بصوت مرتعش من شدّة الغضب.

قال لها نيد بومونت: إهدئي قليلاً. وأمسك بمعصميها وهو يقول:

- «إذا كنت تنوين الاكتفاء بالصراخ أعطني هذه الأوراق وأنا سأتولى الأمر».

شدّت يديها من بين يديه وقالت بصوت عال:

- «لن أعطيك شيئاً. سأعطي الأوراق للشرطة وليس لأي شخص آخر».

- «حسناً، افعلي ذلك إذاً. إلى أين تعتقدين انه ذهب، يا لي؟».

قالت لي بمرارة انها لا تعرف ولكنها تعرف إلى أين تود ان تأخذه.

قال نيد بومونت متعباً: «ها نحن نعود ثانية. هذا الكلام لن يوصلنا إلى أية نتيجة. أتعتقدين انه سيذهب إلى نيويورك؟».

- «وكيف لي ان أعرف؟» وبدت عيناها يقظتين على نحو مفاجىء.

تورّدت وجنتا نيد بومونت من شدة إنزعاجه وسألها محتاراً: «ماذا تنوين ان تفعلي الآن؟».

قالت ببراءة: «لا شيء. ماذا تعني بسؤالك؟».

انحنى قليلاً صوبها، وقال لها بإصرار وهو يهز رأسه:

ـ «لا تقولي في سرك انك لن تأخذي هذه الأوراق إلى مركز الشرطة يا لي، لأنك سوف تفعلين ذلك رغماً عنك».

قالت: «بالطبع سأفعل ذلك».

سبعة

في الصيدلية التي تحتل جزءاً من الطابق الأرضي للمبنى استخدم نيد بومونت التلفون. اتصل بمركز الشرطة وطلب الملازم دولان وقال له: «آلو، الملازم دولان؟... انني أتحدث إليك باسم الآنسة لي ويلشاير. انها تقيم في شقة «بيرني ديسباين» في الرقم ١٦٦٦ من شارع «لينك». يبدو انه تركها فجأة ليلة البارحة تاركاً وراءه أوراقاً تحمل إقراراً بالدين عليها إمضاء تايلور هنري... هذا صحيح، وقد سمعته يهدده منذ بضعة أيام... أجل، وهي تريد مقابلتك في أسرع وقت ممكن... لا، من الأفضل ان تأتي بنفسك أو ترسل شخصاً من قبلك في أسرع وقت... أجل... ليس لهذا أهمية. أنت لا تعرفني، إنني أتحدث باسمها فقط لأنها لا تريد ان تتصل من

غرفتها...». استمع إلى محدّثه دقيقة أخرى، ثم، دون ان يقول شيئاً وضع السماعة وخرج من الصيدلية.

ثمانية

ذهب نيد بومونت إلى بيت بني من الآجرّ الأحمر يقع بين مجموعة من البيوت المتناسقة في القسم الأعلى من شارع «تايس». فتحت له الباب خادمة سوداء ابتسمت له ابتسامة عريضة وقالت مرحّبة بقدومه: «كيف حالك يا سيد بومونت؟».

قال نيد بومونت: «مرحباً يا جون. هل هناك أحد في البيت؟».

- «أجل، يا سيدي. انهم ما زالوا يتناولون طعام الغداء».

دخل إلى غرفة الطعام حيث كان بول مادفيغ يجلس مقابل والدته إلى طاولة يغطيها شرشف أبيض وأحمر. وأمام كرسيّ ثالث وشاغر وضع طبق نظيف وإلى جانبه الأدوات اللازمة.

كانت والدة بول مادفيغ سيدة طويلة ونحيلة وشعرها الأشقر لا يكسوه الشيب تماماً، مع انها في السبعين من عمرها. كانت عيناها زرقاوين وصافيتين وبرّاقتين مثل عينيّ ابنها . وبدت نظرتها أكثر حيوية من نظرة ابنها حين رأت نيد بومونت يدخل إلى الغرفة. لكن خطوط التجاعيد في جبينها ازدادت وضوحاً، وقالت:

- «ها أنت جئت أخيراً. أنت صبي عاق تهمل امرأة عجوزاً مثلي».

ابتسم لها نيد بومونت ابتسامة عريضة وقال:

- «يا أمي، صرت صبياً كبيراً وعندي عمل يشغلني». ثم لوّح بيده إلى مادفيغ وقال: «مرحباً يا بول».

قال مادفيغ: اجلس وسوف تحضر لك جون شيئاً تأكله».

كان نيد بومونت منحنياً ليقبّل يد السيدة مادفيغ الهزيلة، فسحبت يدها بسرعة وقالت تؤنبه: «أين تتعلّم هذه الحيل؟».

قال موجهاً كلامه إلى مادفيغ: «لقد قلت لك انني صرت كبيراً، شكراً لك، تناولت فطوري منذ قليل». نظر إلى الكرسي الشاغر وقال: «أين أوبال؟».

أجابته السيدة مادفيغ: «انها ترتاح في غرفتها. ليست على ما يُرام».

أحنى نيد بومونت رأسه وانتظر قليلاً، ثم سأل بتهذيب: «هل هي مريضة؟» وكان ينظر إلى مادفيغ.

هزّ رأسه وقال: «إنها مصابة بصداع أو شيء من هذا القبيل. أعتقد انها ترقص كثيراً».

قالت السيدة مادفيغ: «يبدو انك أب رائع لا تعرف متى تصاب ابنتك بالصداع».

بدت التجاعيد حول عيني مادفيغ حين قال: «أرجوك يا أمي

لا داعي للتحدث بهذه الأمور، والتفت صوب نيد بومونت يسأله: «ما آخر الأخبار؟».

استدار نيد بومونت خلف السيدة مادفيغ وجلس في المقعد الشاغر، وقال: «بيرني ديسباين هرب البارحة ومعه المبلغ الذي ربحته من المراهنة على بيغي أوتول.

انتبه الرجل الأشقر جيداً لكلامه.

تابع نيد بومونت يقول: «وترك وراءه إقراراً بالدين بإمضاء تايلور هنري بقيمة ألف ومائتي دولار».

ازداد انتباه الرجل الأشقر.

قال نيد بومونت: «تقول لي انه اتصل بتايلور مساء الجمعة وأعطاه مهلة ثلاثة أيام لتحصيل المبلغ».

لامس مادفيغ ذقنه بيده وسأله: «ومن هي لي؟».

ـ «انها صديقة بيرني».

ـ «آه»، وسكت نيد بومونت فسأله مادفيغ:

ـ «وماذا قال انه سيفعل في حال عدم حضور تايلور؟».

ـ «لا أعرف». ثم وضع نيد بومونت ذراعه على الطاولة وانحنى إلى الأمام صوب الرجل الأشقر وتابع يقول: «أرجو ان تجعلني مساعد شريف أو مسؤولا من هذا القبيل، يا بول».

ـ «يا الهي!»، وأضاف باستغراب: «ولماذا تريد منصباً كهذا؟».

- «ستصبح الأمور أكثر سهولة بالنسبة لي. انني عازم على ملاحقة هذا الرجل وإذا كنت في منصب رسمي فهذا يشكل لي حماية من الوقوع في المشاكل».

حدّق فيه مادفيغ بعينين قلقتين وسأله متمهلاً: «ما الذي أثارك إلى هذه الدرجة؟».

- «ألف ومائتان وخمسون دولاراً».

- «لا بأس» وتابع يقول ببطء: «لكنّ هناك أمراً كان يزعجك البارحة قبل ان تعرف انك ضحية خدعة».

حرّك نيد بومونت ذراعه بنفاد صبر وقال:

- «هل تتوقع مني ان أتعثر بالجثث دون ان أتأثر؟» ثم تابع: «لكن دعنا من ذلك، لم يعد له أهمية الآن. يجب ان أصل إلى هذا الرجل. يجب ان أصل إليه».

كان وجهه شاحباً وحاداً وفي صوته نبرة من الإصرار العنيد. «اسمع يا بول ليس هذا بسبب المال فقط، مع ان المبلغ كبير، لكن ردة فعلي لن تتغير حتى لو كان المبلغ خمسة دولارات فقط. منذ شهرين لم أربح أي رهان وهذا يضايقني. ما قيمتي لو انني فقدت حظي الجيد؟ ثم أعرف انني ربحت، وأشعر انني عدت ثانية إلى ما كنت عليه. أستطيع ان أستجمع قواي ثانية وأشعر انني انسان مهم لا يتدافعه الآخرون. المال له أهمية، لكنه ليس الدافع الحقيقي. إنها الخسارة تلو الخسارة وما يتركه ذلك في نفسي من أثر. هل

تستطيع ان تفهم ذلك؟ انه الشعور بالتفاهة. وحين أعرف انني تخلّصت من هذه الحالة، يريد هذا الرجل ان يحتال عليَّ. لا أستطيع ان أحتمل هذه الحالة. إذا احتملتها سأفقد السيطرة على أعصابي، وأنا لن أحتمل ذلك. سوف ألاحقه. سوف أفعل ذلك بغض النظر عن النتائج، لكنك تستطيع ان تمهد لي الدرب إذا عيّنتني في المنصب الذي أطلبه».

رفع مادفيغ يده ودفع برفق وجه نيد بومونت المشدود وقال: «اللعنة يا نيد! من المؤكد انني سأتدبر الأمر. انني لا أريدك ان تتورط في مشاكل، لكن ـ اللعنة! ـ إذا كانت هذه رغبتك. أعتقد ان أفضل منصب أعينك فيه هو منصب مفتش خاص في مكتب النائب العام. بهذه الطريقة ستكون تابعاً لـ «فار» وهو لن يتدخل في شؤونك».

وقفت السيدة مادفيغ وهي تحمل صحناً في كل يد. قالت بحدة: «لو لم أكن قد قررت ألاّ أتدخل في شؤون الرجال، كنت بالتأكيد سأجد ما أقوله لكما، وأنتما تسعيان لتنفيذ عمل لا أحد يعرف طبيعته، وسوف يورطكما على الأرجح في متاعب لا تحصى».

ابتسم لها نيد بومونت ابتسامة عريضة وهي تغادر الغرفة. ثم التفت إلى مادفيغ وقال له بجدية: «هل تباشر الآن بترتيب الوضع كي أستلم العمل بعد ظهر اليوم؟».

وافق مادفيغ وقال وهو ينهض: «بالتأكيد، سوف أتصل بفار

في الحال. وإذا كنت تريد شيئاً آخر، أنت تعرف انك تستطيع ان تطلبه».

قال نيد بومونت: «بالتأكيد»، وخرج مادفيغ.

دخلت جون وبدأت برفع الأطباق.

سألها نيد بومونت: «هل تعتقدين ان الآنسة أوبال نائمة؟».

ـ «لا يا سيدي، لقد طلبت منذ قليل كوباً من الشاي وخبزاً محمّصاً».

ـ «اصعدي إلى غرفتها واسأليها إذا كنت أستطيع رؤيتها».

ـ «حسناً يا سيدي، سأفعل ذلك».

بعد خروج الخادمة وقف نيد بومونت وأخذ يروح ويجيء داخل الغرفة. أخذت الدماء تسري في وجنتيه النحيلتين وتعطيهما لوناً دافئاً. توقف عن المشي عند دخول مادفيغ.

قال له مادفيغ: «كل شيء على ما يرام، إذا كان فار غير موجود تطلب مقابلة باربيرو وهو سيتولى الأمر ولا داعي لأن تقول له شيئاً».

قال نيد بومونت: «شكراً»، ونظر إلى الخادمة السوداء الواقفة في الباب.

قالت له: «تقول لك انها تنتظرك».

تسعة

كان اللون الأزرق طاغياً في غرفة أوبال مادفيغ. وكانت ترتدي ثوباً فضفاضاً باللونين الأزرق والفضي، وتسند ظهرها إلى الوسائد وهي ممدّدة على سريرها. كانت عيناها زرقاوين مثل عينيْ والدها وجدتها، طويلة القامة مثلهما وذات ملامح حادّة، وبشرتها جميلة ووردّية تدل على صغر سنها. كانت عيناها محمّرتين حين دخل نيد بومونت غرفتها.

وضعت قطعة الخبز المحمّص على الصينية في حضنها، ومدت يدها إلى نيد بومونت وهي تبتسم له بمودّة وقالت: «مرحباً يا نيد». لم يكن صوتها عادياً.

لم يسلّم عليها بل ضرب يدها بخفّة وقال: «مرحباً يا صغيرة»، وجلس على حافة سريرها. وضع رجلاً فوق رجل وتناول سيجاراً من جيبه.

ـ «هل يضايق الدخان رأسك؟».

ـ «آه، لا».

أحنى رأسه وأعاد السيجار إلى جيبه وتخلّى عن تظاهره باللاّمبالاة. استدار قليلاً كي ينظر إليها مباشرة. كانت عيناه تفيضان عطفاً حين قال: أعرف يا صغيرتي ان المسألة ليست سهلة».

نظرت إليه بطفولية وقالت: «لا، لقد زال معظم الصداع

وهو لم يكن مزعجاً إلى هذا الحد على أي حال». وبدا الاضطراب واضحاً في صوتها.

ابتسم لها وسألها: «صرت غريباً بالنسبة لك الآن؟».

قطّبت حاجبيها قليلاً وقالت: «لا أعرف ماذا تقصد يا نيد».

وبإصرار أجابها: «أقصد تايلور».

اهتزت الصينية على ركبتيها لكن ملامحها لم تتبدّل. قالت: «أجل، لكن ـ «أنت تعرف ـ لم أقابله منذ عدة أشهر ـ منذ ان طلب مني والدي...».

وقف نيد بومونت فجأة وقال: «حسناً» ومشى نحو الباب.

لم تقل الفتاة شيئاً.

خرج من الغرفة ونزل إلى الطابق السفلي.

قال له بول مادفيغ وهو يرتدي معطفه: «يجب ان أذهب إلى المكتب لأتابع مسألة عقود شبكة المجارير. سأصطحبك في طريقي إلى مكتب فار إذا أردت ذلك».

قال نيد بومونت: «جيد، حين سمعا صوت أوبال وهي تقول: «نيد، يا نيد!».

ـ «حاضر»، والتفت نحو مادفيغ يقول: «لا تنتظرني إذا كنت مستعجلاً.

ألقى مادفيغ نظرة إلى ساعته وقال: «يجب ان أذهب الآن. هل أراك الليلة في النادي؟».

قال نيد بومونت: «بالتأكيد»، وصعد السلم ثانية.

كانت أوبال قد دفعت الصينية جانباً، وقالت له: «اغلق الباب». حين أغلق الباب أفسحت له مجالاً ليجلس بجوارها ثم سألته: «لماذا فعلت ذلك؟».

قال متضايقاً وهو يجلس: «لقد كذبت عليَّ».

ـ «لكن، يا نيد!» وحاولت عيناها الزرقاوان ان تتفحصا عينيه العسليتين.

سألها: «متى رأيت تايلور آخر مرة؟».

ـ «تعني للتحدث إليه؟» وبدت صريحة الملامح وهي تقول: «منذ أسابيع عديدة...».

وقف فجأة وقال: «حسناً» ومشى نحو الباب.

تركته يخطو خطوة واحدة خارج الغرفة ثم نادته قائلة: «آه يا نيد، لا تكن قاسياً إلى هذه الحد».

التفت ببطء وكان وجهه خالياً من الانفعال.

سألته: «ألسنا صديقين؟».

ـ «بالتأكيد»، أجابها مباشرة وبدون حماسة: «لكن الصعب ان نتذكر ذلك وكلانا يكذب على الآخر».

استدارت في السرير وألقت برأسها على الوسادة واسترسلت في البكاء. بكت في صمت، ودموعها انهمرت على الوسادة تاركة عليها بقعة رمادية.

عاد إلى السرير وجلس بجانبها، ورفع رأسها عن الوسادة ليضمها إليه.

بكت ورأسها على كتفه عدة دقائق. ثم جاءت كلماتها مكتومة إلى حد ما وهي تقول وفمها مشدود إلى معطفه:

- «هل . هل كنت تعرف انني أقابله؟».

- «أجل».

ابتعدت عنه مذعورة وسألته:

- «وهل كان والدي يعرف ذلك؟».

- «لا أعتقد ذلك. لا أعرف».

ألقت برأسها على كتفه ثانية وقالت بصوت غير مفهوم تماماً: «آه، يا نيد، كنت معه بعد ظهر البارحة، أمضينا معاً طوال فترة بعد الظهر!».

شدّ ذراعه حولها، لكنه لم يقل شيئاً.

بعد قليل سألته: «من . من قتله برأيك؟».

أجفل ولم يجبها.

رفعت رأسها فجأة. بدت وكأنها استجمعت قواها في تلك اللحظة وسألته بإصرار: «هل تعرف يا نيد؟».

تردّد وبلل شفتيه وقال متلعثماً: «أعتقد ذلك».

سألته بحدة: «مَن؟».

تردد ثانية، وتحاشى نظراتها، ثم وجّه إليها سؤالاً: هل تعدينني ان تكتمي بالسر حتى يحين الوقت المناسب للبوح به؟».

أجابته بسرعة: «أجل».

لكن وقبل ان يبدأ بالكلام وضعت يديها على كتفه وقالت: «انتظر، لن أعدك بشيء إلاّ إذا وعدتني ان المجرمين لن يفلتوا من العدالة، وانهم سوف ينالون العقاب الذي يستحقونه».

- «لا أستطيع ان أعدك بذلك. ولا أحد يستطيع ان يعطيك وعداً مماثلاً».

حدّقت فيه وهي تعضّ على شفتها ثم قالت:

- «حسناً، سوف أعدك على أية حال. من؟».

- «هل أخبرك انه مدين إلى مقامر يُدعى بيرني ديسباين بمبلغ يعجز عن تسديده؟».

- «وهل ديسباين هذا هو الذي...؟».

- «أعتقد ذلك، لكن هل أخبرك مرة عن دينه هذا؟».

ـ «أعرف انه كان واقعاً في ورطة، لكنه لم يخبرني نوع هذه الورطة؛ قال لي انه تشاجر مع والده بسبب مبلغ من المال وانه كان «يائساً» هذا ما قاله».

ـ «ألم يذكر اسم ديسباين؟».

ـ «لا. ماذا حدث؟ ولماذا تعتقد ان ديسباين هو القاتل؟».

ـ «ديسباين معه إقرار بالدين من تايلور بأكثر من ألف دولار. ولقد غادر البلدة ليلة البارحة على عجل. الشرطة تبحث عنه الآن».

أخفض صوته ونظر إليها بطرف عينه وسألها: «هل أنت مستعدة للقيام بمبادرة تساعدهم على القبض عليه وإدانته؟».

ـ «أجل. ماذا تريدني أن أفعل؟».

ـ «إنه تصرّف فيه بعض الإحراج لك. يجب ان تعرفي ان إدانته لن تكون مسألة سهلة، لكن بما اننا نشك في انه مذنب فهل أنت قادرة على القيام بمهمة فيها بعض الاحراج لكي نتمكن من الصاق التهمة به؟».

أجابته: «اطلب ما تريد».

تنهّد وشدّ على شفتيه.

سألته بالحاح: «ماذا تريدني أن أفعل؟».

ـ «أريدك ان تحضري لي قبعة من قبعاته».

ـ «ماذا؟».

قال نيد بومونت: «أريد قبعة من قبعات تايلور». وتورّدت وجنتاه وهو يسألها: «هل تستطيعين ذلك؟».

سألته حائرة: «ولماذا تريدها يا نيد؟».

ـ «لإلصاق تهمة القتل بديسباين، هذا كل ما أستطيع قوله لك الآن. هل ستحضرينها أم لا؟».

ـ «أعتقد ... أعتقد انني أستطيع أن أحصل عليها، لكنني أتمنى لو...».

ـ «متى تحضرينها؟».

ـ «بعد ظهر اليوم، على ما أظن. لكنني أتمنى لو...».

قاطعها ثانية وقال: «لا تطلبي معرفة أية تفاصيل. من الأفضل لك ان تكتفي بأقل معلومات ممكنة حول هذا الأمر، هذا ينطبق أيضاً على موضوع القبعة». وضع ذراعه حول كتفيها وقرّبها منه وقال: «هل كنت تحبينه حقاً، يا صغيرتي، أم ان اهتمامك به سببه ان والدك...».

بكت وقالت: «كنت أحبه فعلاً، أنا متأكدة من حقيقة مشاعري... متأكدة».

- ٢ -

خدعة القبعة

واحد

كان نيد بومونت يضع قبعة لم تكن تلائمه تماماً، ويتبع حمّالاً يحمل له حقائبه في محطة السكة الحديدية «غراند سنترال» أي المخرج الثاني والأربعين الذي يفضي إلى الشارع، ومن ثم إلى سيارة تاكسي لونها أحمر داكن. أعطى الحمّال أجره وصعد في السيارة وطلب إلى السائق ان يوصله إلى فندق في برودواي في شارع «فورتيز» وأسند ظهره إلى المقعد وهو يشعل سيجاراً. كان يعضّ على السيجار أكثر مما كان يدخّنه فيما كانت السيارة تجتاز الشوارع المكتظة باتجاه برودواي.

في جادّة «ماديسون» انعطفت سيارة تاكسي خضراء مخالفة وجهة السير واصطدمت بالسيارة التي كان فيها نيد بومونت، ودفعتها لتصطدم أيضاً بسيارة ثالثة كانت متوقفة عند حافة الطريق، وتحطم زجاج النوافذ وتناثر على الأرض.

خرج نيد بومونت من السيارة ووقف بين الناس الذين بدأوا

يتجمعون. تفحّص نفسه وعرف انه غير مصاب بأذى. أجاب عن أسئلة وجهها إليه أحد رجال الشرطة. تناول القبعة التي لم تكن تلائمه ووضعها على رأسه. نقل حقائبه إلى سيارة أخرى وأعطى اسم الفندق إلى السائق الثاني، وجلس في الزاوية وهو يرتجف ووجهه شاحب، فيما انطلقت السيارة به.

سجّل اسمه في دفتر الفندق وسأل الموظف ما إذا كانت قد وصلته أية رسائل؛ كان قد تلقّى مخابرتين وسلّمه الموظف مغلفين وليس عليهما ختم البريد.

طلب إلى الحاجب الذي أوصله إلى غرفته ان يحضر له زجاجة من الشراب. حين تركه الحاجب أغلق باب غرفته وقرأ الملاحظتين حول المخابرتين، كانتا تحملان تاريخ ذلك اليوم، مخابرة عند الساعة الرابعة وخمسين دقيقة بعد الظهر والثانية عند الثامنة وخمس دقائق في المساء. نظر إلى ساعته. إنها الثامنة وخمس وأربعين دقيقة.

تقول الملاحظة حول المخابرة الأولى: «عند غارغويل». والثانية: «عند توم وجيري. اتصل فيما بعد» والمخابرتان من شخص يدعى جاك.

فتح مغلفاً كان يحتوي على ورقتين تحملان تاريخ البارحة:

«إنها تقيم في فندق «ماتين»، غرفة ١٢١١، وسجلت اسمها إيلين دايل من شيكاغو. اتصلت من المخزن برجل وامرأة، وذهب الجميع إلى أماكن عدة معظمها نوادي قمار،

انهم على الأرجح يلاحقونه، لكن الحظ لم يحالفهم في العثور عليه بعد. غرفتي رقمها ٧٣٤. الرجل والمرأة من عائلة بروك».

في المغلف الثاني ورقة تحمل تاريخ ذلك اليوم وتقول:

«التقيت ديوارد هذا الصباح، وهو يدعي انه لا يعرف ان بيرني موجود في البلدة. سأتصل بك فيما بعد».

الرسالتان بتوقيع: جاك.

اغتسل نيد بومونت، وغيّر ملابسه، وكان يشعل سيجاره حين عاد الحاجب ومعه زجاجة الشراب. دفع له ثمنها وتناول كوباً من الحمّام ووضع كرسياً قرب نافذة غرفة النوم. جلس هناك يدخن ويشرب ويحدّق في الجهة المقابلة من الشارع إلى ان رنّ جرس الهاتف.

قال: «آلو... أجل يا جاك... الآن... أين؟... بالتأكيد... سوف أحضر في الحال».

تناول القليل من الشراب، ووضع القبعة التي لم تكن تلائمه، والمعطف الذي كان قد ألقى به على المقعد، مرر يده على إحدى جيوبه، ثم أطفأ النور وخرج.

كانت الساعة التاسعة وعشر دقائق.

إثنان

دفع نيد بومونت باباً زجاجياً متأرجحاً تعلوه يافطة مضاءة تحمل اسم توم وجيري، وذلك في مبنى يقع بالقرب من

برودواي. دخل نيد بومونت إلى ممر ضيّق، ودفع باباً زجاجياً إلى اليسار ليدخل إلى مطعم صغير.

وقف رجل يجلس في أحد الأركان ورفع له يده. كان متوسط القامة، صغيراً في السن ونشيطاً، بشرته سمراء وملامحه توحي بالوسامة.

تقدم نحوه نيد بومونت وقال وهو يمد له يده ليسلم عليه: «مرحباً يا جاك».

- «إنهم في الطابق الثاني، الفتاة والرجل والمرأة. اجلس هنا وأنت تدير ظهرك إلى السلم. أستطيع ان أراهم إذا أرادوا الخروج، أو إذا دخل هو، وهناك عدد من الزبائن ولن يتعرّف عليك بسهولة».

جلس نيد بومونت كما طلب منه جاك وسأله: «هل تعتقد انهم ينتظرونه؟».

هزّ جاك كتفيه وقال: «لا أعرف، لكن من الواضح انهم ينتظرون شيئاً ما. هل تريد ان تتناول بعض الطعام؟ لا يقدمون شراباً في الطابق الأول».

قال نيد بومونت: «أريد كأساً من الشراب، ألا نستطيع ان نجد ركناً في الطابق الثاني دون ان يرونا؟».

قال جاك يحتج على طلبه: «المطعم ليس كبيراً. توجد عدة مقاعد عالية الظهر وقد نستطيع الاختباء عن عيونهم، لكن إذا جاء ديسباين فإنه قد يرانا».

ـ «فلنجرب حظّنا. إنني أريد كأساً وقد أتحدث إليه مباشرة إذا جاء».

نظر جاك بحيرة إلى نيد بومونت، ثم التفت بعيداً وقال له: «أنت صاحب الأمر. سأصعد لأحجز ركناً مناسباً». تريث قليلاً، ثم حرك كتفيه ومشى نحو السلّم.

استدار نيد بومونت ليراقب الشاب الأنيق وهو يصعد السلّم إلى الطابق الثاني. وظل يراقب السلّم حتى رأى الشاب ينزل. أومأ إليه جاك بأن يتقدم نحوه. قال له حين اقترب منه: «أفضل مكان وجدته فيه مقعد خلف مقعدها وتستطيع منه ان تلقي نظرة على الرجل والمرأة».

صعدا معاً؛ كانت الطاولات والمقاعد الخشبية مرتبة إلى الجهة اليمنى من السلم. استدارا واجتازا قنطرة كبيرة ومرّا بمحاذاة البار قبل الوصول إلى طاولتهما.

حدّق نيد بومونت في ظهر لي ويلشاير التي كانت ترتدي ثوباً جريئاً وتضع قبعة بنية اللون، كان معطفها من الفرو ملقى على مقعدها. نظر إلى يسارها جلس رجل له أنف كأنف الصقر وذقن حادّ وهو شاحب الوجه وفي الأربعين من عمره. وجلست قبالتها شابة ناعمة لها شعر أحمر وعينان متباعدتان. وكانت تضحك.

تبع نيد بومونت جاك إلى الطاولة، وجلس وهو يدير ظهره إلى غرفة الطعام، وانزوى عند طرف المقعد كي يحتمي باللوح

الخشبي المرتفع ويبتعد عن الأنظار. نزع قبعته، لكنه لم يخلع معطفه.

جاء الخادم فطلب نيد بومونت وجاك كأسين من الشراب.

تناول جاك علبة سجائر من جيبه ووضع سيجارة منها بين شفتيه وقال: «هذه لعبتك وأنا أنفّذ ما تطلبه، لكن هذا المكان غير مناسب لمواجهة خاصة إذا كان عنده أصدقاء هنا».

- «وهل عنده أصدقاء هنا؟».

ترك جاك السيجارة في زاوية فمه وأخذت تهتز وهو يقول: «بما انهم ينتظرونه هنا، فهذا المكان على الأرجح من الأماكن التي يكثر التردد عليها».

قدم لهما الخادم كأسيهما. شرب نيد بومونت كأسه بسرعة وقال متذمراً: «الطريق مسدود».

- «أجل، أعتقد ذلك. وترشف جاك قليلاً من الشراب من كأسه ثم أشعل سيجارته وترشف ثانية.

قال نيد بومونت: «حسناً، سوف أواجهه حين قدومه».

رد جاك وقد غطت وجهه الوسيم مسحة من الغموض: «لا بأس. وماذا عليّ ان أفعل؟».

قال نيد بومونت: «اترك الأمر لي»، وأومأ إلى الخادم.

طلب كأساً آخر وتناول الشراب دفعة واحدة بينما ترك جاك النادل يأخذ كأسه الأول وهو نصف ممتلىء وأخذ

يشرب من الثاني بهدوء. وطلب نيد بومونت كأسين آخرين ولم يترك فرصة لجاك لكي ينتهي من أي كأس يطلبه.

صعد بيرني ديسباين إلى الطابق الثاني.

كان جاك يراقب أعلى السلم فشاهد المقامر وضغط برجله على قدم نيد بومونت تحت الطاولة، فرفع عينيه عن كأسه الفارغ واكتسبت نظرته فجأة بروداً وقسوة، ثم وضع يديه على الطاولة ووقف. مشى قليلاً وواجه ديسباين. قال له: «أريد مالي يا بيرني».

الرجل الذي صعد وراء ديسباين استدار حوله ووجه ضربة قاسية إلى نيد بومونت بيده اليسرى. لم يكن طويل القامة، لكن كتفيه كانا قويّين وقبضتيه قاسيتين.

ارتد نيد بومونت إلى الوراء مرتطماً بحاجز خشبي، انحنى إلى الأمام لكنه لم يقع. ظلّ منحنياً لفترة قصيرة، عيناه باهتتان وبشرته ضاربة إلى الخضرة. نطق بكلمات لم يفهمها أحد وتوجه إلى أعلى السلم.

نزل إلى الطابق الأول ورجلاه ترتعشان ووجهه شاحب وكان حاسر الرأس. اجتاز القاعة وخرج إلى الشارع وتقيأ عند حافة الرصيف. توجه إلى سيارة تاكسي كانت متوقفة على مسافة قريبة، وصعد فيها، وأعطى السائق عنواناً في قرية «غرين ويتش».

ثلاثة

ترجّل نيد بومونت من السيارة أمام منزل كان باب دوره التحتاني مفتوحاً ويتسرب منه إلى الشارع المظلم ضوء وضجيج. نزل على السلم الحجري إلى الباب المفتوح ودخل إلى غرفة ضيقة حيث كان عاملا البار يرتديان ملابس بيضاء يقومان على خدمة مجموعة من الرجال والنساء في تلك الحانة الصغيرة، وهناك خادمان يتحركان بين بضع طاولات.

قال عامل البار الأصلع: «هذا أنت يا نيد!» ووضع جانباً المزيج الأحمر الوردي الذي كان يعدّه في كأس كبير؛ ومدّ يداً رطبة من خلف البار إلى نيد.

قال نيد بومونت: «مرحباً يا ماك»، ومدّ يده يصافحه.

جاء خادم ليسلم على «نيد» أيضاً، وتبعه رجل إيطالي ممتلىء ومنتفخ الخدّين فناداه نيد باسم طوني. حين انتهى نيد بومونت من التسليم على أصحابه قال انه يريد كأساً من الشراب.

قال له طوني: «بالطبع يا نيد». استدار نحو البار وهو يحمل كأس كوكتيل فارغاً في يده، وقال لعامل البار: «هذا الرجل لم يعد معه ما يشتري به كوب ماء هذه الليلة، قدّم له ما يريد على حساب المحل».

قال نيد بومونت: «المهم ان أحصل على الشراب» وطلب كأساً مليئاً.

وقفت فتاتان في أحد الأركان ولوّحتا له وقالتا معاً: «يوهّو.. نيدا!».

قال لطوني: «سأعود بعد قليل». وتوجه إلى طاولتهما. عانقتاه، وطرحت عليه كل واحدة منهما عدة أسئلة وعرفتاه على الرجلين اللذين كانا برفقتهما وطلبتا منه الجلوس إلى طاولتهما.

جلس وهو يردّ على الأسئلة فقال انه عاد إلى نيويورك في زيارة قصيرة وانه لا ينوي المكوث فيها فترة طويلة، وانه يرغب في تناول كأس شراب آخر.

نهض الجميع حوالى الساعة الثالثة صباحاً وغادروا الحانة، وقصدوا حانة أخرى تشبهها إلى حد بعيد، وعلى مسافة قريبة منها. جلسوا إلى طاولة يصعب تمييزها عن الطاولة في حانة طوني وتناولوا نوع الشراب نفسه الذي كانوا يتناولونه هناك.

ذهب أحد الرجلين عند الثالثة والنصف. لم يودّع الآخرين، وهم أيضاً لم يودّعوه. بعد عشر دقائق غادر الحانة نيد بومونت والآخرون. استقلوا سيارة تاكسي كانت متوقفة عند ناصية الشارع وقصدوا فندقاً بالقرب من ساحة «واشنطن»، حيث نزل الرجل الآخر وإحدى الفتاتين.

اصطحبت الفتاة الثانية، التي تدعى فيدينك، نيد بومونت إلى شقة في الشارع الثالث والسبعين. كانت الشقة دافئة جداً. حين فتحت الباب تسرّب منه هواء دافىء. ولم تكد تخطو

بضع خطوات داخل غرفة الاستقبال حتى تنهّدت وسقطت على الأرض.

أغلق نيد بومونت الباب وحاول إيقاظها، لكنه لم يتمكن من ذلك. حملها بصعوبة إلى الغرفة الثانية ومدّدها على أريكة مغطاة بقماش قطني مطبّع. نزع عنها بعض ملابسها وألقى عليها بطّانية وفتح النافذة. ثم دخل إلى الحمام وتقيأ. عاد إلى غرفة الجلوس وتمدّد على الكنبة بملابسه واستغرق في النوم.

أربعة

استيقظ نيد بومونت على رنين هاتف قريب منه. فتح عينيه، وجلس على الكنبة، والتفت إلى جانبه، ثم نظر إلى سائر أرجاء الغرفة. حين رأى الهاتف أغمض عينيه بارتياح.

تواصل الرنين. تأوّه وفتح عينيه ثانية، وأخذ يتلوّى حتى تمكّن من رفع ذراعه الأيسر من تحت جسمه. رفع يده إلى عينيه ونظر إلى ساعته، بانزعاج. غطاء الساعة البلّوري غير موجود وعقاربها متوقفة عند الثانية عشرة إلاّ اثنتي عشرة دقيقة.

أسند نيد بومونت جسمه إلى كتفه الأيسر، وألقى برأسه على يده اليسرى. ما زال الهاتف يرن. نظر حوله بعينين بائستين وناعستين. كانت المصابيح مضاءة. وعبر باب مفتوح رأى قدمي فيدينك اللذين تغطيهما البطانية.

تأوّه ثانية وجلس منتصباً ومرّر أصابعه في شعره الأسود المشعّث، وضغط على صدغيه بيديه. كانت شفتاه جافتين وتكسوهما قشرة بنية اللون، رطّبهما بلسانه وبدا الإنزعاج على وجهه. ثم نهض وهو يسعل قليلاً وخلع قفازيه ومعطفه وألقى بالجميع على الكنبة، وتوجه إلى الحمام.

خرج من الحمام وألقى نظرة على سرير فيدينك. لا تزال مستغرقة في نوم عميق، وجهها إلى الأسفل، وتضع إحدى ذراعيها فوق رأسها. توقف الهاتف عن الرنين. شدّ رباط عنقه ورجع إلى غرفة الجلوس.

وجد في علبة مفتوحة على طاولة ثلاث سجائر. تناول إحداها وهو يغمغم، بلا مبالاة، وبمزاج متعكّر؛ وجد علبة من الكبريت وأشعل السيجارة وذهب إلى المطبخ. عصر أربعة برتقالات في كوب كبير وشرب العصير. وحضّر قهوة وتناول فنجانين.

عندما خرج من المطبخ سألته فيدينك بصوت منخفض وبائس: «أين تيد؟». كانت عيناها نصف مغمضتين.

مشى نحوها وسألها: «ومن هو تيد؟».

- الرجل الذي كنت برفقته».

- «وهل كنت برفقة رجل؟ كيف لي ان أعرف ذلك؟».

فتحت فمها وتثاءبت بصوت مسموع منفّر وسألته: «كم الساعة الآن؟».

ـ «لا أعرف ذلك أيضاً. في ساعة ما من الصباح».

فركت وجهها بالأريكة وقالت: «يا لي من فتاة رائعة! لقد وعدته أن أتزوجه البارحة وتركته مع أول صعلوك واصطحبته إلى البيت» رفعت يدها قليلاً عن رأسها وسألت: «هل أنا في البيت؟».

قال لها نيد بومونت: «كنت تحملين مفتاحاً لهذه الشقة على أية حال. هل تريدين عصير برتقال وفنجان قهوة؟».

ـ «لا أريد شيئاً سوى أن أموت. أرجوك يا نيد ان تذهب وألاّ تعود ثانية».

قال مشاكساً: «سيكون هذا صعباً عليَّ، لكنني سأحاول».

ارتدى معطفه ووضع قفازيه. وتناول قبعة داكنة مجعّدة من جيب معطفه، ووضعها على رأسه وترك الشقة.

خمسة

بعد نصف ساعة كان نيد بومونت يطرق باب الغرفة ٧٣٤ في الفندق الذي ينزل فيه. سمع بعد قليل صوت جاك النعسان من خلف الباب: «من هناك؟».

ـ «بومونت».

وبدون حماس قال: «آه، حسناً».

فتح جاك الباب وأضاء المصابيح. كان يرتدي بيجاما

خضراء منقطة. وكان حافي القدمين، عيناه فاترتان ووجهه متورّد من شدة النعاس. تثاءب وانحنى قليلاً ثم عاد إلى سريره، حيث تمدد على ظهره وأخذ يحدق في سقف الغرفة. سأل نيد بدون اكتراث: «كيف حالك هذا الصباح؟».

كان نيد بومونت قد أغلق الباب خلفه. وقف بين الباب والسرير ينظر مقطّب الجبين إلى الرجل، وسأله: «ماذا حدث بعدما تركتك؟».

تثاءب جاك مرة ثانية وقال: «لا شيء. أم أنت تقصد ماذا فعلت أنا»، ولم ينتظر جواباً بل تابع يقول: «خرجت وابتعدت قليلاً حتى خرجوا بدورهم».

«خرج ديسباين مع الفتاة والرجل الذي ضربك. ذهبوا إلى «بكمان» الشارع الثامن والأربعين. هذا مقر ديسباين الحالي - الشقة ٩٣٨ - باسم «بارتون ديوي». انتظرت هناك إلى ما بعد الثالثة ثم تركت المكان. كانوا لا يزالون في الداخل، إلاّ إذا كان المقصود خداعي». هزّ رأسه ونظر إلى زاوية الغرفة وأضاف: «قبعتك على الكرسي هناك. فكرت ان من الأفضل ان أحضرها».

توجه نيد بومونت إلى الكرسي وتناول القبعة التي لم تكن تلائمه. أعاد القبعة الداكنة المجعّدة إلى جيب معطفه ووضع الثانية على رأسه.

قال جاك: «يوجد بعض الشراب على الطاولة إذا كنت ترغب في ذلك».

قال نيد بومونت: «لا، شكراً. هل معك مسدس؟».

لم يعد جاك يحدق في السقف. جلس في السرير ومدّ ذراعيه وتثاءب للمرة الثالثة، وسأله: «ماذا تنوي ان تفعل؟» لم يكن صوته ينمّ عن شيء سوى فضولية مهذبة.

- «أريد مقابلة ديسباين».

كان جاك قد رفع ركبتيه وضمهما بذراعيه، وجلس يحدق في أسفل السرير. قال ببطء: «لا أعتقد ان هذا مناسب الآن».

قال نيد بومونت: «يجب ان أراه الآن».

صوته جعل جاك يلتفت نحوه. كان وجه نيد بومونت شاحباً ويكشف عن توعّكه؛ عيناه معكرتان ومحمرّتان ونصف مغمضتين. شفتاه جافتان ومتورمتان قليلاً.

سأله جاك: «هل سهرت طوال الليل؟».

- «نمت قليلاً».

- «متوعكاً؟».

- «أجل، لكن ماذا عن المسدس؟».

رفع جاك رجليه من تحت الغطاء ووقف بجانب السرير وقال له: «لماذا لا تنام أولاً؟ سنذهب لعنده فيما بعد. أنت لا تبدو على ما يرام الآن».

قال نيد بومونت: «سأذهب في الحال».

قال جاك: «حسناً، لكن أنت مخطىء. أنت تعرف جيداً انهم ليسوا صغاراً لكي تواجههم وأنت ترتعش. انهم محترفون».

سأله نيد بومونت: «أين المسدس؟

وقف جاك وبدأ يفكّ أزرار بيجامته.

قال نيد بومونت: «أعطني المسدس وعد إلى السرير. سأذهب بمفردي».

أدخل الزرّ الذي كان قد فكّه في زاوية عروته وعاد إلى السرير، وقال: «المسدس في أعلى درج في المكتب. هناك علبة إضافية من الخرطوش إذا كنت تريد». استدار إلى الجنب الآخر وأغمض عينيه.

وجد نيد بومونت المسدس، وضعه في جيبه وقال: «سأراك فيما بعد»، وأطفأ النور وهو يخرج من الباب.

ستة

«بكمان» كان مبنى مربعاً أصفر اللون وكبير الحجم. قال نيد بومونت للمسؤول عن المبنى انه يريد مقابلة السيد «ديوي». وحين سأله الموظّف عن اسمه أجاب نيد بومونت.

بعد حوالى خمس دقائق كان يخرج من المصعد ويمشي في ممر طويل نحو باب مفتوح وقف فيه بيرني ديسباين.

كان ديسباين رجلاً قصير القامة ونحيلاً، ورأسه ضخم لا يتناسب مع جسمه. حجم رأسه بدا كأنه مشوه، وكان يغطيه شعر طويل وخفيف. بشرته داكنة، وملامح وجهه بارزة ما عدا عينيه، وله تجاعيد واضحة على جبينه وتنحدر من أنفه إلى فمه. كانت عنده بقعة حمراء باهتة على أحد خديْه. بذلته الزرقاء مكوية بعناية ولم يكن يضع أية حلية.

وقف في الباب يبتسم بتهكّم وقال: «صباح الخير يا نيد».

قال نيد بومونت: «أريد أن أتحدث معك يا بيرني».

- «لقد خمّنت ذلك. حين اتصل بي الموظف منذ قليل وذكر اسمك قلت في نفسي من المؤكد انه يريد ان يتحدث معي».

لم يقل نيد بومونت شيئاً. وجهه الشاحب كان مشدوداً.

قال ديسباين والابتسامة ما تزال مرسومة على شفتيه: «حسناً، يا عزيزي، لا داعي لأن تظل واقفاً هنا. تفضل بالدخول». وتنحّى جانباً لكي يفسح له المجال بالدخول.

يفتح الباب على ردهة صغيرة. من خلال باب في الداخل رأى نيد بومونت «لي ويلشاير» والرجل الذي ضربه. كانا يعدّان حقيبتيْ سفر وتوقفا لينظرا إلى نيد بومونت.

دخل إلى الردهة وتبعه ديسباين وقال وهو يغلق باب الممر: «الصبي سريع في توجيه ضرباته وعندما سمعك تتهجّم عليَّ اعتقد انك تسعى إلى المشاكل، هل فهمت؟ لقد وجهت إليه

اللوم على ما فعل واعتقد انه لو طلبت منه فإنه سوف يعتذر منك».

همس الصبيّ بكلمات غير مسموعة إلى «لي ويلشاير» التي وقفت تحدق في نيد بومونت. ضحكت ضحكة خبيثة وقالت: «أجل، انه رجل رياضي بكل معنى الكلمة».

قال بيرني ديسباين: «تفضل يا سيد بومونت لقد التقيت بهما من قبل، أليس كذلك؟».

تقدم نيد بومونت إلى داخل الغرفة حيث كانت تقف لي مع الصبيّ!

سأله الصبيّ: «كيف حال بطنك؟».

لم يقل نيد بومونت شيئاً.

قال بيرني ديسباين باستغراب: «يا الهي! ويقول انه جاء من أجل ان يتحدث! أنت شخص قليل الكلام فعلاً».

قال نيد بومونت: «أنا موافق على وجودهما، أما أنت فلا. تستطيع ان تبتعد عنهما بأن تخرج من هنا وتذهب في شأنك».

ـ «لي شأن هنا».

ـ «هذا صحيح، هناك موضوع له علاقة بالمال».

وابتسم للصبي وهو يضيف: «ألم تسمع شيئاً بهذا الخصوص أيها الصبي؟».

مشى الصبي ليقف في المدخل وقال بنبرة خشنة: «سمعت شيئاً، لكنني نسيت ما هو».

خلع نيد بومونت معطفه وألقى به على مقعد بني اللون. جلس في المقعد ووضع قبعته خلفه.

قال: «ليس الموضوع متعلقاً بي هذه المرة. إنني هنا بصفة... دعني أر»، وتناول ورقة من جيب معطفه الداخلي فتحها، ألقى نظرة على ما فيها، وقال: «إنني هنا بصفة مفتش خاص في مكتب المدعي العام».

لفترة بسيطة فوجيء ديسباين بهذا الأمر، لكنه قال مباشرة: «كم أنت ناجح في حياتك! آخر مرة قابلتك فيها كنت مكتفياً بأن تكون غلاماً عند بول».

طوى نيد بومونت الورقة وأعادها إلى جيبه.

قال له ديسباين: «هيا، فتش عن شيء أمامنا ـ فقط لكي نعرف كيف يتم هذا الأمر.

جلس يواجه نيد بومونت ويهزّ رأسه الضخم: «لا تقل انك قطعت مسافة طويلة للوصول إلى نيويورك لكي تستجوبني حول مقتل تايلور هنري؟».

ـ «أجل».

ـ «هذا سيىء جداً. كان بوسعي ان أوفّر عليك تلك المشقة.

وأشار بيده إلى الحقائب. وقال: «حين أخبرتني لي بما حدث بدأت أعدّ الحقائب للعودة ولكي أسخر من مكيدتك».

أسند نيد بومونت ظهره بهدوء إلى مقعده، ووضع يداً خلف ظهره. قال: «إذا كانت هناك مكيدة، فهي من إعداد لي، لأن رجال الشرطة حصلوا على معلوماتهم منها».

قالت غاضبة: «أجل. لكنني كنت مجبرة على ذلك لأنك أرسلتهم لعندي أيها الوغد».

قال ديسباين: ««لي» قرقة غبية، هذا صحيح، لكن الإقرار بالدين لا يعني شيئاً، انه...».

صرخت لي باستياء: «أنا قرقة غبية؟ ألم أقطع هذه المسافة الطويلة لكي أحذرك وأنت هربت ومعك جميع ما أملك...».

قال ديسباين موافقاً بلطف: «أجل، وحضورك إلى هنا دليل على انك قرقة غبية، لأنك تركت هذا الرجل يصل إليّ».

ـ «إذا كان هذا شعورك فأنا سعيدة جداً لأنني سلمت رجال الشرطة أوراق الإقرار بالدين، وما رأيك بذلك الآن؟».

قال ديسباين: «سأقول لك رأيي بعد ذهاب ضيفنا». والتفت نحو نيد بومونت وقال: «إن بول مادفيغ الشريف يريدك ان تلصق التهمة بي، أليس كذلك؟».

ابتسم نيد بومونت وقال: «لم توجّه إليك التهمة بعد يا

بيرني، وأنت تعرف ذلك. «لي» أعطتنا أول دليل وقد وجدناه يتلاءم مع ما عندنا».

- «هناك أشياء أخرى بالاضافة لما عرضته الآن؟».

- «الكثير».

- «ما هي؟».

ابتسم نيد بومونت ثانية وقال: «هناك أشياء كثيرة أرغب في قولها لك يا بيرني، لكنني أرفض ان أتكلم أمام مجموعة من الأشخاص».

قال ديسباين: «هذا هراء!».

قال الصبي لديسباين بصوته الخشن: «دعنا نقدم لهذا الأحمق ما يستحق ونخرج من هنا».

«انتظر»، قال ديسباين، ثم عبس وسأل نيد بومونت: «هل صدرت مذكرة لتوقيفي؟».

- لا... لا أعتقد...

- «نعم أم لا؟» سأله ديسباين وقد تخلّى عن مرحه الساخر.

قال نيد بومونت ببطء: «ليس على حد علمي».

وقف ديسباين ودفع بكرسيه إلى الوراء وقال: «أخرج من هنا إذاً، اخرج بسرعة، وإلاّ فإنني سأطلب من الصبي ان يوجه إليك ضربة ثانية».

وقف نيد بومونت وحمل معطفه. أخذ القبعة من جيب معطفه، وحملها في يد وألقى المعطف على اليد الثانية، وقال بجدية: «سوف تندم». ثم مشى نحو الباب بخطى ثابتة، وخرج ترافقه ضحكات الصبي الخشنة وصيحات «لي» المستهزئة.

سبعة

خرج نيد بومونت من مبنى «بكمان» وانطلق بخفة إلى أسفل الشارع. كانت عيناه تتألقان في وجهه المتعب وشاربه الأسود يهتز قليلاً فوق ابتسامته النحيلة.

عند أول منعطف التقى بجاك، وسأله: «ماذا تفعل هنا؟».

ردّ جاك: «ما زلت أعمل عندك، على ما أعتقد، وجئت لكي أكون موجوداً إذا احتجت إليّ».

- «رائع. أوقف سيارة تاكسي بسرعة سيغادرون المبنى بعد قليل..».

قال جاك: «في الحال»، ونزل إلى الشارع.

ظل نيد بومونت واقفاً عند الناصية، وكان يرى بوضوح المدخلين الأمامي والجانبي لمبنى «باكمان».

عاد جاك بعد قليل في سيارة تاكسي. صعد نيد بومونت بدوره وطلب إلى السائق ان يتريث هناك بعض الوقت.

سأله جاك وهما ينتظران: «ماذا فعلت لهم؟».

ـ «عدة أشياء».

ـ «آه».

مضت عشر دقائق، ثم قال جاك: «انظرا» وكان يشير باصبعه إلى سيارة تاكسي تتوقف عند مدخل المبنى الجانبي.

خرج الصبي أولاً وهو يحمل حقيبتي سفر، وحين صعد إلى السيارة خرج ديسباين ومعه الفتاة بسرعة وانضما إليه. انطلقت السيارة بهم.

انحنى جاك قليلاً نحو السائق وأعطاه التعليمات اللازمة، فانطلق في اثر السيارة الأخرى. اجتازت السيارة شوارع بدأت أشعة شمس الصباح تتسلّل إليها، ثم انعطفت في طريق نائية لتتوقف أخيراً أمام منزل قديم مشيّد بالحجر الرملي الأسمر ويقع غربي الشارع التاسع والأربعين.

توقف التاكسي الذي يستقلّه ديسباين أمام المنزل، ومرة ثانية كان الصبي أول شخص يتحرك من الثلاثة، فنزل إلى الرصيف وأخذ ينظر إلى الشارع في الاتجاهين. تقدم نحو باب البيت وفتحه، ثم رجع إلى التاكسي. ترجل ديسباين والفتاة بسرعة ودخلا على عجل. لحق بهما الصبي ومعه الحقيبتان.

قال نيد بومونت لجاك: «انتظر هنا في السيارة».

ـ «ماذا تنوي ان تفعل؟».

- «سأجرب حظّي».

هزّ جاك رأسه وقال: «هذه منطقة لا تصلح لأن يبحث الواحد فيها عن المشاكل».

قال نيد بومونت: «إذا خرجت برفقة ديسباين عد إلى بناية «باكمان» وانتظر هناك. وإذا لم أخرج تصرّف كما تشاء».

فتح باب التاكسي، ونزل وهو يرتعش وعيناه تلتمعان. نطق جاك بضع كلمات لكنه لم يفهمها واجتاز الشارع بسرعة إلى مدخل المنزل.

صعد السلم وأخذ يطرق الباب. فتح الباب الذي لم يكن مقفلاً ودفعه ودخل وهو يحدّق في الممر المعتم.

انغلق الباب خلفه وتلقّى ضربة من الصبي على رأسه حملت قبعته بعيداً ودفعت به ليرتطم بالحائط. انحنى قليلاً وهو يترنّح في الوقت الذي وجّه فيه الصبي ضربة ثانية لكنها أصابت الحائط فوق رأسه.

استجمع قوته وضرب الصبي في أعلى فخذه، كانت ضربة قوية ومفاجئة جعلت الصبي يتأوه ويسقط إلى الخلف فتمكن نيد بومونت من الوقوف قبل ان يتمكن الصبي من مهاجمته مرة ثانية.

في آخر الممر كان بيرني ديسباين يتفرّج وهو يسند ظهره إلى الحائط، فمه مشدود ونحيل وعيناه ثاقبتان وكان يردد بصوت منخفض: «اضربه بعنف يا صبي. اضربه...».

لي ويلشاير لم تكن هناك.

وجّه الصبي ضربتين إلى نيد بومونت نالتا منه في صدره، فاندفع إلى الحائط وهو يسعل. الضربة الثالثة كانت موجهة إلى رأسه، فتفاداها. ثم دفع الصبي بعيداً عنه وهو يضغط بيده على رقبته ورفسه في بطنه. زمجر الصبي بغضب وانقض عليه بقبضتيه معاً لكن نيد بومونت تمكّن من ردّه وسنحت له الفرصة لكي يمد يده اليمنى إلى جيبه. ويرفع مسدس جاك. لم ينتظر كي يحسن تصويب المسدس فترك فوهته تميل إلى الأسفل وأطلق رصاصة استقرت في فخذ الصبي الأيمن. صرخ الصبي وسقط على الأرض. ظل ممدداً وهو ينظر إلى نيد بومونت بعينين خائفتين ومحمرّتين.

ابتعد عنه نيد بومونت، وضع يده اليسرى في جيب بنطلونه وخاطب بيرني ديسباين قائلاً: «اقترب قليلاً. أريد أن أتحدث إليك» وبدا على ملامحه اصرار جدي.

صوت وقع أقدام مسرعة تصاعد في مكان ما من المبنى، وفُتح باب، وسُمعت أصوات تضجّ، لكن أحداً لم يأت إلى الممر.

حدّق ديسباين مطوّلاً في نيد بومونت كأنه مذهول وخائف. ثم، وبدون ان ينبس بكلمة، تقدم من الرجل المصاب وتجاوزه وخرج من المنزل. وضع نيد بومونت المسدس في جيبه قبل ان يلحق به، وترك يده على المسدس.

قال لديسباين: «سنصعد معاً في تلك السيارة» وأشار إلى سيارة التاكسي التي كان جاك ينتظره بداخلها. وحين وصلا إلى السيارة طلب نيد بومونت إلى السائق ان ينطلقِ في وجهة غير محددة: «إلى ان أحدّد لك عنواناً معيناً».

انطلقت بهم السيارة، وقال ديسباين: هذه عملية سلب بالقوة. سأعطيكم ما تطلبون لأنني لا أريد ان أموت، لكن هذه عملية سلب بالقوة».

ضحك نيد بومونت بسخرية وهزّ رأسه، وقال: «لا تنس انني حققت نجاحاً في حياتي وانني أحتل منصباً معيناً في مكتب النائب العام».

- «لكن ليست هناك تهمة موجهة إليَّ. لست مطلوباً للمثول أمام العدالة. أنت قلق...».

- «لقد خدعتك يا بيرني، وذلك لأسباب عدة. أنت مطلوب فعلاً».

- «لماذا؟».

- «لأنك قتلت تايلور هنري».

- «لأجل ذلك، اللعنة، سأعود وسأواجه هذه التهمة. ماذا لديكم من أدلة ضدي؟ كانت معي أوراق فيها إقرار بالدين وتحمل توقيعه، هذا صحيح. ولقد غادرت المدينة ليلة الجريمة، هذا صحيح أيضاً. وهل هذه قضية يعجز عن ربحها محام من الدرجة الأولى؟ إذا كنت قد تركت الأوراق في الخزنة وكانت

الساعة حوالى التاسعة والنصف حين خرجت من المنزل ـ هذا حسب رواية «لي» ـ ألا يعني ذلك انني لم أكن أنوي مطالبته بالدين في تلك الليلة؟».

ـ «لا. وهذا ليس الدليل الوحيد ضدك».

ردّ ديسباين بثقة: «انه الدليل الوحيد في حوزتكم».

قال نيد بومونت بإصرار: «أنت مخطىء يا بيرني. هل تذكر انني كنت أعتمر قبعة حين جئت لمقابلتك هذا الصباح؟».

ـ «ربما؛ أعتقد ذلك».

ـ «هل تذكر انني تناولت قبعة أخرى من جيب معطفي وانني وضعتها على رأسي قبل مغادرة البيت؟».

بدأت عينا الرجل الداكن اللون تعكسان خوفه واستغرابه فقال متسائلاً: «يا إلهي! حسناً؟ ما الذي تريد قوله؟».

ـ «أريد الوصول إلى البرهان. هل تذكر ان القبعة لم تكن تلائمني؟».

رد ديسباين بصوت أجش: «لا أعرف يا نيد. أرجوك قل لي ماذا تقصد؟».

ـ «أقصد انها لم تكن قبعتي. هل تذكر ان القبعة التي كان تايلور يعتمرها عند مصرعه لم يعثر عليها؟».

ـ «لا أعرف. لا أعرف عنه شيئاً».

ـ «كنت أقول لك ان القبعة التي كانت على رأسي في الصباح هي قبعة تايلور، وهي الآن تحت الوسادة على المقعد المريح في الشقة في مبنى «باكمان». هل تعتقد ان هذا، بالاضافة إلى ما لدينا، يكون كافياً لكي نجلسك على كرسي الاعدام؟».

كاد ديسباين ان يصرخ مرعوباً لولا ان نيد بومونت لم يضع يده على فمه ويهمس في أذنه: «اصمت!».

أخذ العرق يتصبب من جبين الرجل الأسمر. وانقضّ ديسباين على نيد بومونت وأخذ يشده من معطفه بيديه ويقول: «اسمع، لا تفعل هذا يا نيد. تستطيع ان تأخذ كل المبلغ الذي لك بحوزتي، ومع الفائدة أيضاً، إذا أقلعت عن تلك الخطة. لم أكن أنوي الاحتيال عليك يا نيد، أقسم بذلك. كنت محتاجاً لبعض المال وفكرت ان أستخدم نقودك وأعتبرها سلفة. أقسم بذلك يا نيد. ليس المبلغ بحوزتي الآن، لكنني أنوي بيع مجوهرات «لي» اليوم وسوف أعطيك المبلغ بكامله. كم هو يا نيد؟ سأعطيك إياه كله هذا الصباح».

أبعد نيد بومونت الرجل الأسمر عنه وقال: «ثلاثة آلاف ومائتان وخمسون دولاراً».

ـ «ثلاثة آلاف ومائتان وخمسون دولاراً. سوف تأخذها كلها، هذا الصباح، دفعة واحدة. ثم نظر ديسباين إلى ساعته وقال: «أجل يا سيدي، حال وصولنا. «ستاين» العجوز سيكون

في بيته. قل لي فقط انك ستتركني أذهب في حال سبيلي يا نيد، لأجل الأيام القديمة التي أمضيناها معاً».

فرك نيد بومونت يديه وهو يفكر وقال: «لا أستطيع ان أتركك، أعني الآن. يجب ان أتذكر انني مرتبط بمكتب النائب العام وانك مطلوب للاستجواب. لكننا نستطيع ان نحل مسألة القبعة. هذا ما اقترحه. أعطني المبلغ وسوف آخذ القبعة من مكانها دون ان ألفت انتباه أحد، ولن يعرف أحد شيئاً عنها. وإلاّ فإنني سأكون برفقة مجموعة كبيرة من رجال شرطة نيويورك حين أعثر عليها في شقتك ـ هذا هو عرضي. تستطيع ان تقبله أو ترفضه».

تأوّه بيرني ديسباين قائلاً: «يا إلهي! قل للسائق ان ينطلق بنا إلى بيت ستاين العجوز. انه في شارع...».

- ٣ -

الشحنة المتفجّرة

واحد

غادر نيد بومونت القطار الذي عاد به من نيويورك وبدا نشيطاً ومتعافياً؛ ملامحه تفيض حيوية وخطوته واثقة وقوية. صعد السلم الإسمنتي الذي يفضي إلى قاعدة الانتظار وأومأ إلى رجل يعرفه كان يجلس خلف مكتب الاستعلامات، وخرج من المحطة إلى الشارع.

ابتاع صحيفة وهو ينتظر قدوم أحد الحمّالين. أخذ يتصفّحها في التاكسي الذي انطلق به إلى جادة «راندال».

قرأ في الصفحة الأولى:

جريمة قتل الأخ الثاني

لقي فرنسيس ف. ويست مصرعه بالقرب من المكان الذي لقي فيه أخوه مصرعه.

«للمرة الثانية وخلال اسبوعين فُجعت عائلة «ويست» (١٣٤٢ ن. جادة أشلاند) الليلة الماضية بمقتل فرنسيس ف.

ويست، ٣١ عاماً، إثر اصابته برصاصة قاتلة في الشارع نفسه الذي صدمت فيه سيارة نقل أخاه نورمان وأردته قتيلاً.

فرنسيس ويست كان يعمل خادماً في مقهى روك أواي، وكان في تلك الليلة راجعاً إلى بيته بعد إقفال المقهى حوالى منتصف الليل؛ وقد أشار شهود عيان ان سيارة سياحية سوداء صدمته وهي تنطلق بسرعة هائلة في جادة أشلاند. السيارة انحرفت إلى جانب الرصيف وانطلقت منها عدة عيارات نارية، فسقط ويست بعد إصابته بثماني رصاصات وفارق الحياة قبل ان يتمكن أحد المارة من الوصول إليه.

سيارة الموت، التي أفيد بأنها لم تتوقف، زادت من سرعتها مباشرة واختفت عند ناصية شارع باومان. رجال الشرطة جادّون في محاولاتهم للعثور على السيارة بناء على معلومات متضاربة من الشهود، والذين لم يدّع أي منهم انه رأى بوضوح أي راكب في داخلها.

بويد ويست الأخ الثالث، لم يستطع ان يجد سبباً لمقتل فرنسيس. قال ان أخاه ليس عنده أعداء. والآنسة ماري شيبارد (١٩١٧ جادة بايكر)، التي كان فرنسيس ويست سيعقد قرانه عليها في الأسبوع المقبل، لم تتمكن بدورها من تحديد اسم شخص يتمنى وفاة خطيبها.

تيموثي ايفانز سائق السيارة التي قتلت نورمان ويست الشهر الماضي رفض التحدث إلى الصحافيين في زنزانته في سجن المدينة، حيث يحتجز بدون كفالة تمهيداً لمحاكمته بتهمة القتل».

طوى نيد بومونت الجريدة بتأن ووضعها في جيب معطفه. كان يشدّ قليلاً على شفتيه وهو مستغرق في التفكير، لكنه ظل

محافظاً على هدوء ملامحه. أسند ظهره إلى المقعد الخلفي وأخذ يعبث بسيجار لم يشعله بعد.

دخل شقته وتوجه مباشرة إلى التلفون دون ان ينتزع قبعته أو معطفه. طلب أربعة أرقام وكان في كل مرة يسأل عن بول مادفيغ، ويسأل من يردّ عليه إذا كان يعرف أين يستطيع ان يجد بول.

بعد المخابرة الرابعة فقد الأمل في العثور عليه. فوضع السماعة في مكانها وتناول السيجار الذي كان قد ألقى به على الطاولة، أشعله ثم وضعه على طرف الطاولة ثانية، ورفع السماعة وطلب مركز جهاز الأمن في المدينة. طلب التحدث إلى مكتب النائب العام. وفيما كان ينتظر الرد مدّ رجله وجرّ كرسياً وجلس وهو يضع السيجار في فمه. ثم قال لمحدثه:

«آلو. هل السيد فار موجود؟... أجل، شكراً».

تنفّس بعمق ونفث الدخان ببطء وتابع يقول: «آلو، فار؟... وصلت منذ بضع دقائق فقط... أجل. هل أستطيع مقابلتك الآن؟... هذا صحيح. هل أخبرك بول شيئاً حول مقتل ويست؟... أتعرف أين هو الآن؟... حسناً، هناك مسألة أريد ان أبحثها معك... أجل، بعد حوالى نصف ساعة... حسناً».

وضع السماعة ومشى إلى طاولة قرب الباب عليها تسع رسائل ومجموعة من المجلات. ألقى نظرة سريعة على المغلفات وألقى بها على الطاولة ثانية دون ان يفتح أياً منها،

ثم دخل غرفة النوم ليخلع ملابسه، ومنها إلى الحمام ليحلق ذقنه ويغتسل.

كان النائب العام ميشال جوزيف فار رجلاً قويّ البنية في الأربعين من عمره. شعره كثيف وخشن وملامحه تدل على انه مشاكس يحب الخصام. لم يكن على مكتبه سوى جهاز التلفون، وعدة خاصة للكتابة من العقيق الأخضر عليها تمثال معدني صغير يرفع طائرة ويحيط به من الجانبين قلما حبر باللونين الأسود والأبيض، وكل قلم يميل إلى جهة عكس الآخر.

صافح نيد بومونت وضم يده بين يديه وشدّه ليجلس على مقعد جلدي قبل ان يتوجه بدوره إلى مقعده. هزّ مقعده إلى الخلف وسأله: «هل استمتعت برحلتك؟» وكانت عيناه تفيضان بالمودّة

رد بومونت. «كانت الرحلة مقبولة. حول موضوع فرنسيس ويست بعد ان تمت إزاحته كيف تبدو القضية ضد تيم ايفانز الآن؟».

اندهش فار، ثم تجاهل دهشته وتحرّك قليلاً في مقعده ليرتاح في جلوسه.

قال: «حسناً، لن يكون للحادثة تأثير كبير في هذا المجال. أقصد انه لا يزال هناك الأخ الثالث ليشهد ضد ايفانز». وتعمّد

ان لا ينظر مباشرة إلى نيد بومونت بل أخذ يتأمل زاوية مكتبه الخشبي وسأله: «لماذا؟ ما الذي تفكر فيه الآن؟».

كان نيد بومونت ينظر إلى الرجل بتمعن ووقار وقال له: «انه مجرد تساؤل. أعتقد انك على حق إذا كان الأخ الثالث يستطيع ان يتعرّف إلى تيم وينوي ان يفعل ذلك».

قال فار دون ان ينظر إليه: «بالتأكيد».

أخذ يهز كرسيه بهدوء إلى الأمام وإلى الخلف عدة مرات. خدّاه المكتنزان كانا يهتزان ببطء، ثم وقف وهو يسعل ليجلو صوته. ونظر مباشرة إلى نيد بومونت وقال له بمودّة: «انتظرني قليلاً. سأتأكد من حسن سير العمل، لأن الموظفين ينسون التعليمات إذا تأخرت عن مراقبتهم. لا تذهب، أريد ان أتحدث إليك حول ديسباين».

أجابه نيد بومونت متمتماً: «لا داعي للعجلة».

وخرج النائب العام من الغرفة، وجلس بومونت يدخّن بهدوء.

عاد فار بعد حوالى خمس عشرة دقيقة وهو عابس وقال: «آسف لأنني تأخرت عليك. لدينا عمل كثير يضغط علينا، وإذا استمرت الحالة على هذا النحو...» وأتمّ الجملة بحركة من يديه تدلّ على يأسه.

ـ «لا عليك. هل هناك معلومات جديدة حول مقتل تايلور هنري؟».

- «لا جديد لدينا. هذا ما أردت أن أسألك عنه... ديسباين».

وكان فار يتحاشى ثانية النظر إلى وجه نيد بومونت.

ارتسمت ابتسامة نحيلة على وجه نيد بومونت وقال:

- «إذا ألقينا نظرة دقيقة على المعطيات التي بحوزتنا يتبين لنا انها غير كافية لتوجيه تهمة ضده».

أحنى فار رأسه ببطء وقال: «ربما، ولكن هروبه من المدينة في الليلة نفسها يثير الشبهات».

قال نيد بومونت: «كان لديه سبب آخر لذلك. سبب مقنع». وابتسم قليلاً.

أحنى فار رأسه ثانية كأنه يريد ان يقتنع بكلام الرجل الآخر، وسأله: «ألا تعتقد ان هناك احتمالاً في ان يكون هو القاتل؟».

ردّ نيد بومونت بلا مبالاة: «لا أعتقد انه ارتكب الجريمة، لكن الاحتمال يظل وارداً وبإمكانك ان تحتجزه لأسباب أخرى ريثما تقوم بالتحريات اللازمة».

رفع النائب العام رأسه ونظر إلى نيد بومونت بألفة وشيء من الحياء وسأله: «قل لي بصراحة ان أذهب إلى الجحيم إذا كنت تعتبر ان هذا لا يعنيني، لكن قل لي أرجوك ما الذي جعل بول يرسلك إلى نيويورك لمطاردة بيرني ديسباين؟».

لبث نيد بومونت صامتاً يفكّر قليلاً. ثم حرّك كتفيه وقال: «هو لم يرسلني، بل تركني أذهب».

لم يعلّق فار على رده.

ملأ نيد بومونت رئتيه بدخان سيجاره، ثم أفرغهما وقال: «بيرني خدعني في رهان، لذلك هرب. وبالصدفة وفي تلك الليلة بالذات قتل تايلور هنري، وفي ذلك اليوم كانت الفرس بيغي أوتول قد فازت وأنا راهنت عليها بألف وخمسمائة دولار».

قال النائب العام بسرعة: «لا بأس يا نيد. أنا لا يعنيني ما تقوم به أنت وبول. لكنني... لست مقتنعاً تماماً ان ديسباين لم يقابل هنري صدفة ويوجه إليه طلقة من مسدسه. أعتقد انني سأحتجزه لفترة على ذمة التحقيق». وابتسم بتملّق وأضاف يقول: «لا تظن انني أقحم أنفي في شؤون بول، أو شؤونك، لكنني...».

وجهه المتورّد كان منتفخاً ومشرقاً. انحنى فجأة وفتح درجاً في مكتبه، وأخذ يقلب بعض الأوراق فيه، ثم تناول من بينها مغلفاً أبيض واستدار حول المكتب ليقف أمام نيد بومونت ويقول له بصوت أجشّ: «أنظر إلى هذا المغلف واعطني رأيك».

أخذ بومونت المغلف منه ولم ينظر إليه مباشرة، ظل يحدق ببرود بوجه النائب العام المتورّد.

ازداد احمرار وجه فار فيما كان الرجل الآخر يتأمله ورفع يده كأنه يسعى إلى تهدئة ردة فعله مسبقاً وقال: «أنا لا أعطي هذا الأمر أهمية كبيرة يا نيد، لكن . أقصد اننا نتلقى دائماً تفاهات كثيرة مماثلة في كل قضية تستجد عندنا و... حسناً، أرجوك ان تقرأ ما فيه بنفسك وتعطيني رأيك».

بعد فترة أخرى من التريّث نقل بومونت نظرته من وجه فار إلى المغلف، وقرأ عليه العنوان المكتوب بواسطة الآلة الكاتبة:

السيد ج. فار المحترم
النائب العام
جهاز الأمن
مبنى البلدية
شخصي.

وعلى ختم البريد تاريخ السبت الماضي.

في الداخل ورقة بيضاء واحدة عليها ثلاث جمل ولا تحمل تحية أو توقيعاً وهي مكتوبة أيضاً بالآلة الكاتبة وتقول:

«لماذا سرق بول مادفيغ قبعة من قبعات تايلور هنري بعد مصرع هذا الأخير؟».

ماذا جرى للقبعة التي كان يضعها تايلور هنري على رأسه عند الاعتداء عليه؟

لماذا صار الرجل الذي ادّعى انه أول من عثر على جثة تايلور هنري أحد الموظفين عندك؟».

طوى نيد بومونت الورقة وأعادها إلى المغلف، ووضع المغلف على المكتب، ثم مسّد شاربه بظفره من الوسط إلى اليسار ومن الوسط إلى اليمين، وقال يوجه كلامه إلى النائب العام محافظاً على هدوئه: «حسناً؟».

اهتزت وجنتا فار مرة ثانية، وعبس وبدت في عينيه نظرة توسّل وقال بإصرار: أرجوك يا نيد. لا تعتقد انني آخذ ما ورد في هذه الورقة على محمل الجد. نحن نتلقى العديد من هذه الرسائل عند وقوع حادثة مماثلة. كنت أريد فقط ان تطلع عليها».

قال نيد بومونت: «لا بأس في ذلك طالما انك تعني ما تقول». وظل يحدق في وجهه وسأله بالنبرة نفسها: «هل أخبرت بول شيئاً حول هذه الرسالة؟».

ـ «لا. لم أره اليوم».

تناول نيد بومونت المغلف عن المكتب ووضعه في جيبه. لم يكن النائب العام مرتاحاً لذلك لكنه لم يقل شيئاً.

قال نيد بومونت بعد ان تناول سيجاراً نحيلاً من جيبه الآخر: «ليس هناك داع لأن تشير إلى موضوع الرسالة أمام بول. لديه ما يكفي من المشاكل».

قاطعه فار على عجل وقال قبل ان ينهي كلامه: «بالتأكيد، سأفعل ما تشاء يا نيد».

لزم كلاهما الصمت لفترة، وأخذ فار يحدق بزاوية المكتب

ونيد يحدق فيه وهو يفكر. وانتهت فترة الصمت هذه بطنين خافت أتى من تحت مكتب النائب العام.

رفع فار سماعة الهاتف وقال: «نعم... نعم».

رفع شفته السفلى لتغطي الشفة العليا وازدادت ملامحه حدة وهو يقول بصوت عال: «هذا غير مقبول! احضروا هذا الوغد واتركوه يواجهه وإذا رفض فسوف يكون لنا شأننا معه... أجل... نفذوا الأمر». وأعاد السماعة إلى مكانها بعنف ونظر إلى نيد بومونت.

كان نيد بومونت يهم بإشعال سيجاره، حين انتبه فجأة والتمعت عيناه وظل السيجار في يد والولاعة المشتعلة في اليد الأخرى. عضّ قليلاً على طرف لسانه، ثم ابتسم ابتسامة لا علاقة لها بالاحساس بالفرح وسأله بنبرة فيها إصرار: «هل هناك أخبار جديدة؟».

رد النائب العام بصوت حانق: «انه بويد ويست الأخ الذي تعرّف على ايفانز. كنت أفكر في هذا الموضوع أثناء حديثنا وأرسلت إليه من يسأله إذا كان يستطيع التعرف إليه. فأجاب الوغد بأنه ليس واثقاً من ذلك».

أحنى نيد بومونت رأسه وكأنه لم يكن يتوقع هذا الخبر، وسأله: «وما تأثير ذلك على القضية؟».

قال فار مزمجراً: «لن أتركه على موقفه هذا. لقد تعرف إليه مرة وسوف يلتزم بأقواله حين يقف أمام هيئة المحكمة. سوف

أرسل في طلبه الآن وعندما انتهي من التحدث إليه سيعود إلى صوابه».

قال نيد بومونت: «حقاً؟ وإذا لم يفعل ذلك؟».

اهتزت طاولة النائب العام من ضربة قبضته القوية وقال: «سوف يفعل ذلك».

يبدو ان نيد بومونت لم يتأثر كثيراً بحدة فار. أشعل سيجاره، وأطفأ الولاعة وأعادها إلى جيبه. ثم نفث الدخان وسأله كأنه يتسلّى: «من المؤكد انه سيفعل ذلك، لكن لنفترض ان عكس ذلك حدث، لنفترض انه سينظر إلى تيم ويقول: «لست متأكداً انه هو الجاني؟»».

ضرب فار على طاولته ثانية وقال: «لن يفعل ذلك. خاصة بعد حديثي معه. لن يجرؤ على أي تصرف بل سيقف أمام المحكمة ويشير إليه قائلاً: «انه هو الجاني»».

تنحى نيد بومونت عن مرحه وقال متعباً: «سوف ينكر معرفته به وأنت تعرف ذلك جيداً. فماذا تنوي ان تفعل بهذا الشأن؟ لا تستطيع شيئاً في هذا المجال، أليس كذلك؟ هذا يعني ان الادعاء على تيم ايفانز يسقط. لقد عثرتم على الشاحنة المحمّلة بالمشروبات الروحية حيث أوقفها، وليس عندكم دليل انه كان يقود الشاحنة التي صدمت نورمان ويست سوى شهادة أخويه. فرنسيس مات وبويد يخاف ان يتكلم وهذا يعني ان التهمة باطلة وأنت تعرف ذلك».

بدأ فار يقول بصوت عال وعصبي: «إذا كنت تعتقد انني سأجلس على...».

أومأ نيد بومونت بيده التي يحمل فيها السيجار معبراً عن ضيقه وقاطعه قائلاً: «إذا كنت جالساً، أم واقفاً، أم تركب دراجة، فأنت مهزوم وتعرف ذلك».

- «حقاً؟ أنا النائب العام في هذه المدينة وهذه المقاطعة وأنا...».

فجأة توقف فار عن تبجّحه. بلع ريقه ليجلو صوته. زالت النزعة العدائية من عينيه ليحل الارتباك محلها أولاً ثم شيء يشبه الخوف.

انحنى ويداه على الطاولة والقلق باد بوضوح على ملامحه. وقال: «أنت تعرف بالطبع انه لو انك أو لو أن بول... أعني إذا كان هناك أي سبب يمنعني... أنت تعرف... نستطيع ان نصرف النظر عن هذا الأمر».

عادت الابتسامة التي لا تدل على الفرح إلى شفتي بومونت والتمعت عيناه خلف دخان السيجار. هزّ رأسه ببطء وأخذ يتكلم بصوت هادىء ومزعج: «لا يا فار ليس هناك سبب معين، أو أي شيء من هذا القبيل. وعد بول انه سيدعم موقف إيفانز بعد الانتخابات، لكن صدق أو لا تصدق، بول لم يحاول إطلاقاً قتل أي انسان، وحتى لو افترضنا انه يفعل ذلك فإن ايفانز ليس مهماً لدرجة ان ترتكب جريمة قتل من

أجله. لا، يا فار، ليس هناك سبب ويزعجني أنك تفكر في هذا الإطار».

قال فار محتجاً: «أرجوك يا نيد إفهمني جيداً. أنت تعرف جيداً أنه لا يوجد في هذه المدينة من نصير لبول ولك أكثر إخلاصاً مني. يجب ان تعرف ذلك. لم أكن أعني مما قلت سوى انكما تستطيعان دائماً الاتكال عليَّ».

قال نيد بومونت: «هذا رائع»، وبدون حماس كبير وقف.

وقف فار بدوره وتقدّم نحوه وهو يمد يده المحمرّة. وقال: «ولمَ العجلة؟ لماذا لم تتأخر قليلاً لترى بعينك كيف سيتصرف ويست عندما يحضرونه؟ أو... وألقى نظرة على ساعته... ماذا تفعل الليلة؟ هل تستطيع ان تتناول العشاء معي؟».

أجاب نيد بومونت: «إنني آسف، لا أستطيع تلبية دعوتك. يجب ان أذهب في الحال».

أخذ فار يهز يده، فهمس بومونت قائلاً: «أجل، سأفعل ذلك» رداً على اصرار النائب العام في أن يزوره في مكتبه وان يرافقه لتناول العشاء ذات ليلة، ثم خرج.

ثلاثة

كان والتر إيفانز يقف بجانب صفّ من الرجال الذين يشتغلون على آلات التسمير في مصنع الصناديق حيث كان موظفاً كمشرف على العمال. رأى نيد بومونت وهو يدخل

فلوّح له بيده في الحال وتوجه نحو الممرّ الرئيس في الوسط لكي يقابله، لكن عيني إيفانز الزرقاوين، ووجهه المستدير، كانت تنمّ عن فرحة أقل مما يحاول إظهاره.

قال نيد بومونت: «مرحباً يا والت، واستدار قليلاً ناحية الباب متنصّلاً من ضرورة ان يسلّم عليه أو ان يتجاهله بشكل واضح، وأضاف يقول: «دعنا نخرج من هذه الضجّة».

قال إيفانز بضع كلمات ضاعت في ضجيج المعدن والخشب، وتوجه الرجلان إلى باب القاعة. وتوجها في الخارج نحو شرفة عريضة من الألواح الخشبية، وسلم خشبي ينزل إلى مستوى الأرض.

وقفا على الشرفة؛ قال نيد بومونت: «أتعرف ان أحد شاهدي الاثبات ضد أخيك قُتل ليلة البارحة؟».

- «أ - أجل، قرأت الخبر في الصد - الصحيفة».

- «أتعرف ان الشاهد الثاني لم يعد متأكداً انه يستطيع التعرّف إلى تيم؟».

- «لـ - لا، لم أكن أعرف ذلك يا نـ - نيد».

قال نيد بومونت: «أنت تعرف طبعاً انه إذا لم يتعرّف إليه فإنهم سيطلقون سراحه».

- «أ - أجل».

قال نيد بومونت: «لا تبدو سعيداً بالخبر كما ينبغي».

مسح إيفانز جبينه بقميصه وقال: «لـ لكنني سعيد يا نـ. نيد، و. والله أنا سعيدا».

ـ «هل كنت تعرف ويست؟ الرجل الذي قُتل؟».

ـ «لـ ـ لا، قابلته مـ. مرة واحدة، كـ ـ كنت أريده ان يكون مـ ـ متسامحاً مع تيم».

ـ «وماذا قال؟».

ـ «رفض».

ـ «متى حدث ذلك؟».

مسح ايفانز وجهه بكم قميصه مرة ثانية وقال: «مـ ـ منذ يومين أو ثـ ـ ثلاثة».

سأله نيد بومونت بهدوء: «هل لديك فكرة عن الذي قتله يا والت؟».

هز ايفانز رأسه بحدّة.

ـ «هل لديك فكرة عن الشخص الذي قد يكون أمر بقتله يا والت؟».

هزّ إيفانز رأسه.

ظل بومونت واقفاً يحدّق وصوت آلات التسمير يملأ المكان ضجيجاً ومن طابق آخر يسمع صوت أزيز المناشير. تنفّس ايفانز بعمق وبصوت مسموع.

بدت ملامح نيد بومونت أكثر وديّة حين نظر في عيني الرجل القصير ثانية. انحنى صوبه قليلاً وسأله: «هل أنت بخير يا والت؟ هل تعلم ان هناك أشخاصاً سيعتقدون انك ربما تكون قتلت ويست لكي تنقذ أخاك. هل عندك...؟».

ـ «كـ ـ كنت في النادي طـ ـ طوال ليلة البارحة، من الساعة الثامنة وحـ ـ حتى الثانية صـ ـ صباحاً». رد إيفانز بالسرعة التي تسمح بها مشكلة النطق عنده، وأضاف: «هاري سلوس وبـ ـ بن فريس وبـ ـ برايغر سيقولون لك ذ ـ ذلك».

ضحك بومونت وقال بمرح: «إنها صدفة سعيدة بالنسبة لك يا والت».

استدار ونزل من السلم إلى الشارع. ولم يلتفت حين قال له والتر ايفانز بلطف شديد: «مع السلامة يا نيد».

أربعة

اجتاز نيد بومونت أربع مجموعات من المباني ثم دخل إلى مطعم ليستخدم التلفون. طلب الأرقام الأربعة التي كان قد طلبها في الصباح، وكان يسأل عن بول مادفيغ، ويطلب ممن يرد عليه ان يبلّغ مادفيغ بضرورة الاتصال به. ثم استقلّ سيارة تاكسي وعاد إلى البيت.

وجد مجموعة جديدة من المغلّفات على الطاولة. علّق قبعته ومعطفه وأشعل سيجاراً وجلس وهو يحمل الرسائل في مقعد

أحمر مريح. الرسالة الرابعة التي فتحها كانت تشبه الرسالة التي أطلعه عليها النائب العام. هي كناية عن ورقة واحدة وتحتوي على ثلاث جمل مطبوعة على الآلة الكاتبة وبدون تحية أو توقيع:

«هل وجدت جثة تايلور هنري بعد مقتله أم انك كنت موجوداً عند تنفيذ الجريمة؟».

لماذا لم تبلّغ عن الجريمة إلاّ من بعد معرفة رجال الشرطة بوقوعها؟

هل تعتقد انك تستطيع إنقاذ المذنب بفبركة أدلّة ضد البريء؟».

أخذ نيد بومونت يتمعن بالرسالة ويفكر وهو يدخن ببطء. تناول الرسالة الثانية من جيبه وأخذ يقارن بين الرسالتين. الورقتان متشابهتان وكذلك الطباعة، وكذلك الطريقة التي رتّبت فيها الجمل الثلاث وتاريخ ختم البريد.

عبس وهو يعيد كل رسالة إلى مغلفها ويضعهما معاً في جيبه، ثم أخرجهما ثانية ليعيد قراءتهما وتفحصهما. التدخين السريع جعل السيجار يحترق من جهة واحدة. وضع السيجار على حافة الطاولة بقربه وبدا متضايقاً وهو يعبث بشاربيه بعصبية. أعاد الرسالتين إلى جيبه وأسند ظهره وهو يحدّق في سقف الغرفة ويقضم أظافره. مرّر أصابعه على شعره. أدخل إصبعيه بين قبة قميصه ورقبته. تناول المغلّفين من جيبه ثانية، لكنه أعادهما إلى جيبه دون ان ينظر إليهما. أخذ يعضّ شفته

السفلى. أخيراً هزّ يديه بانزعاج وانهمك في قراءة باقي الرسائل.

كان يقرأ إحداها حين رنّ جرس التلفون فرفع السماعة: «آلو... آه... مرحباً يا بول... أين أنت؟... هل ستبقى هناك؟... أجل، حسناً، مرّ عليّ في طريقك... حسناً، سأكون في انتظارك».

وعاد يتفحّص رسائله.

خمسة

وصل بول مادفيغ إلى شقة نيد بومونت وجرس الكنيسة المجاورة يدق ناقوس التبشير. دخل وحيّاه قائلاً: «كيف حالك يا نيد. متى وصلت؟» وكان يرتدي بذلة رمادية من التويد.

ردّ عليه نيد بومونت وهو يصافحه: «في وقت متأخر من هذا الصباح».

- «هل نجحت في مهمتك؟».

ابتسم نيد بومونت بارتياح وقال: نجحت في الحصول على ما كنت أطلب... من جميع النواحي».

- «هذا رائع». وألقى مادفيغ بقبعته على المقعد وجلس في مقعد آخر قرب الموقد.

عاد نيد بومونت إلى مقعده، وسأله: «هل حدث شيء أثناء

غيابي؟»، ورفع الكأس الذي كان بجوار الخلاّط الفضي على الطاولة.

- «تمكّنا من تسوية الخلاف حول عقود المجارير».

رَشف قليلاً من شرابه وسأله: «سيتقلّص ربحنا؟».

- «إلى حد كبير. لن نحصل على النتيجة المطلوبة، لكن هذا أفضل من المجازفة بإثارة بعض الأمور والانتخابات قريبة. سنعوّض الخسارة في الأشغال السنة المقبلة عند تنفيذ تمديدات شارعيّ «سالم» و«تشست نات»».

أحنى بومونت رأسه وكان ينظر إلى رجلي صاحبه الممدودتين، وقال: «لا تضع جوارب حريرية مع بذلة من التويد».

رفع مادفيغ رجله قليلاً ليلقي نظرة على جوربه وقال: «صحيح؟ أنا أرتاح حين أرتدي الحرير».

- «لا تضع بذلة تويد إذاً. هل دُفن تايلور هنري؟».

- «الجمعة».

- «ستذهب إلى الجنازة؟».

- «أجل». رد مادفيغ ثم أضاف بعد قليل: «السيناتور اقترح عليّ ذلك».

وضع نيد بومونت الكأس على الطاولة ومسح شفتيه برفق بمحرمة بيضاء أخذها من جيب معطفه. ونظر بشكل منحرف

إلى صاحبه ولم يحاول إخفاء نظرة المرح في عينيه وسأله: «كيف حال السيناتور؟».

أجاب مادفيغ: «انه بخير. كنت برفقته طوال فترة بعد الظهر».

- «في بيته؟».

- «أجل».

- «والشقراء الخطيرة كانت هناك؟».

ردّ مادفيغ بشيء من العبوس: «جانيت كانت موجودة».

أعاد نيد بومونت المحرمة إلى مكانها وأخذ يسعل بصوت مسموع وقال: «آه... إنها جانيت الآن... كيف حالك معها؟».

استعاد مادفيغ هدوءه وقال بوضوح: «أعتقد انني سأتزوجها».

- «وهل تعرف هي ذلك - هل تعرف ان نواياك شريفة؟».

احتج مادفيغ قائلاً: «أرجوك يا نيد! إلى متى ستتركني في موقف الشاهد؟».

ضحك نيد بومونت وتناول الخلاّط الفضي، هزّه قليلاً، وملأ لنفسه كأساً آخر من الشراب، وسأل صاحبه: «ما رأيك بحادثة قتل فرنسيس ويست؟» وجلس والكأس في يده.

بدا مادفيغ حائراً لفترة، ثم ارتاحت ملامحه وهو يقول:

«آه، الرجل الذي أصيب بطلق ناري في جادّة أشلاند ليلة البارحة!».

- «إنه هو».

عادت الحيرة إلى عيني مادفيغ الزرقاوين وقال: «لم أكن أعرفه».

قال نيد بومونت: «إنه شاهد إثبات ضدّ شقيق والتر إيفانز. والشاهد المتبقي، بويد صار خائفاً من الإدلاء بشهادته، وهكذا يسقط الاتهام».

- «هذا جيد»، قال مادفيغ، لكنه حين نطق بالكلمة الثانية كانت علامات الريبة بدأت تظهر في عينيه. ضمّ قدميه وانحنى إلى الأمام وسأله: «هل أنت خائف؟».

- «أجل، إلاّ إذا كنت تفضل كلمة مذعور».

تصلبت ملامح مادفيغ من شدة الانتباه وعيناه صارتا أكثر حدة وسأل بومونت بصوت جازم: «ما الذي ترمي إليه يا نيد؟».

أفرغ نيد بومونت كأسه ووضعه على الطاولة.

«بعدما قُلتَ لوالت إيفانز انك لن تدعم موقف تيم قبل انتهاء الانتخابات، لجأ والت إلى شاد أوروي، وقال دون تغيير في نبرة صوته وكأنه يتلو درساً:

«أرسل شاد اثنين من رجاله لتخويف الأخوين ويست

ومنعهما من الادلاء بالشهادة ضد تيم. أحدهما لم يخف فقتلاه».

قال مادفيغ بعبوس يعترض على هذا التحليل: «وما الذي يجعل شاد يهتم بمشاكل تيم ايفانز؟».

قال نيد بومونت وهو يمدّ يده إلى الخلاّط، وكان يردّ بحدة: «لا بأس، كنت أخمّن فقط. إنس ما قلته».

ـ «لا داعي لأن تقول هذا يا نيد. أنت تعرف جيداً انني أستمع إلى كل آرائك. إذا كان لديك ما تقوله، تفضّل».

وضع نيد بومونت الخلاّط دون ان يملأ كأسه وقال: «ربما يكون ما قلته مجرد تخمين، لكنني أرى الأمر على هذا النحو: الجميع يعرفون ان والت إيفانز يعمل عندك في الدائرة الثالثة وانه عضو في النادي وفي كل النشاطات وانك مستعد لأن تبذل قصارى جهدك لكي تساعد أخاه على الخروج من ورطة في حال طلب إليك ذلك. حسناً، والجميع، أو معظمهم، سيتساءلون ما إذا كنت قد أمرت بإخافة الشهود وقتلهم كي لا يدلوا بأقوالهم. هذا ينطبق على الآخرين، الجمعيات النسائية التي بدأت تخاف منها هذه الأيام، والمواطنون الشرفاء. لكن المقربين ـ أولئك الذين لا يهمهم كثيراً ما إذا كنت فعلت ذلك ـ سيعرفون الأخبار الحقيقية. سوف يعرفون ان أحد رجالك لجأ إلى شاد لمساعدته وأن شاد لبّى طلبه. هذا فخ أوقع فيه شاد ـ أم

انك لا تعتقد انه يلجأ إلى وسائل مماثلة ليزجّك في موقف حرج؟».

قال مادفيغ وهو يشد على أسنانه: «أعرف جيداً انه لن يتورع عن ذلك، هذا الحقير». ولفت نظره ورقة خضراء في السجادة تحت قدميه.

قال نيد بومونت بعد فترة تأمل: «ونستطيع ان ننظر إلى الآخر من زاوية أخرى. ربما لن يحصل شيء لكن الاحتمال وارد إذا أراد شاد ان يستغلّ الموقف».

رفع مادفيغ رأسه وسأله: «ماذا؟».

- «كان والت إيفانز في النادي ليلة البارحة حتى الثانية صباحاً. وقد أمضى هناك ثلاث ساعات إضافية وهو لم يتعود ذلك إلاّ في المناسبات الخاصة حين تكون هناك حفلة عشاء أو اجتماع انتخابي. لنفترض..».

وخفض نيد بومونت صوته قليلاً وصارت نظرته أكثر جدية وأضاف: «شاد يستخدم والت ويقدم دليلاً بأنه هو الذي قتل ويست. الجمعيات النسائية وسائر الأشخاص الذين يحبّون إثارة هذه الأمور سوف يقولون إن تبرير والت خدعة. واننا نحن دبّرنا ذلك لحمايته».

قال مادفيغ: «الحقير». ووقف وهو يضع يديه في جيبي بنطلونه. «أتمنى لو ان الانتخابات كانت منتهية أم مؤجّلة إلى فترة لاحقة».

ـ «ما كان شيء من هذا القبيل سيحدث».

خطا مادفيغ خطوتين إلى وسط الغرفة. قال متمتماً: «لعنة الله عليه». وأخذ يحدق بالتلفون وهو مقطّب الجبين. صدره كان يعلو ويهبط من أنفاسه. قال من زاوية فمه دون ان يلتفت نحو بومونت: «فكّر بطريقة لاعتراض سبيل هذا المخطّط». ثم مشى نحو التلفون وتوقف وقال: «لا بأس»، والتفت يواجه بومونت وقال: «أعتقد انني أعرف كيف أبعد شاد عن مدينتنا الصغيرة. لقد سئمت من وجوده بيننا. أعتقد انني سأباشر في إبعاده ابتداء من هذه الليلة».

قال نيد بومونت: «وماذا ستفعل مثلاً؟».

ابتسم مادفيغ ابتسامة عريضة وأجاب: «سأطلب من رايني مثلاً ان يغلق «دوغ هاوس» و«بارادايز غاردينز» وكل حانة نعرف ان شاد ورجاله لهم علاقة بها. سأطلب من رايني ان يوجه لهم ضربة عنيفة هذه الليلة».

قال نيد بومونت متردداً: «أنت تضع رايني في موقف حرج. رجال الشرطة الموالون لنا لا يتدخلون عادة في عمليات الحظر المفروض بالقوة، ولن يعجبهم طلبك».

قال مادفيغ: «سيلبون طلبي هذه المرة، ولن يسدّدوا بذلك ما هم مدينون به إليّ».

«ربما». وملامحه وصوته يدلان على شكّه في هذه النتيجة وأضاف: «لكن هذه العملية تبدو كاستخدام شحنة متفجرة

لنسف باب خزنة وهناك امكانية بدون إثارة أية ضجة لفتحه بواسطة آلة بسيطة».

ـ «هل لديك خطة للتحرّك يا نيد؟».

هزّ رأسه وقال: «لست متأكداً من أية فكرة، لكن نستطيع ان نتريث يوماً أو يومين حتى...».

هزّ مادفيغ رأسه الآن وقال: «لا، أريد البدء بالتحرك الآن. لا علاقة لي بفتح الخزائن الحديدية، يا نيد، لكنني أعرف كيف أحارب، على طريقتي، وأهاجم بيديّ معاً. لم أتعلم أبداً فن المصارعة، والمرة الوحيدة التي خضت فيها مباراة في المصارعة هزمت. سوف نضع للسيد أوروري شحنة متفجّرة».

ستة

قال الرجل النحيل المفتول العضلات والذي يضع نظارتين: «لا داعي لأن تقلق لهذا الأمر». وأسند ظهره مرتاحاً لردّه.

الرجل الذي يجلس إلى يساره . وهو رجل هزيل الجسم وله شارب كثيف بني اللون ولا يغطي رأسه شعر كثير. قال للرجل الذي يجلس إلى يساره: «لا يبدو الأمر لي بهذه البساطة».

«لا؟» والتفت الرجل النحيل إليه محدّقاً من خلف نظارتيه وقال: «لم يسبق لبول أبداً ان احتاج الحضور بنفسه إلى دائرتي...».

قال الآخر: «هذا هراء!».

وجّه مادفيغ كلامه إلى الأخير قائلاً: «هل رأيت باركر يا برين؟».

قال برين: «أجل رأيته، وهو يقول خمسة، وأعتقد اننا نستطيع الحصول على مجموعتين إضافيتين منه».

قال الرجل الذي يضع النظارتين: «يا إلهي، لم أفكر في ذلك».

التفت نحو برين وقال بانفعال: «نعم؟ وممّن تستطيع الحصول على قدر مماثل؟».

ثلاث طرقات على الباب الخشبي.

نهض نيد بومونت عن مقعده وتوجه إلى الباب وفتحه قليلاً. كان يقف بالباب رجل قصير القامة، أسمر البشرة، يرتدي ثياباً زرقاء بحاجة للكيّ. لم يحاول الدخول وأخذ يتحدث بصوت منخفض، لكن شدة انفعاله جعلت جميع من في الغرفة يسمعونه: «شاد أوروي تحت، وهو يطلب مقابلة بول».

أغلق نيد بومونت الباب والتفت ينظر إلى بول مادفيغ. هذان الرجلان فقط من بين عشرة رجال كانوا داخل الغرفة بدا عليهما انهما لم يتأثرا مما قاله الرجل القصير. الآخرون لم يظهروا انفعالهم علانية ـ بعضهم تصلبت نظراتهم فجأة ـ ولم يحافظ أي واحد فيهم على رتابة أنفاسه الطبيعية.

نيد بومونت تجاهل ان التكرار لا مبرّر له، وقال بصوت يلفت الانتباه. «أوروي يريد مقابلتك. إنه في الطابق الأرضي».

ألقى مادفيغ نظرة على ساعته وقال: «بلّغه انني مرتبط الآن، لكنني أستطيع مقابلته بعد قليل إذا شاء ان ينتظرني».

أحنى نيد بومونت رأسه وقال للرجل الصغير ببطء: «قل له ان بول مشغول الآن، لكنه يستطيع مقابلته بعد قليل إذا انتظره». وأغلق الباب.

كان مادفيغ يسأل رجلاً تميل بشرته إلى الاصفرار حول امكانية الحصول على العديد من الأصوات في الجهة الثانية من شارع «تشيست نات». أجابه الرجل انه يعتقد انهم سيحصلون على أصوات أكثر من المرة السابقة، لكنها مع ذلك لا تكفي لتوجيه ضربة إلى المعارضة. كان يتكلم وعيناه تسترقان النظر إلى باب الغرفة.

جلس نيد بومونت قرب النافذة وكان يدخن سيجاراً.

وجّه مادفيغ سؤالاً إلى رجل آخر، والسؤال يتعلّق بحجم الحملة التي سيساهم فيها رجل يدعى هارتويك. هذا الرجل لم يكن ينظر إلى الباب، لكن إجابته افتقرت للترابط المنطقي.

لم ينجح هدوء مادفيغ ونيد بومونت ولا تركيزهما على مشاكل الحملة الانتخابية في تخفيف حدة التوتر في الغرفة.

بعد خمس عشرة دقيقة وقف مادفيغ وقال: «حسناً، لن

نصل بعد إلى مرحلة الاطمئنان التام، لكننا نمشي في الطريق السليم. اعملوا بجدّ وسوف نحقّق هدفنا».

توجّه نحو الباب وأخذ يصافح كل رجل وهو يخرج من الغرفة. وكان هؤلاء يسرعون الخطى أثناء خروجهم.

كان نيد بومونت لا يزال في مكانه، وسأل مادفيغ بعد ان خرج الآخرون: «هل تريدني أن أبقى هنا أم لا؟».

- «إبق هنا». مشى مادفيغ إلى النافذة ونظر إلى شارع الصين الذي كانت تغمره أشعة الشمس.

سأله نيد بومونت بعد فترة صمت لم تطل: «يداك قويتان ومستعدتان؟».

التفت إليه مادفيغ وأحنى رأسه قائلاً: «لا أعرف طريقة أخرى». وابتسم بصبيانية وقال: «وقدماي أيضاً».

بدأ نيد بومونت يقول شيئاً لكنه سكت حين سمع صوت قبضة الباب.

فتح الباب رجل ودخل. كان متوسط القامة، ذا بنية متناسقة وأنيق المظهر مما أعطاه شكلاً ضعيفاً مخادعاً. مع أن شعره كان أبيض وناعماً لكنه على الأرجح لم يتجاوز الخامسة والثلاثين. عيناه زرقاوان هادئتان، ووجهه يميل إلى الطول والنحول لكنه وسيم الملامح. كان يرتدي معطفاً أزرق داكناً فوق بذلة من اللون نفسه ويحمل قبعة سوداء ويرتدي قفازين أسودين.

الرجل الذي دخل وراءه كان شخصاً متوحشاً متقوّس الساقين وله الطول نفسه؛ بشرته داكنة وهو منفرّ في انحناءة كتفيه وحجم ذراعيه وتسطيح وجهه. قبعته الرمادية كانت على رأسه. أغلق الباب وأسند ظهره إليه ووضع يديه في جيبي معطفه المربّع النقش.

الرجل الأول تقدم بضع خطوات ووضع قبعته على الكرسيّ وبدأ يخلع قفازيه.

كان مادفيغ يضع يديه في جيبي بنطلونه، فابتسم متودّداً وقال: «كيف حالك يا شاد؟».

قال الرجل ذو الشعر الأبيض: «بخير يا بول. وأنت؟». في صوته نبرة موسيقية، وهو يتحدث بلهجة ايرلندية خفيفة.

أومأ مادفيغ برأسه للرجل بالجلوس وسأله: «هل تعرف بومونت؟».

قال أوروي: «أجل».

قال نيد بومونت: «أجل».

لم يتبادل الرجلان التحية، ونيد بومونت لم يقف للرجل الآخر.

خلع أوروي قفازيه ووضعهما في جيب معطفه وقال: «السياسة هي السياسة، والشغل شغل. بدأت أشقّ طريقي متجنباً الديْن، وأنوي الاستمرار على هذا النحو، لكنني أريد

ما أدفع ثمنه». وكان صوته يدل على صدقه في التعبير عن أمر يزعجه.

- «وماذا تعني بقولك هذا؟» سأله مادفيغ كما لو انه لا يهتم كثيراً.

- «أعني ان نصف رجال الشرطة في هذه المدينة يبتاعون الحلوى والشراب بالنقود التي أوزعها أنا وأصدقائي عليهم».

جلس مادفيغ قرب الطاولة وبعدم المبالاة السابقة سأله: «حسناً؟».

- «أريد ما أدفع ثمنه. إنني أدفع لكي يتركوني وشأني. أريد أن يتركوني وشأني».

ضحك مادفيغ ضحكة خافتة وقال: «هل تشكو لي يا شاد ان رجال الشرطة بدأوا يرفضون رشوتك؟ أعني ان دولان أخبرني ليلة البارحة ان أوامر إغلاق الحانات التي تخصّني جاءت منك مباشرة».

ضحك مادفيغ ثانية والتفت يوجه الكلام إلى بومونت وسأله: «ما رأيك في ذلك يا نيد؟».

ابتسم نيد بومونت ابتسامة نحيلة ولم يقل شيئاً.

قال مادفيغ: «هل تعرف ما هو رأيي؟ رأيي ان النقيب دولان يبذل جهداً كبيراً في عمله. أعتقد انه بحاجة إلى فرصة طويلة وهادئة. لا تتركني أنسى ذلك».

قال أوروي: «لقد اشتريت الحماية يا بول، وأريد الحصول عليها. الشغل هو الشغل والسياسة لها مجالها الخاص. فلنتركهما كذلك».

قال مادفيغ: «لا».

عينا أوروي الزرقاوان كانتا تنظران بغموض إلى شيء بعيد. ابتسم ابتسامة حزينة وفي صوته الايرلندي برزت نبرة حزينة وهو يقول: «هذا يعني حوادث قتل».

عينا مادفيغ الزرقاوان كانتا مبهمتين، وكان صوته يصعب إدراك معناه مثل عينيه. قال: «إذا شئت ان تعطي ذلك معنى القتل».

أحنى الرجل ذو الشعر الأبيض رأسه وقال: «سوف يعني القتل بالتأكيد». وبدون ان يغيّر نبرته الحزينة أضاف: «صرت كبيراً الآن وأستطيع مواجهتك».

أسند مادفيغ ظهره ووضع رجلاً فوق رجل. وأجاب بدون اهتمام واضح: «ربما تكون كبيراً لكنك سوف تلقي سلاحك». وشدّ على شفتيه وأضاف بعد فترة تأمل قصيرة: «لقد بدأت تلقي سلاحك».

تخلّت عينا شاد أوروي عن غموضهما وحزنهما. وضع قبعته السوداء على رأسه، ورتّب قبة معطفه، ثم أشار بإصبعه إلى مادفيغ وقال: «سوف أفتح حانة «دوغ هاوس» الليلة. لا

أريد ان يتعرّض أحد لي. حاول ان تضايقني وسوف أضايقك».

مدّ مادفيغ يده وتناول سماعة التلفون. طلب رقم مركز الشرطة وسأل عن المسؤول، وقال له: «مرحباً يا رايني... أجل، جيد. كيف حال عائلتك؟... هذا جيد. اسمع يا رايني، وصلني أن شاد يفكر في فتح إحدى الحانات هذه الليلة... أجل... أجل، ولتكن ضربة لها صداها... حسناً... بالتأكيد. إلى اللقاء».

ووضع السماعة مكانها وقال موجهاً كلامه إلى أوروي: «والآن هل عرفت موقعك؟ لقد انتهيت يا شاد. لقد انتهيت من هذه البلدة».

ردّ أوروي بهدوء: «فهمت» واستدار وفتح الباب وخرج.

تريث الرجل المقوّس القدمين ليبصق ـ عمداً ـ على السجادة وليحدّق متحدياً مادفيغ ونيد بومونت. ثم خرج بدوره.

مسح نيد بومونت كفّيه بمنديله. لم يقل شيئاً لمادفيغ الذي كان ينظر إليه بعينين متسائلتين. عينا نيد بومونت كانتا كئيبتين.

بعد قليل سأله مادفيغ: «حسناً؟».

قال نيد بومونت: «هذا خطأ يا بول».

وقف مادفيغ ومشى نحو النافذة. «يا إلهي!» قال بنبرة شاكية: «ألا يعجبك شيء أبداً؟».

نهض نيد بومونت ومشى نحو الباب.

مادفيغ استدارِ وسأله غاضباً: «هل هذا مزيد من غبائك اللعين؟».

قال نيد بومونت: «أجل» وخرج من الغرفة. نزل إلى الطابق الأول، أخذ قبعته وخرج من نادي «لوغ كابين». مشى مسافة غير قصيرة إلى محطة القطار، واشترى تذكرة إلى نيويورك وحجز سريراً في قطار الليل. ثم استقل سيارة تاكسي إلى شقته.

سبعة

امرأة قوية البنية ترتدي ثياباً رمادية وصبيّ ممتلىء الجسم كانا يعدّان حقيبة نيد بومونت الكبيرة بالاضافة إلى ثلاث حقائب يد صغيرة تحت إشرافه حين رنّ جرس الباب.

وقفت المرأة بصعوبة وتوجهت نحو الباب. فتحته وقالت: «السيد مادفيغ! تفضل بالدخول».

دخل مادفيغ وهو يحييها قائلاً: «كيف حالك يا سيدة دوفين تبدين أصغر سناً كل يوم» وانتبه للحقائب وللصبي وقال: «مرحباً يا تشارلي. هل أنت جاهز لتصبح مشرفاً على خلاّط الإسمنت؟».

ابتسم الصبي بحياء وقال: «كيف حالك يا سيد مادفيغ؟»

رد مادفيغ بابتسامة وحوّل نظره إلى نيد بومونت وسأله: «أتنوي السفر إلى مكان ما؟».

ابتسم نيد بومونت بتهذيب وقال: «أجل».

نظر الرجل الأشقر إلى الغرفة وإلى الحقائب مرة ثانية، وإلى الثياب الموضّبة ـ على المقاعد، وعلى الأدراج المفتوحة. عادت المرأة والصبي لمواصلة عملهما. وجد نيد بومونت قميصين قديمين بين مجموعة من القمصان على أحد المقاعد فوضعهما جانباً.

سأله مادفيغ: «هل تستطيع ان تمنحني نصف ساعة من وقتك يا نيد؟».

ـ «عندي متسع من الوقت».

ـ «هيّا بنا إذا!».

تناول نيد بومونت قبعته ومعطفه وقال للسيدة: «ضعي في الحقائب أكبر كمية ممكنة من الملابس». وتوجه نحو الباب وأضاف: «وما يتبقى نرسله مع الأغراض الأخرى فيما بعد».

نزل مع مادفيغ إلى الشارع وأخذا يمشيان على الرصيف. سأله مادفيغ: «إلى أين أنت مسافر يا نيد؟».

ـ «نيويورك».

دخلا في زقاق ضيّق.

سأله مادفيغ: «لفترة طويلة؟».

هزّ نيد بومونت كتفيه بلا مبالاة وقال: «أنوي مغادرة هذه المدينة نهائياً».

فتحا باباً خشبياً أخضر اللون في القسم الخلفي من أحد المباني، واجتازا ممراً ثم دخلا في باب آخر يفضي إلى حانة حيث كان عدد من الرجال يتناولون الشراب. تبادلا التحيات مع صاحب البار ومع ثلاثة من الزبائن، وعبرا الغرفة إلى غرفة صغيرة تتسع لأربع طاولات فقط. لم يكن هناك أحد في الداخل. جلسا إلى إحدى الطاولات وأطلّ صاحب البار برأسه وسألهما: «الشراب المعتاد أيها السيدان؟».

رد مادفيغ: «أجل، وحين تركهما، نظر إلى صاحبه وسأله: «لماذا؟».

ـ «تعبت مما يدور هنا».

ـ أتقصدني أنا بقولك؟».

لم يردّ نيد بومونت.

لم يقل مادفيغ شيئاً، ثم تنهد بعد قليل وقال: «أنت تتخلّى عني في ظروف قاسية».

عاد صاحب البار وهو يحمل كأسين كبيرين وبعض البسكويت المملّح. خرج وأغلق الباب خلفه. قال مادفيغ: «يا إلهي! أنت صعب جداً يا نيدا».

حرك نيد بومونت كتفيه وقال: «لم أدّع مرة واحدة انني

لست كذلك». ورفع كأسه وشرب قليلاً منها. تناول مادفيغ قطعة بسكويت وأخذ يفتّتها، ثم سأله:

- «هل تنوي السفر فعلاً يا نيد؟».

- «أجل».

ألقى مادفيغ بفتات البسكويت على الطاولة وتناول من جيبه دفتر الشيكات، أخذ منه شيكاً وتناول قلم حبر من جيب آخر وسجّل مبلغاً معيناً على الشيك. ترك الحبر يجفّ قليلاً ثم وضع الشيك أمام نيد بومونت.

نظر نيد بومونت إلى الشيك وهزّ رأسه قائلاً: «لست بحاجة إلى المال وأنت لست مديناً لي بشيء».

- «أنا مدين لك بأكثر من هذا، يا نيد. أرجوك خذه».

قال نيد بومونت: «حسناً، شكراً»، ووضع الشيك في جيبه.

شرب مادفيغ وتناول بسكويته، وشرب ثانية؛ ثم وضع الكأس على الطاولة وسأله:

- «هل تفكر بشيء معين، إلى جانب ما قلته اليوم في النادي؟».

هزّ نيد بومونت رأسه وقال: «لا تحدثني بهذه الطريقة. لا أحد يفعل ذلك».

- «اللعنة يا نيد. لم أكن أعني مضايقتك».

لم يعلّق نيد بومونت على ذلك.

شرب مادفيغ قليلاً وسأله: «هل ستقول لي لماذا تعتقد انني أسأت التصرّف مع أوروي؟».

- «لم يعد لذلك فائدة».

- «جرّب».

قال نيد بومونت: «حسناً، لكن لم يعد لذلك فائدة».

دفع كرسيّه قليلاً إلى الوراء وحمل الكأس في يد، وبعض قطع البسكويت في اليد الثانية وقال: «شاد سيلجأ إلى العنف. انه مضطر لذلك. لقد دفعته إلى زاوية ضيّقة. قلت له انه انتهى هنا. ليس أمامه الآن سوى المغامرة الخطرة. إذا تمكن من التأثير على هذه الانتخابات فسوف يفعل ما بوسعه لكي يثبت وجوده. إذا فزت انت فسيكون مضطراً لأن يتنحّى جانباً على أية حال. أنت تستخدم جهاز الشرطة ضده. سيكون مضطراً للرد عليهم وسوف يفعل ذلك. وهذا يعني بداية موجة من العنف، في الوقت الذي تسعى فيه لإعادة انتخاب جميع أعضاء مجلس المدينة حسناً، إن موجة العنف ـ ولن تكون من حجم يستطيع رجال الشرطة وضع حد له ـ وقبل الانتخابات بفترة قصيرة ستكشف عدم كفاءة المسؤولين. انهم...».

سأله مادفيغ بعبوس: «أتعتقد انه كان يجب عليَّ ان أسايره؟».

- «لم أقل ذلك. إنني أعتقد انك يجب ان تترك له خطاً للتراجع. كان عليك ان تتحاشى دفعه حتى الحائط.

قطّب مادفيغ جبينه بحدة متزايدة وقال: «لا أعرف شيئاً حول اسلوبك في القتال. هو الذي بدأ الحرب. كل ما أعرفه انك حين تضع أشخاصاً في زاوية تهجم عليهم وتتخلّص منهم. هذا الاسلوب كان ناجحاً معي حتى الآن». تورّدت وجنتاه قليلاً وتابع: «لا أعني انني نابليون أو أي قائد من هذا النوع، لكنني كنت أعمل كصبي عند «باكي فلور» في الدائرة الخامسة والتي أسيطر عليها اليوم».

أفرغ نيد بومونت كأسه وقال: «لقد قلت لك انه لا فائدة من الكلام الآن. تصرّف كما يحلو لك. وفكّر ان الذي كان مناسباً في المنطقة الخامسة قديماً يصلح لأي مكان آخر».

كان في صوت مادفيغ استياء وشيء من الإذلال حين سأل صاحبه: «أنت لا تعتبرني سياسياً ناجحاً يا نيد، أليس كذلك؟».

تورّدت وجنتا نيد، وقال: «لم أقل ذلك يا بول».

سأله الآخر بإلحاح: «لكن هذا هو معنى كلامك، أليس كذلك؟».

- «لا، لكنني أعتقد انك تركت المجال هذه المرة لكي يتفوق عليك الآخرون. تركت أولاً عائلة هنري تدفعك لمساندة السيناتور. وهنا كانت فرصة للهجوم والتخلّص من عدوّ

يقف محاصراً في الزاوية، لكن هذا العدو عنده بنت ومركز اجتماعي وأمور أخرى، وهكذا...».

قال مادفيغ متذمّراً: «أسكت يا نيد».

خلا وجه بومونت من أي تعبير. وقف وقال: «حسناً، يجب ان أذهب الآن» واتجه نحو الباب.

لحق به مادفيغ في الحال ووضع يده على كتفه وقال: «انتظر يا نيد».

قال نيد بومونت دون ان يلتفت إليه: «إرفع يدك عنّي».

وضع مادفيغ يده الثانية على ذراع بومونت وأداره نحوه وقال: «اسمعني يا نيد...».

قال له بومونت: «اتركني». وكانت شفتاه شاحبتين ومشدودتين.

هزّه مادفيغ وقال: «لا تكن غبياً. أنت وأنا...».

ضرب نيد بومونت فم مادفيغ بقبضته اليسرى.

رفع مادفيغ يديه عن بومونت وتراجع خطوتين إلى الوراء وظل واقفاً فاغر الفم ومشدوهاً. ثم احتقن وجهه من شدة الغضب وأغلق فمه؛ شد على يديه ودفع كتفيه إلى الأمام وتقدم من بومونت.

مدّ نيد بومونت يده على كأس على الطاولة، لكنه لم يرفع الكأس. انحرف جسمه قليلاً وهو يمد يده. وقف يواجه الرجل

الأشقر وكانت ملامحه صلبة وبرزت خطوط تجاعيد حول فمه. عيناه السوداوان كانتا تحدّقان بشراسة بعيني مادفيغ الزرقاوين.

وقفا على هذه الحال، لا يفصل بينهما أكثر من ياردة واحدة - أحدهما أشقر وطويل وقوي البنية، ينحني إلى الأمام ومستعد للعراك، والثاني أسود الشعر والعينين، طويل ونحيل، وجسمه يميل قليلاً إلى جهة الطاولة ويده على كأس زجاجية ثقيلة الوزن - ولم يكن مسموعاً في الغرفة سوى صوت أنفاسهما. لم يكن أي صوت مسموعاً من الغرفة الأخرى، لا صوت الكؤوس ولا صدى الكلمات ولا صوت المياه.

بعد حوالى دقيقتين ترك نيد بومونت الكأس وأدار ظهره لمادفيغ. لم يتغير شيء في ملامح نيد بومونت لكن عينيه صارتا قاسيتين وباردتين لأنه لم يعد يحدّق بمادفيغ بغضب. خطا خطوة نحو الباب.

قال مادفيغ بصوت أجش صادر من أعماقه: «نيد».

توقف نيد بومونت. صار وجهه أكثر شحوباً. لم يلتفت نحوه.

قال مادفيغ: «أيها الوغد الغبي».

التفت نيد ببطء.

دفع مادفيغ وجه نيد بومونت بيده، حتى كاد يفقد توازنه فمال جانباً بسرعة وأسند يده إلى كرسي.

قال مادفيغ: «يجب عليَّ ان أضربك ضرباً مبرّحاً».

ابتسم نيد بومونت ببراءة وجلس على المقعد الذي أسند نفسه إليه. جلس مادفيغ يواجهه وضرب الطاولة بأسفل الكأس.

فتح صاحب البار الباب وأطلّ برأسه.

قال مادفيغ: «المزيد من الشراب».

من الغرفة الثانية تسربت عبر الباب المفتوح أصوات الرجال وهم يتحدثون وصوت رنين الكؤوس على الكؤوس وعلى الطاولات الخشبية.

- ٤ -

حانة دوغ هاوس

واحد

كان نيد بومونت يتناول فطوره في السرير، ثم صاح: «تفضّل»، وحين فتح الباب الخارجي قال: «مَن؟».

ناداه شخص من غرفة الجلوس قائلاً: «أين أنت يا نيد؟ قبل ان يتمكن نيد بومونت من الرد عليه، دخل الرجل إلى غرفة النوم وقال: «يبدو انك تعيش حياة مرفهة».

كان شاباً قوياً، له وجه مربع وشاحب، وفم مكتنز الشفتين، تدلت من زاويته سيجارة، وله عينان سوداوان فيهما حَوَل وتدلان على خفّة ظلّه.

قال له نيد بومونت: «مرحباً، ويسكي. تفضل بالجلوس».

نظر ويسكي إلى الغرفة من حوله وقال: «عندك ركن مريح هنا». وتناول السيجارة من فمه وبدون ان يدير رأسه أشار بها إلى وراء ظهره وقال: «ما هذه الحقائب في غرفة الجلوس؟ هل أنت مسافر؟».

تناول بومونت قليلاً من البيض المقلي ومضغ اللقمة بتأنٍ وابتلعها قبل ان يجيبه قائلاً: «انني أفكر في السفر».

قال ويسكي: «فعلاً؟» وتوجه نحو مقعد مقابل السرير وسأله وهو يجلس: «إلى أين؟».

- «إلى نيويورك، ربما».

- «ماذا تعني بربّما؟».

- «معي الآن حجز بذلك الاتجاه».

نفض ويسكي رماد سيجارته على الأرض وأعاد السيجارة إلى زاوية فمه؛ وسأله: «كم سيدوم سفرك؟».

كان نيد بومونت يرفع فنجان القهوة، فنظر إلى الشاب وهو يفكر، وقال أخيراً: «لقد اشتريت تذكرة ذهاب فقط»، وشرب قهوته.

حدّق ويسكي بعينين نصف مغمضتين بنيد بومونت، حتى ان إحدى عينيه كانت مغمضة تماماً والثانية صارت خطاً أسود نحيلاً. ورفع السيجارة من فمه ونفض المزيد من الرماد على الأرض. صوته الخشن ارتفع بنبرة إقناع وهو يسأله: «لماذا لا تقابل شاد قبل سفرك؟».

وضع نيد بومونت فنجانه على الصينية وابتسم يقول: «لست وشاد صديقين حميمين حتى يجرح شعوره إذا سافرت دون ان أودّعه.

قال ويسكي: «لم أكن أقصد ذلك».

رفع نيد بومونت الصينية عن رجليه ووضعها على الطاولة قرب السرير. التفت جانباً وأسند مرفقه إلى وسادة، ورفع الغطاء إلى صدره. ثم سأله: «ماذا قصدت؟».

ـ «المقصود ان تعمل أنت وشاد معاً».

هزّ نيد بومونت رأسه وقال: «لا أعتقد ذلك».

سأله ويسكي: «أليس من المحتمل ان تكون على خطأ؟».

اعترف الرجل الممدد على السرير وقال: «صحيح. أخطأت مرة عام ١٩٢١، ولم أعد أذكر السبب».

وقف ويسكي ليطفىء سيجارته في منفضة على الصينية. وظل واقفاً قرب السرير وقال: «لماذا لا تحاول يا نيد؟».

عبس نيد بومونت وقال: «يبدو لي ان ذلك تضييع للوقت، يا ويسكي. لا أعتقد ان شاد وأنا نتفق».

امتص ويسكي اللعاب حول أحد أسنانه بصوت مسموع ومنفّر. قال: «شاد يعتقد انك تستطيع ان تتفق معه».

فتح نيد بومونت عينيه بانتباه وسأله: «حقاً؟ وهل هو الذي أرسلك إليّ؟».

ـ «أجل، أتعتقد أنني سأتحدث إليك بهذا الشأن لو لم يفعل ذلك؟».

ضاقت عينا نيد بومونت ثانية وهو يسأله: «لماذا؟».

ـ «لأنه يعتقد انكما تستطيعان العمل معاً».

سأله نيد بومونت وهو يشرح له قصده: «ما الذي جعله يعتقد انني قد أرغب في العمل معه؟».

نظر إليه ويسكي بانزعاج واضح وسأله: «هل تحاول ان تسخر مني يا نيد؟».

ـ «لا».

ـ «ألا تعتقد ان جميع سكان البلدة يعرفون ما حدث بينك وبين بول في حانة «بيب كارسون» ليلة البارحة؟».

أحنى رأسه وقال بهدوء وكأنه يقول ذلك لنفسه: «هذا هو الدافع إذا!».

قال الرجل ذو الصوت الخشن مؤيداً: «هذا هو الدافع. وشاد يعرف أنك لم توافق مع بول على اغلاق حاناته. أنت الآن في موقع جيد بالنسبة لشاد إذا استخدمت عقلك».

قال نيد بومونت وهو يفكر: «لا أعرف. إنني أرغب في السفر من هنا والعودة إلى المدينة الكبيرة».

قال ويسكي بصوت عال وآمر: «فكر جيداً: المدينة الكبيرة ستظل موجودة بعد الانتخابات. لا تسافر الآن. تعرف جيداً ان شاد كريم جداً وهو يوزّع أموالاً طائلة على الناس لكي يهزم مادفيغ. ابق هنا الآن وخذ نصيباً من هذه الثروة».

قال نيد بومونت ببطء: «لا بأس. لا بأس في التحدث إليه».

قال ويسكي بارتياح: «هذا هو الرأي السليم. هيّا ارتدِ ملابسك لكي نذهب إليه في الحال».

قال نيد بومونت: «حسناً» ونهض من سريره.

إثنان

وقف شاد أوروي وأحنى رأسه قائلاً: «أنا سعيد برؤيتك يا بومونت. ضع قبعتك ومعطفك جانباً وتفضل بالجلوس». لم يمدّ له يده ليصافحه.

قال نيد بومونت وهو يخلع معطفه: «صباح الخير».

قال ويسكي وهو يقف عند الباب: «حسناً، سأراكما فيما بعد».

قال أوروي: «مع السلامة» وأغلق ويسكي الباب خلفه تاركاً الرجلين في الغرفة.

وضع نيد بومونت معطفه وقبعته على الكنبة وجلس بجوارهما. أخذ ينظر بفضول إلى شاد أوروي.

عاد أوروي إلى مقعده المبطّن والذي يغطيه قماش بلون نبيذي باهت ولون ذهبي. وضع رجلاً فوق رجل وضم يديه إلى بعضهما البعض ـ جاعلاً أطراف أصابعه وإبهاميه تتلامس ـ على ركبته. ترك رأسه الوسيم ينحني قليلاً على صدره حتى

بدت عيناه الزرقاوان تنظران إلى نيد بومونت من تحت حاجبيه إلى الأعلى. قال بصوته الايرلني المرح: «إنني مدين لك لأنك حاولت إقناع بول ان...».

- «لست مدينا لي بشيء».

- «حقاً؟».

- «كنت معه حين تحادثتما. وما قلته له فيما بعد كان لأجل صالحه هو. اعتقدت انه مخطىء في لعبته هذه».

ابتسم أوروي بلطف وقال: «سوف يعرف ذلك قبل نهاية اللعب».

ساد الصمت بينهما لفترة. جلس أوروي في مقعده الوثير وهو يبتسم لنيد بومونت. وبومونت جلس على الكنبة وهو ينظر إلى الرجل الآخر بعينين لا تكشفان شيئاً عن حقيقة أفكاره.

وانكسر الصمت حين سأله أوروي: «كم هو المبلغ الذي حدّده لك ويسكي؟».

- «لم يحدّد لي شيئاً، قال انك تريد ان تراني».

- «يبدو لي انه عرف كيف يتصرّف». أبعد يديه عن بعضهما البعض، وأخذ يمسح يداً بيد أخرى، وتابع يقول: «هل أنت وبول انفصلتما نهائياً؟».

أجابه بومونت: «كنت أعتقد انك تعرف ذلك، وانك أرسلت في طلبي بناء عليه».

- «سمعت الخبر، لكن هذا لا يكفي عادة. ماذا تنوي ان تفعل الآن؟».

- «في جيبي تذكرة قطار إلى نيويورك وحقائب السفر جاهزة».

رفع أوروي يده ومررها على شعره الأبيض والناعم.

- «أنت في الأصل قادم من نيويورك، أليس كذلك؟».

- «لم أخبر أحداً بعد من أين جئت».

رفع أوروي يده عن شعره ولوّح بها محتجاً وقال: «وهل تعتقد انني من الأشخاص الذين يهتمون بهذه الأمور؟».

لم يقل بومونت شيئاً.

قال الرجل ذو الشعر الأبيض: «لكنني أهتم بالمكان الذي ستذهب إليه، ولو كان بامكاني لن أتركك تسافر إلى نيويورك في الوقت الحالي. ألم يخطر ببالك انك ما زلت تستطيع ان تحقق الكثير هنا؟».

- «لا»، قال بومونت، «حتى جاء ويسكي وأخبرني».

- «وما رأيك الآن؟».

- «لا أعرف شيئاً بعد. إنني أنتظر أن أسمع منك ما تريد».

أعاد أوروي يده إلى شعر ثانية. عيناه الزرقاوان تتألقان مودّة ودهاء في آن، سأله:

- «منذ متى أنت مقيم هنا؟».

- «منذ خمسة عشر شهراً».

- «ومنذ متى أنت وبول لا تفترقان؟».

- «منذ سنة».

أحنى أوروي رأسه وقال: «أنت تعرف الكثير عنه إذاً!».

- «أجل».

- «ما هو العرض الذي تقدمه لي؟».

نهض أوروي من مقعده وتوجه نحو الباب الذي دخل منه نيد بومونت. فتح الباب ليدخل منه كلب «بُلدغ» ضخم. عاد أوروي إلى مقعده. تمدّد الكلب على السجادة قرب مقعد صاحبه وهو يحدق فيه بعينيه الكئيبتين.

قال أوروي: «أستطيع ان أمنحك فرصة الانتقام من بول».

ردّ نيد بومونت: «هذا لا يعني شيئاً بالنسبة لي».

- « لا يعني شيئاً؟».

- «بالنسبة لي افترقنا وانتهى الأمر».

رفع أوروي رأسه وسأله بهدوء: «وأنت لا تريد ان تقوم بأي عمل يؤذيه؟».

أجاب بومونت بانزعاج: «لم أقل ذلك. أنا لا مانع عندي لإيذائه، لكنني أستطيع أن أفعل ذلك في أي وقت أريد ولوحدي ولا أريدك ان تعتقد أنك تقدم لي شيئاً حين تمنحني فرصة للإنتقام منه».

أخذ أوروي يهزّ رأسه بارتياح وقال: «وأنا موافق طالما انه سينال نصيبه من الأذى. لماذا قتل الشاب هنري؟».

ضحك نيد بومونت وقال: «تمهّل قليلاً. لم تقدم لي عرضك بعد. هذا الكلب لطيف جداً، كم عمره؟».

ـ «سبع سنوات». رفع أورروري قدمه وحكّ له أنفه، أخذ الكلب يهزّ ذيله ببطء بليد. «ما رأيك؟ بعد الانتخابات سأمنحك حصة في أفضل ناد للقمار في هذه الولاية وأتركك تديره كما يحلو لك مع كل وسائل الحماية الممكنة».

ـ «هذا عرض جيد لكنه مشروط». قال نيد بومونت بشيء من الملل وتابع: «مشروط بنجاحك في الانتخابات. على أي حال لست متأكداً أنني أرغب في العيش هنا بعد الانتخابات، ولا أعتقد أنني سأصبر طوال هذه المدة».

توقف أوروي عن حكّ أنف كلبه بطرف حذائه. نظر إلى نيد بومونت وابتسم ابتسامته الحالمة وسأله: «ألا تعتقد اننا سنفوز في الانتخابات؟».

ابتسم نيد بومونت وقال: «لا تراهن على ذلك».

ظلّت الابتسامة الحالمة مرسومة على شفتي أوروي، وهو يسأله: «لا تبدو أنك متحمس يا بومونت للوقوف في صفّي؟».

ـ «لا». ونهض بومونت وهو يحمل قبعته: «لم تكن هذه فكرتي أساساً». بدا صوته عادياً وملامحه تعبر عن لياقته، وتابع: «قلت لويسكي ان هذه المحاولة ستكون إضاعة للوقت. ومدّ يده ليتناول معطفه.

قال الرجل ذو الشعر الأبيض: «إجلس. لا يزال الحوار قائماً بيننا، وقد نصل إلى نتيجة في نهاية هذا اللقاء».

تردّد بومونت، وهزّ كتفيه، ثم أعاد قبعته ومعطفه إلى الكنبة وجلس بالقرب منهما.

قال أوروي: «سأعطيك عشرة آلاف دولار في الحال إذا وافقت على العمل معي، وعشرة آلاف غيرها إذا فزنا على لائحة بول، ويظلّ عرض نادي القمار قائماً ولك مطلق الحرية في قبوله أو رفضه».

زمّ نيد بومونت شفتيه وأخذ يحدّق في حاجبيْ أوروي المشدودَيْن وقال: «وأنت بالطبع تطلب مني ان أشي بكل ما أعرفه عنه».

ـ «أريدك أن تذهب إلى صحيفة أوبزرفور وتكشف هناك كل الحقائق التي تعرفها حول أعماله. عقود المجارير. وملابسات جريمة قتل تايلور هنري، ومسألة المخدرات في الشتاء الماضي، وكل الأساليب الوسخة التي يستعملها في إدارة المدينة».

- «لا يوجد الآن في تمديدات المجارير ما يثير الشبهات». وكان بومونت يقول ذلك وكأنه مشغول البال بأمور أخرى، وتابع: «لقد تخلّى عن أرباحه كي يبدو العمل سليماً في هذه الفترة».

- «حسناً» قال أوروي مقتنعاً وواثقاً بكلام بومونت، وأضاف: «لكن هناك جريمة اغتيال تايلور هنري».

ردّ بومونت مقطّباً جبينه: «أجل، سننال منه في هذه القضية. لكنني لست متأكداً من إثارة مسألة المخدرات»... وتردّد قليلاً ثم تابع يقول: «دون ان أتورّط بنفسي فيها».

قال أوروي بسرعة: «لا، لا نريد ذلك. سنلغي هذه القضية. ماذا لدينا أيضاً؟».

- «ربما نستطيع ان نبحث في الأعمال الجارية لشق طرقات جديدة، بالاضافة إلى المشكلة التي أثيرت السنة الماضية في مكتب كاتب المقاطعة. لكن علينا أن نقوم ببعض التحريات أولاً».

قال أوروي: «الأمر يستحق بعض التعب بالنسبة لي ولك. سأطلب إلى هينكل، وهو الصحافي الذي يعمل في الأوبزرفور، أن يضع المعلومات في الصيغة الملائمة. ليس عليك سوى أن تعطيه المعلومات وهو يكتبها. نستطيع ان نبدأ بجريمة اغتيال تايلور هنري. هذا موضوع جاهز للإستعمال».

مسّد نيد بومونت شاربه برفق وقال بصوت منخفض: «ربما».

ضحك شاد أوروي: «تعني أننا يجب أن نبدأ بالعشرة آلاف دولار؟ لك حق في ذلك». واجتاز الغرفة نحو الباب الذي دخل منه الكلب. فتحه وخرج وأغلقه وراءه. لم يتحرّك الكلب من مكانه.

أشعل نيد بومونت سيجاراً. التفت الكلب نحوه وأخذ يتأمله.

عاد أوروي ومعه رزمة من الدولارات الخضراء تلفّها ورقة بنية اللون كتب عليها بالحبر الأزرق: ١٠,٠٠٠ آلاف دولار.

قال لبومونت: «هينكل موجود في مكتبه الآن، وقد طلبت إليه الحضور إلى هنا».

قال بومونت عابساً: «أحتاج للمزيد من الوقت لكي أركّز تفكيري».

ـ «أعطِ هينكل المعلومات كما تتبادر في ذهنك، وهو سيضعها في إطار مقروء».

أحنى نيد بومونت رأسه ونفث الدخان من فمه وقال: «وأنا موافق».

قدّم له أوروي رزمة الأوراق النقدية.

قال: «شكراً» وأخذها ووضعها داخل جيب معطفه، فانتفخ المعطف فوق صدره.

قال شاد أوروي وهو يعود إلى مقعده: «الشكر لك أنت أيضاً».

رفع بومونت السيجار من فمه وقال: «هناك مسألة أريد أن ألفت نظرك إليها وقد خطرت في بالي الآن. ان تلفيق تهمة لوالتر ايفانز على أنه قاتل ويست لا يضايق بول أكثر من ترك الأمور كما هي».

تأمل أوروي الرجل الآخر بانتباه لفترة ثم سأله: «لماذا؟».

- «لن يتركه بول يستخدم وجوده في النادي كدليل على براءته».

- «تعني انه سيأمر رجاله بأن ينسوا أن والتر كان موجوداً هناك؟».

- «أجل».

أطلق أوروي صوتاً بلسانه، وسأل بومونت: «وكيف تبادر إلى ذهنه انني أخطط لخدعة بالنسبة لإيفانز؟».

- «قد حذرناه بذلك».

ابتسم أوروري: «تعني أنك أنت الذي حذرت، فبول ليس داهية إلى هذا الحد».

ارتسمت على وجه بومونت تكشيرة بسيطة وهو يسأله: «ما نوع الخدعة التي دبّرتها له؟».

ضحك أوروي ضحكة خافتة وقال: «أرسلنا هذا الغبي إلى برايوود لكي يشتري السلاح الذي استخدم في ارتكاب الجريمة».

وفجأة صارت عيناه الزرقاوان حادتين وثاقبتين، ثم عاد إليهما مرحهما وهو يقول: «آه، حسناً، لم يعد لذلك أهمية الآن، بعد ان قرّر بول ان يقيم الدنيا ويقعدها لهذا السبب. هذا ما حمله على اتخاذ القرار بمضايقتي، أليس كذلك؟».

ـ «أجل. مع أن هذا القرار كان سيصدر عاجلاً أم آجلاً. بول يعتقد أنه هو الذي ساعدك على تكوين نفسك هنا وأنك يجب أن تظل تحت جناحه لا أن تكبر وتعانده».

ابتسم أوروي برفق وقال: «وأنا الصبي الذي سيجعله يندم لأنه منحني ذلك الدعم، وتابع يعرض نواياه: «يستطيع ان...».

فتح الباب شاب يرتدي ملابس واسعة رمادية اللون. أذناه كبيرتان جداً وكذلك أنفه. شعره البني الداكن كان يحتاج للتصفيف، ووجهه المتسخ إلى حد ما كان مليئاً بالتجاعيد مع أنه صغير في السن.

قال أوروي: «تفضّل يا هينكل. أقدّم لك بومونت. هو سيزوّدك بالمعلومات، دعني أطّلع على المقالة التي ستكتبها وستكون أول حلقة تصدر في صحيفة الغد».

ابتسم هينكل فظهرت أسنانه غير المتناسقة ووجّه التحية إلى نيد بومونت بتهذيب.

وقف بومونت وهو يقول: «حسناً، سنذهب إلى بيتي ونعمل هناك».

هزّ أوروي رأسه قائلاً: «من الأفضل ان يتم العمل هنا».

حمل نيد بومونت قبعته ومعطفه وابتسم وقال: «أعتذر عن البقاء هنا لأنني أنتظر بعض المكالمات الهاتفية ويجب ان أكون موجوداً في البيت بالنسبة لأمور أخرى. ضع قبعتك يا هينكل».

بدا هينكل مذعوراً فوقف بهدوء ولزم الصمت.

قال أوروي: «يجب أن تبقى هنا يا بومونت، لن نجازف ونتركك تتعرض لأية حادثة. هنا نستطيع تأمين الحماية اللازمة لك».

ارتسمت على شفتي بومونت ابتسامة شديدة اللطف وقال: «إذا كنت قلقاً بالنسبة للمال»... ومدّ يده إلى جيب معطفه وأخرج رزمة الأوراق النقدية.. «تستطيع أن تحتفظ به حتى تطمئن انني سأقدم المادة اللازمة».

قال أوروي بهدوء: «لست قلقاً لأي سبب. لكن يجب ان تعرف انك في موقع حسّاس إذا وصلت بول الأخبار حول قدومك إلى هنا ولا أريد المخاطرة بأن يحاول قتلك».

قال نيد بومونت: «ستكون مضطراً لخوض هذه المخاطرة، لأنني سأذهب إلى البيت».

قال أوروي: «لا».

قال نيد بومونت: «بلى».

استدار هينكل بسرعة وخرج من الغرفة.

استدار نيد بومونت وتوجه نحو الباب الآخر، الذي دخل منه، وكانت خطواته ثابتة ومتمهّلة.

وجّه أوروي بضع كلمات إلى كلب «البلدغ». فنهض الكلب وانطلق بسرعة ليقف في الباب ويحدّق بكآبة في نيد بومونت.

ابتسم نيد بومونت متضايقاً واستدار ليواجه أوروي ثانية. كانت رزمة النقود لا تزال في يده. رفع يده وقال: «تعرف أين تضعها» وألقى بالنقود في وجهه.

حين أنزل نيد بومونت يده تقدم الكلب وهو يثب بخطوات غير رشيقة وأغلق فكّيه عليها. انحنى نيد بومونت إلى جنبه الأيسر من شدة الألم وركع على ركبتيه محاولاً ان يتخلص من ثقل الكلب على ذراعه.

وقف أوروي واتجه نحو الباب الذي خرج منه هينكل، فتحه وقال: «تفضل بالدخول». ثم تقدم نحو نيد بومونت الذي لا يزال راكعاً، والكلب ممدّد على الأرض ويعضّ على يده.

دخل ويسكي إلى الغرفة ومعه رجلان آخران. أحدهما كان الرجل ذا الشكل المنفّر والمقوس القدمين الذي رافق شاد أوروي إلى نادي «لوغ كابين». والآخر كان شاباً في التاسعة عشرة أو العشرين من العمر، له شعر رمليّ اللون، قصير وقويّ وممتلىء الجسم، ومتورّد الخدين ويبدو عنيداً. وقف الشاب العنيد يسدّ الباب خلف نيد بومونت. وضع الآخر يده اليمنى على يد بومونت اليسرى، التي لم يكن الكلب يمسك بها؛ وويسكي يقف بين نيد بومونت والباب الثاني.

قال أوروي للكلب: «باتي».

ترك الكلب يد بومونت وانطلق إلى صاحبه. وقف نيد بومونت ووجهه شاحب يتصبب منه العرق. نظر إلى كمّ معطفه الممزق وإلى رسغه والدم يسيل منه. كانت يده ترتعش.

قال أوروي بلهجته الايرلندية: «أنت المسؤول عما حدث».

رفع بومونت رأسه لينظر إلى الرجل ذي الشعر الأبيض وقال: «أجل. وسأحتاج إلى أكثر من ذلك لكي تمنعوني من الخروج من هنا».

ثلاثة

فتح نيد بومونت عينيه وتأوّه.

الشاب المتورّد الخدين، ذو الشعر الرملي اللون التفت نحوه وصرخ فيه: «أسكت أيها الوغد».

قال الرجل الأسمر والبشع: «دعه يا راستي. ربما يحاول أن يخرج ثانية وسوف نمضي معه وقتاً ممتعاً».

ابتسم ابتسامة عريضة وهو ينظر إلى الورم في يديه وقال: «وزّع الورق».

تمتم نيد بومونت بضع كلمات سمع منها اسم فيدينك، وجلس في السرير. وجد نفسه ممدداً على سرير ضيّق بدون غطاء وهو لا يزال يرتدي بذلته. الفراش كان ملطخاً بالدماء. وجهه متورّم تغطيه الكدمات والجروح. ألصقت الدماء التي جفّت كم القميص أي الرسغ الذي عضّه الكلب، وتلك اليد كانت مكسوّة بالدماء الجافة. كان في غرفة نوم صغيرة، مطلية باللونين الأصفر والأبيض، وفيها كرسيان وطاولة وصندوق ومرآة معلقة على الحائط، وثلاث لوحات لها إطار أبيض معلّقة قرب السرير. مقابل أسفل السرير يوجد باب مفتوح يبدو خلفه حمّام أبيض اللون. وهناك باب آخر مغلق. لم تكن هناك نوافذ.

جلس الرجلان إلى الطاولة يلعبان بالورق. وضعا على الطاولة حوالى عشرين دولاراً.

نظر بومونت إليهما بعينيه العسليتين اللتين تسلّل منهما الحقد كشعاع نحيل صادر من أعماقه، وبدأ يحاول إنزال رجليه عن السرير. لم يكن ذلك سهلاً بالنسبة له. ذراعه اليمنى كانت شبه مشلولة. كان عليه أن يدفع كل رجل

لوحدها حتى حافة السرير بمساعدة يده اليسرى، ووقع مرتين على جنبه خلال هذه العملية، وكان عليه أيضاً ان يدفع بجسمه بمساعدة اليد اليسرى لكي يستوي في جلوسه.

التفت نحوه الرجل البشع مرة وسأله ساخراً: «كيف تسير الأمور معك، يا أخي؟» فيما عدا ذلك تركاه وشأنه.

أخيراً نجح في الوقوف، وهو يرتعش، على قدميه بجوار السرير. مدّ يده اليسرى وأسند جسمه إلى حافة السرير. ثم وقف منتصباً وحدق بهدفه ومشى يترنّح باتجاه الباب المغلق. تعثّر قرب الباب وسقط على ركبتيه، لكنه تمكّن من التقاط مسكة الباب بيده اليسرى ورفع جسمه ليقف ثانية.

وضع الرجل البشع الأوراق على الطاولة بهدوء وقال: «الآن». وبرزت من شفتيه المتبسمتين أسنان بيضاء وجميلة، وحين اتسعت الابتسامة تبيّن ان الأسنان لم تكن طبيعية. تقدم نحو نيد بومونت ووقف بجانبه.

كان بومونت لا يزال قابضاً على مسكة الباب.

قال له الرجل: «خذ هذه يا عزيزي»، وبكل قوته وجّه ضربة بيده اليمنى إلى وجه بومونت.

اندفع بومونت إلى الحائط بفعل الضربة. ارتطم رأسه بالحائط أولاً، ثم جسمه، وسقط على الأرض.

راستي، المتورّد الخدين، كان لا يزال يمسك بالأوراق ولم

يغادر مكانه؛ قال عابساً لكن بدون انفعال: «يا إلهي! جيف، انتبه، سوف تقتله».

قال جيف: «أقتله؟» وأشار إلى الرجل الممدّد عند قدميه ورفسه قليلاً على فخذه وقال: «ليس من السهل قتل رجل مثله. انه قاس. وهو يحبّ ما نفعله به. ثم انحنى قليلاً وشد الرجل الذي فقد وعيه من طية صدر سترته ورفعه قليلاً وسأله: «هل أعجبك الضرب يا صغيري؟» وكان لا يزال يرفعه بيده وباليد الأخرى ضربه على وجهه.

تحركت قبضة الباب من الخارج.

سأل جيف: «من هناك؟».

ردّ شاد أوروي بصوته الودّي: أنا.

جرّ جيف نيد بومونت بعيداً عن الباب كي يتمكن من فتحه، وألقى به على الأرض، ثم تناول المفتاح من جيبه وفتح الباب.

دخل أوروي ومعه ويسكي. نظر أوروي إلى الرجل الممدّد على الأرض، ثم إلى جيف، وأخيراً إلى راستي. تجهم وجهه والتفت يسأل راستي: «هل كان جيف يضربه ليتسلى؟».

هزّ الشاب المتورّد الخدين رأسه وقال: «بومونت هذا وغد. في كل مرة يستعيد فيها وعيه كان يحاول الخروج من الغرفة».

ـ لا أريد أن يُقتل، ليس الآن». ونظر إلى نيد بومونت وتابع: «حاولا ان تعيدا إليه وعيه الآن، أريد التحدث إليه».

نهض راستي من مقعده وقال: «يبدو أنها مهمة صعبة».

قال جيف بتفاؤل: «سننجح في ذلك بالتأكيد. سوف ترى. إمسك رجليه يا راستي». ووضع هو يده تحت إبطيّ نيد بومونت.

حملا الرجل وهو فاقد الوعي إلى الحمّام ووضعاه في الحوض. سدّ جيف الحوض وفتح المياه الباردة من الحنفية والرشاش معاً. وقال: يكفي هذا لكي يستفيق ويغني في وقت قصير.

بعد حوالى خمس دقائق ساعداه على الخروج من الماء وتمكّن من الوقوف على رجليه. أخذاه إلى غرفة النوم والمياه تقطر من ثيابه. كان أوروي يجلس على كرسيّ يدخن سيجاره. ويسكي لم يكن موجوداً. أمرهما أوروي قائلاً: «أتركاه على السرير».

قاد جيف وراستي الرجل إلى السرير، وأداراه ثم دفعا به برفق ليجلس عليه. حين رفعا أيديهما وقع مباشرة على الفراش. شدّاه ليجلس ثانية وصفعه جيف على وجهه وقال: «هيا يا ريب فان وينكل عد إلى الحياة.

قال راستي متذمراً: «لا يبدو أنه قادر على ذلك».

ـ أتعتقد انه لن يسترجع وعيه؟» سأله جيف بمرح وصفع نيد بومونت ثانية.

فتح نيد بومونت عينه التي ليست متورمة.

قال أوروي: «بومونت».

رفع بومونت رأسه وحاول أن يلقي نظرة على الغرفة من حوله، ولم يبد عليه انه رأى شاد أوروي.

تقدم أوروي ووقف أمام نيد بومونت، وانحنى حتى كاد وجهه يلامس وجه بومونت وسأله: «هل تسمعني يا بومونت؟».

نظر بومونت بحقد فاتر إلى أوروي. قال له أوروي: يا بومونت. هل تسمعني؟

حرك بومونت شفتيه المتورمتين بصعوبة وقال: «أجل».

قال أوروي: «حسناً. الآن اسمع ما سأقوله لك. سوف تعطيني المعلومات التي أريدها عن بول». كان ينطق بوضوح دون ان يرفع صوته، وبدون ان تتخلى نبرة صوته عن إيقاعها. «ربما تقول في نفسك انك لا تريد. لكنك ستفعل ما أطلبه. ستظل على هذه الحال حتى تتكلم. هل تفهمني؟».

ابتسم نيد بومونت. حالة وجهه جعلت الابتسامة تبدو مخيفة. قال: «لن أقبل».

تراجع أوروي وقال: واصلا عملكما».

فيما تردّد راستي، اندفع جيف وضرب بومونت وشده من رجليه ليمدّده على الفراش. عندي تجربة أريد القيام بها». رفع رجلي بومونت معاً ثم أسقطهما بعنف على السرير. انحنى فوق بومونت ويداه تعملان على جسده.

انتفض جسم بومونت ويداه بتشنج وتأوّه ثلاث مرات. ثم غاب عن الوعي وسكنت حركته.

وقف جيف ورفع يديه عن الرجل. كان يتنفس بصعوبة، قال بصوت كالهدير وكأنه يتذمر ويعتذّر في الوقت نفسه.. «ليست حالته جيدة الآن. لقد انكسر فكّه».

أربعة

حين استعاد نيد بومونت وعيه كان لوحده في الغرفة، وكان المصباح مضاء. تمكّن بجهد كبير من مغادرة السرير والتوجه نحو باب الغرفة. كان الباب مقفلاً. أخذ يحرك المسكة وانفتح الباب فجأة من الخارج فارتطم نيد بالحائط.

دخل جيف في ملابسه الداخلية وهو حافي القدمين، قال له: «يا لك من محتال! لا تستسلم أبداً. ألا تتعب من رميك على الأرض كل مرة؟».

وضع يده على رقبته وضربه بيده اليمنى مرتين، لكنهما أقل قوة من الضربات السابقة. ثم دفعه وألقى به على السرير مهدّداً: «إلزم مكانك هذه المرة».

كان نيد بومونت ممدداً بسكون مغمض العينين.

خرج جيف وأغلق الباب خلفه.

بصعوبة نزل نيد عن السرير وتوجه إلى الباب. جرّب ان يفتحه. ثم تراجع خطوتين إلى الوراء وجرّب ان يضربه بجسمه، ولم ينجح إلاّ في الارتطام به، ظل يتابع محاولاته إلى ان فتح جيف الباب ثانية.

قال جيف: «لم أر في حياتي رجلاً يحب أن ينال الضرب مثلك، أو رجلاً أحببت أن أضربه إلى هذه الدرجة». ومال إلى جنبه ولوّح بقبضته.

رفع نيد بومونت رأسه فتلقى الضربة على خده، التي ألقت به بلا حراك وسط الغرفة.

بعد حوالى ساعتين دخل ويسكي إلى الغرفة وكان نيد لا يزال على الأرض.

فأيقظه وهو يرشّه بالمياه وساعده على القيام إلى سريره. وتوسّل إليه ويسكي قائلاً: أرجوك فكّر قليلاً. هؤلاء اللصوص سيقتلونك، ولا شيء يمنعهم عن ذلك».

نظر بومونت بفتور إلى ويسكي بعينه الفاترة والتي صارت بلون الدم، وتمكّن من ان يقول «فليفعلوا ذلك».

ونام حتى أيقظه أورُوي وجيف وراستي.

رفض ان يعطي أورُوي أية معلومات حول نشاط بول

مادفيغ. جرّه جيف وراستي عن السرير وضرباه حتى فقد وعيه ثم أعاداه إلى السرير.

تكرّرت هذه العملية بعد حوالى أربع ساعات، ولم يقدموا له طعاماً.

استعاد وعيه ومشى على يديه وركبتيه حتى الحمام بعد عملية ضرب مماثلة، رأى على الأرض خلف قاعدة المغسلة شفرة حلاقة احمرّ لونها من الصدأ. مضت حوالى عشر دقائق وهو يحاول ان يلتقطها بين أصابعه شبه المشلولة، وبعد عدة محاولات فاشلة تمكن أخيراً من حملها. جرب ان يجرح بها رقبته، لكنها وقعت بين أصابعه وكان قد جرح بها خدّه جروحاً طفيفة في ثلاثة أماكن. تمدّد على أرض الحمام وأخذ يبكي حتى نام.

حين استفاق حاول أن يقف، ونجح في ذلك. غسل رأسه بالمياه الباردة وشرب أربعة كؤوس ملآنة. أحسّ بغثيان وأصابته رعشة. عاد إلى غرفة النوم وتمدّد على الفراش الملطّخ بالدماء، لكنه عاد ونهض مباشرة إلى الحمام ونزل على ركبتيه وهو يبحث عن الشفرة حتى عثر عليها. حين وضع الشفرة في جيب سترته، لامست أصابعه الولاّعة. أخرج الولاّعة وأخذ يتأملها. التمعت عينه وهو ينظر إليها، لكن بريقها لم يكن لرجل سليم العقل.

أخذ يرتجف حتى طقطقت أسنانه، فنهض وعاد إلى غرفة

النوم. ضحك بصوت أجش حين رأى الصحيفة تحت الطاولة التي كان الرجلان يلعبان عليها بالورق. مزّق الأوراق وجعلها في كومة ثم حملها إلى الباب ووضعها على الأرض. في الأدراج عثر علي أوراق وضعت لتغطي جوانبها، فانتزعها وأضافها إلى الأوراق قرب الباب. وبواسطة الشفرة مزّق الفراش وأخذ يسحب منه كميات من القطن الرمادي وحملها جميعاً إلى الباب. لم يعد يرتجف الآن، ولم يتعثر في مشيته، وكان يستخدم يديه ببراعة، وبعد ان تعب من جمع القطن من داخل الفراش ونقله، جرّ الفراش كلّه إلى الباب.

قهقه، وبعد ثلاث محاولات تمكّن من اشعال الولاعة. أشعل أسفل الكومة التي جمعها عند الباب. وقف قليلاً قرب الباب منحنياً فوق كومة الأوراق والقطن، وحين تزايد الدخان أخذ يتراجع متمهلاً وهو يسعل. دخل الحمام ونقع منشفة بالماء ثم لفّ بها رأسه وغطّى بها عينيه وأنفه وفمه. عاد متعثراً إلى غرفة النوم التي ملأها الدخان، وسقط قرب السرير وجلس على الأرض.

وجده جيف في ذلك المكان حين دخل.

دخل جيف وهو يسب ويلعن ويسعل من خلال الخرقة التي وضعها على أنفه وفمه. حين فتح الباب دفع معظم الكومة المحترقة جانباً ودفع برجليه ما تبقى منها كي يصل إلى نيد بومونت.

شدّ نيد من قبة قميصه وجرّه إلى الخارج.

ساعده جيف ليقف على قدميه ودفعه حتى آخر الممر، ثم أدخله من باب مفتوح وهو يهدّده ويتوعّده: «سوف ألتهم إحدى أذنيك حين أعود إليك، أيها الوغد». ورفسه، ثم خرج وأغلق الباب خلفه وأقفله بالمفتاح.

أنقذ نيد بومونت نفسه من السقوط على الأرض بعدما رفسه جيف بتمسكه بطرف الطاولة. رفع جسمه قليلاً إلى الأعلى وألقى نظرة على الغرفة. في الغرفة نافذتان. توجه نحو أقرب نافذة وحاول أن يرفعها. كانت مقفلة. فتح القفل ورفع النافذة. الليل يغمر المكان في الخارج. وضع رجلاً فوق حافة النافذة، ثم وضع الرجل الثانية، وصار ممدداً على النافذة وبطنه على الحافة، ثم أسقط رجليه من الناحية الثانية وترك جسمه يسقط ويداه تمسكان بالحافة، تحسّس تحت قدميه يبحث عن دعامة يسند جسمه إليها، لم يجد شيئاً، فترك نفسه يقع.

- ٥ -

المستشفى

واحد

المرضة تضع الضمادات على وجه نيد بومونت.

سألها: «أين أنا؟».

ـ «في مستشفى القديس لوقا». كانت شابة صغيرة القدّ ولها عينان عسليتان كبيرتان، وصوتها هادىء وخافت، ويفوح منها عطر الميموزا.

ـ «في أي يوم نحن؟».

ـ «الاثنين».

ـ «أي شهر وأية سنة؟» وحين رأى عبوسها قال: «دعك من هذا. منذ متى أنا هنا؟».

ـ «هذا ثالث يوم لك هنا».

حاول ان يجلس وسألها: «أين التلفون؟».

قالت: «ليس مسموح لك ان تستعمل التلفون، ولا أن توتّر نفسك».

- «استعمليه أنت إذاً. اطلبي هاتفورد ٦١٦ وقولي للسيد مادفيغ انني يجب ان أراه في الحال».

- «السيد مادفيغ يأتي للإطمئنان إليك كل يوم بعد الظهر. ولا أعتقد ان الدكتور سيسمح لك بالتحدث مع أحد. وحتى الآن تكلمت أكثر بكثير مما ينبغي».

- «هل هذه فترة الصباح أم بعد الظهر؟».

- «الصباح».

- «لا أستطيع أن أنتظر. اطلبيه الآن».

- «سيصل الدكتور تايت بعد قليل».

قال منزعجاً: «لا أريد الدكتور تايت. أريد بول مادفيغ».

- «يجب أن تفعل ما هو مطلوب منك. ستنتظر بهدوء حتى يأتي الدكتور تايت».

عبس وقال: «يا لك من ممرضة ناجحة! ألم يعلمك أحد أن تتجنبي التشاجر مع المرضى؟».

تجاهلت سؤاله.

قال: «وبالاضافة إلى ذلك أنت تؤلمين فكّي».

- «لو تتركه دون ان تحركه فلن يسبب لك ألماً».

هدأ قليلاً ثم سألها: «ما الذي حصل لي؟ أم انك لم تتوصلي في دراستك إلى درجة تفهمين منها ما حصل؟».

- «يبدو أنه عراك بين سكارى» ولم تستطع ان تكتم ضحكتها فأضافت: «أرجوك لا تتكلم كثيراً ولن أسمح بأية زيارة قبل سماع رأي الدكتور في ذلك».

إثنان

وصل بول مادفيغ في بداية فترة بعد الظهر وقال حين رأى صاحبه: «يا إلهي! كم أنا سعيد برؤيتك على قيد الحياة». وأخذ يد الرجل المصاب بين يديه.

قال نيد بومونت: «إنني في حالة جيدة. إسمع ما أقوله: «اصطحب والت إيفانز إلى برايوود لمقابلة تجار السلاح هناك. انه...».

قال مادفيغ: «لقد أخبرتني ذلك في قبل، وقمت باللازم».

عبس بومونت وسأله: «أنا أخبرتك؟».

- «أجل ... صباح اليوم الذي عُثر عليك فيه. حُملت إلى قسم الطوارىء في المستشفى ورفضت أية إسعافات قبل ان تراني، وعندما حضرت أخبرتني عن إيفانز وبرايوود وغبت عن الوعي».

- «لا أذكر شيئاً من هذا! هل جرى توقيفهم؟».

- «ألقي القبض على إيفانز، وقد اعترف بعد ان تعرّف إليه

تاجر السلاح في برايوود، ووجهت النيابة العامة التهمة إلى جيف غاردنر وجون دو، لكننا لن نستطيع النيل من شاد حالياً، غاردنر هو الذي ساوم إيفانز، والجميع يعرفون انه لا يفعل شيئاً إلاّ بعد تلقّي الأمر من شاد، لكن إثبات ذلك ليس سهلا».

ـ «جيف هو الرجل البشع، أليس كذلك؟ هل ألقي القبض عليه؟».

ـ «لا. لقد هرب شاد وأخذه معه إلى جهة مجهولة، بعد فرارك. كنت تحت رحمتهم أليس كذلك؟».

ـ «أجل. كنت في حانة «دوغ هاوس»، في الطابق الثاني. ذهبت إلى هناك لأوقع الرجل في الفخ، فوقعت في فخ كان قد نصبه لي». تنهد وتابع: «أذكر أنني وصلت برفقة ويسكي فاسّوس وأن الكلب عضّ يدي وأن جيف وشاباً أشقر توليا ضربي. ثم أذكر أن النار اشتعلت في الغرفة و... لا أذكر شيئاً أخر. من وجدني؟ وأين؟».

ـ «وجدك رجل شرطة وكنت تزحف وسط شارع كولمان في الثالثة صباحاً تاركاً وراءك خيطاً طويلاً من الدم».

قال بومونت: «إنني أستغرب من تصرّفاتي أحياناً».

ثلاثة

المرضة ذات العينين الكبيرتين فتحت الباب بهدوء وأطلت

برأسها.

خاطبها بومونت بصوت متعب: «تختلسين النظر! ألا تعتقدين أنك كبرت على هذه الأمور؟».

فتحت الممرضة الباب ووقفت عند العتبة وهي تضع يدها على مسكته. قالت: «ليس من المستغرب أن يضربك الآخرون. كنت أتأكد إذا كنت نائماً. السيد مادفيغ و...» وارتفعت نبرة صوتها قليلاً فصارت كلماتها أكثر وضوحاً وهي تقول: «ومعه سيدة وهما يودّان الدخول».

نظر إليها نيد بومونت باهتمام فيه شيء من السخرية وسألها: «وكيف هي هذه السيدة؟».

- «إنها الآنسة جانيت هنري»، أجابته بأسلوب من يعلن نبأ سعيداً غير متوقع.

استدار نيد بومونت إلى الجهة الثانية وأبعد وجهه عن الممرضة، وأغمض عينيه. اهتزت زاوية فمه قليلاً وقال بصوت خال من التعبير: «قولي لهما انني لا أزال نائماً».

قالت له: «لن تستطيع التهرّب لأنهما يعرفان بالتأكيد أنك لست نائماً - حتى دون ان يسمعا صوتك - لأنني لو وجدتك نائماً كنت سأرجع إليهما مباشرة».

تنهّد بانزعاج وأسند نفسه على مرفقه وقال متذمراً: «لو انها ترجع مرة أخرى كنت سأحتمل الأمر».

نظرت إليه الممرضة بازدراء وقالت متهكّمة: «اضطررنا لوضع حماية من رجال الشرطة على باب المستشفى لندفع حشود النساء اللواتي جئن للإطمئنان إليك».

- «أفهم ردة فعلك لأنك على الأرجح تهتمين وتتأثرين لإبنة سيناتور حين تقابلينها، لأنها تكون دائماً بارزة في الصورة، لكن لم يسبق لك أن تعرّضت لملاحقة مثيلاتها كما تعرّضت. لقد صارت حياتي تعيسة بسببهن، دائماً بنات سيناتور، ولا مرة ابنة مندوب أو وزير أو أحد الشيوخ فقط من أجل التغيير - بنات سيناتور فقط - هل تعتقدين ان هؤلاء الرجال يتمتعون بمقدرة أكبر على الإخصاب من...».

قالت الممرضة: «مزاحك مزعج، لا شك أن سبب إعجابهن يعود إلى طريقة تصفيف شعرك. سأطلب إليهما الدخول». وخرجت.

تنفس نيد بومونت بعمق، وتألقت عيناه؛ ثم رطّب شفتيه ثم ابتسم، وحين دخلت جانيت هنري رأت على وجهه قناعاً من التهذيب واللياقة.

تقدمت مباشرة إلى السرير وقالت: «السيد بومونت، كنت سعيدة للغاية حين وصلني أنك تسترد عافيتك وقررت المجيء للإطمئنان إليك».

مدت يدها تسلم عليه وابتسمت له. مع أن عينيها لم تكونا

بلون بني داكن لكن صفاء بشرتها وشعرها الأشقر الفاتح جعلهما بهذا اللون.

ـ «إذا كنت لا ترغب في مجيئي فلا تضع اللوم على بول لأنني ألححتُ عليه كي يصطحبني معه».

ابتسم نيد بومونت وقال لها: أنا سعيد جداً بحضورك. هذا لطف كبير منك».

دخل بول مادفيغ إلى الغرفة ووقف إلى الناحية الثانية من السرير. ابتسم لجانيت بمودّة ثم إلى نيد بومونت وقال: «كنت أعرف أنك ستكون سعيداً بهذه الزيارة، وقد قلت ذلك لجانيت. كيف حالك اليوم؟».

ـ «رائع، تفضّلا بالجلوس».

أجابه الرجل الأشقر: «لن نتأخر. عندي موعد مع ملوغلين في قصر العدل».

قالت له جانيت هنري: «وأنا غير مرتبطة بأي موعد». ووجهت ابتسامتها إلى نيد بومونت ثانية «ـ هل أستطيع أن أبقى ـ لفترة قصيرة؟».

ـ «أرجوك أن تفعلي». قال لها نيد بومونت فيما استدار مادفيغ حول السرير وقدّم لها كرسياً، وابتسم لهما وقال: «هذا جيد».

جلست الفتاة على الكرسي بعد أن ألقت بمعطفها الأسود

وراءها. ألقى مادفيغ نظرة على ساعته وقال متذمراً: «يجب أن أذهب». مدّ يده يصافح نيد بومونت وسأله: «هل تأمرني بشيء؟».

- «لا، شكراً يا بول».

- «حسناً، انتبه لنفسك». والتفت نحو جانيت هنري، ثم التفت يخاطب بومونت مجدداً: «إلى أي مدى تظنّ أنني يجب ان أصل مع ملوغلين في هذه المقابلة الأولى؟».

هزّ بومونت كتفيه قليلاً وقال: «إلى الحد الذي تريد، طالما انك لا تتحدث معه بكلمات صريحة. لأن الصراحة تخيفه. لكنك تستطيع ان تستخدمه حتى لإرتكاب جريمة إذا قدمت له الموضوع بأسلوب مطوّل ومتعرّج، مثلاً: «إذا كان هناك رجل يدعى سميث يعيش في مكان عنوانه كذا وكذا وقد أصيب بمرض أو ما يشبه ذلك ولم يتعاف وأنت بالصدفة جئت لتزورني وبالصدفة أيضاً أرسل أحدهم مغلفاً لك على عنواني، من أين لي أن أعلم انه يحتوي على خمسمئة دولار؟».

أحنى مادفيغ رأسه وقال: «أنا لا أريد ارتكاب أية جريمة، لكننا نحتاج إلى أصوات عمال السكة الحديدية». وتابع بعبوس: «كنت أتمنى لو انك بصحة جيدة يا نيد».

- «سأخرج من هنا بعد يوم أو يومين. هل رأيت صحيفة الأوبزرفور هذا الصباح؟».

ـ «لا».

نظر نيد بومونت حوله وقال: «يبدو أن أحدهم أخذها. المهم أن القذارة واضحة في مقالة وسط الصفحة الأولى، عنوانها: ماذا سيفعل المسؤولون عن مدينتنا بهذا الصدد؟ وتضم المقالة لائحة بجرائم الأسابيع الستة الماضية تبدو وكأننا نواجه موجة إجرامية. وإلى جانبها لائحة أصغر بكثير بأسماء الذين ألقى رجال الشرطة القبض عليهم، وهذه تدل على عجز جهاز الأمن في المدينة، ومعظم الاحتجاج يدور حول مقتل تايلور هنري».

حين ذكر اسم أخيها. أجفلت جانيت هنري وتنهدت بصمت. نظر إليها مادفيغ ثم التفت بسرعة إلى نيد بومونت ليومىء له برأسه محذراً.

لكن نيد بومونت لا يبالي عادة بتأثير كلامه على الآخرين فتابع يقول: «هذه القضية بالذات أثارتها المقالة بحدة. ألقت التهمة على رجال الشرطة بأنهم تعمّدوا التريث في تحرياتهم لمدة اسبوع كي يتمكن أحد المقامرين وهو ذو نفوذ لدى الأوساط السياسية من استخدام الجريمة كوسيلة ضغط لكي يحل إشكالاً حصل بينه وبين مقامر آخر ـ وهذا يعني سفري للقاء ديسباين لكي أحصّل منه نقودي. وتساءل كاتب المقالة عن رأي السيناتور هنري بحلفائه السياسيين الجدد الذين يستغلون موت ابنه لأهدافهم الشخصية».

توتر مادفيغ واحمرّت وجنتاه ونظر إلى ساعته قائلاً على عجل: «سأحصل على نسخة واقرأ هذه المقالة.. يجب ان...».

تابع نيد بومونت يقول بجدية: «إن المقالة تتهم رجال الشرطة أيضاً بشن حملة على حانات ـ مضت سنوات عديدة وهي تحت حمايتهم ـ لأن أصحاب هذه الحانات رفضوا المساهمة في دفع مبالغ كبيرة لحملات انتخابية معينة. هكذا تفسّر المقالة صراعك مع شاد أوروي. ويعد الكاتب بأنه سينشر لائحة بأسماء الحانات التي لا تزال عاملة لأن أصحابها وافقوا على الشروط المفروضة عليهم».

قال مادفيغ: «حسناً، حسناً»، وأضاف بانزعاج واضح يقول لجانيت هنري: «إلى اللقاء وإلى نيد بومونت: «أراك فيما بعد»، وخرج من الغرفة.

انحنت جانيت هنري إلى الأمام وسألت نيد بومونت: «لماذا لا تحبني؟».

قال: «أعتقد أنني أحبك».

هزّت رأسها: «أنت لا تحبني. أعرف ذلك جيداً».

قال لها: «لا تحكمي على مشاعري من خلال سلوكي. انه سيىء غالباً».

أصرّت ولم تبادله ابتسامته وقالت: «أنت لا تحبني وأنا أريدك ان تحبني».

سألها بتواضع: «لماذا؟».

ـ «لأنك صديق بول الحميم».

قال دون أن ينظر إليها مباشرة: «بول عنده أصدقاء كثيرون: إنه سياسي ناجح».

هزّت رأسها وكأنها ستفقد صبرها وقالت: «أنت أفضل صديق عنده». وسكتت قليلاً ثم أضافت: «هو مقتنع بذلك».

سألها بشيء من الجدية: «وما رأيك أنتِ؟».

قالت باهتمام: «أعتقد أنك بالفعل صديق مخلص، وإلاّ ما كنت ممدداً على سرير في المستشفى الآن. ما كنت ستتعرّض لكلّ هذه المخاطرة من أجله».

ابتسم ابتسامة رقيقة ولم يقل شيئاً.

حين أدركت أنه لن يتكلم قالت له بمشاعر صادقة: «أتمنى لو كنت تحبني».

ـ «أعتقد أنني أحبك».

ـ «لا».

ابتسم ابتسامة جذابة وبدا الخجل في عينيه وأراد أن يصارحها فارتبك وهو يقول: «أنت تتصورين ذلك يا آنسة هنري لأسباب سأشرحها لك. يجب أن تعرفي أن بول انتشلني من براثن الفقر، منذ سنة تقريباً، ولهذا تجدينني ارتبك وأشعر بالاحراج حين أجد أشخاصاً من مستواك

الاجتماعي أمامي، لأنكم تنتمون إلى عالم مختلف تماماً عن العالم الذي نشأت فيه ـ قمة المجتمع ومحط الأنظار وكل هذه الأمور ـ وأنت اختلطت عليك الأمور فاعتبرت عدم اللياقة تصرفاً عدائياً، وهذا غير صحيح».

وقفت وقالت: «أنت تسخر مني»، ولم تقل ذلك باستياء.

حين خرجت أسند بومونت رأسه إلى الوسادة وأخذ يحدق في السقف بعينين متألقتين، إلى أن جاءت الممرضة وسألت: «ما الذي فعلته الآن؟».

رفع بومونت رأسه لينظر إليها بوجه متجهم ولم يقل شيئاً.

قالت الممرضة: «لقد خرجت من عندك وهي تكاد تبكي».

أسند بومونت رأسه إلى الوسادة ثانية وقال: «يبدو أنني بدأت أفقد موهبتي، انني عادة أجعل بنات السيناتور يبكين».

أربعة

دخل الغرفة شاب متوسط الحجم، وسيم الملامح وشعره أسود وأملس.

جلس بومونت في السرير وقال مرحباً به: «أهلاً يا جاك».

قال جاك: «تبدو أحسن حالاً مما تصورت» وتقدم نحو السرير.

ـ «لا أزال على قيد الحياة. تفضل بالجلوس».

جلس جاك وتناول من جيبه علبة سجائر.

قال بومونت: «عندي لك مهمة جديدة». دسّ يده تحت الوسادة وأخرج مغلفاً».

أشعل جاك سيجارة قبل أن يتناول المغلف من نيد بومونت. كان المغلف أبيض عادياً وعليه عنوان مستشفى القديس لوقا. وهو مرسل إلى نيد بومونت ويحمل ختم البريد المحلي منذ يومين. في الداخل ورقة واحدة عليها كتابة بالآلة الكاتبة:

«ماذا تعرف عن بول مادفيغ والذي يريد شاد أورروي ان يعرفه عنك بشتى الوسائل؟

هل لذلك علاقة بمقتل تايلور هنري؟

إذا كان الجواب، لا، ما الذي يجعلك تقدم جميع هذه التضحيات لكي يبقى الأمر سراً؟».

طوى جاك الورقة وأعادها إلى المغلف قبل ان يرفع رأسه. ثم سأل: «هل لهذه الأسئلة أهمية؟».

ـ «لا أعرف، لكنني أريدك أن تعرف من الذي كتبها لي؟».

أحنى جاك رأسه وقال: «هل أحتفظ بالرسالة؟».

ـ «أجل».

وضع جاك المغلّف في جيبه وسأل: «هل تشك في شخص معيّن؟».

ـ «اطلاقاً».

حدّق جاك في طرف سيجارته المشتعل وقال بعد قليل: «ليست العملية سهلة كما تعرف».

قال نيد بومونت موافقاً: «أعرف ذلك. وكل ما أستطيع أن أقوله لك انني تلقيت رسالتين من هذا النوع في الاسبوع الماضي. وهذه ثالث رسالة. أعرف أن فار استلم واحدة. ولا أعرف ما إذا كان أحد غيره يتلقى نماذج منها أيضاً».

ـ هل أستطيع رؤية رسائل أخرى؟

قال نيد بومونت: لم أحتفظ إلاّ بهذه. إنها تتشابه جميعاً إلى حدّ بعيد. الورق نفسه والآلة الكاتبة نفسها، وكل واحدة تضمّ ثلاث أسئلة، تدور جميعاً حول موضوع واحد.

نظر جاك إلى نيد بومونت بعينين متسائلتين، وقال: «لكن الأسئلة تختلف من رسالة لأخرى؟».

ـ «ليس تماماً، وهي جميعاً تدور حول نقطة واحدة».

أحنى جاك رأسه ونفث دخان سيجارته.

قال بومونت: «أنت تعرف طبعاً أن هذه المهمة يجب ان تظل بيني وبينك».

ـ «بالتأكيد»، ورفع السيجارة من فمه وقال: «النقطة الواحدة التي أشرت إليها هي علاقة مادفيغ بالجريمة؟».

ـ «أجل» قال بومونت، ونظر إلى الشاب مباشرة وقال: «ومادفيغ ليست له أية علاقة بالجريمة».

صار وجه جاك قناعاً مبهماً وقال وهو يقف: «لا أرى كيف يمكن ان تكون هناك علاقة».

خمسة

دخلت الممرضة وهي تحمل سلّة كبيرة فيها عدة أصناف من الفاكهة. قالت وهي تضعها على الطاولة بجانب سرير بومونت: «أليست جميلة؟».

أحنى بومونت رأسه مسايرة.

تناولت الممرضة مغلفاً صغيراً من بين الفاكهة وقالت: «أراهن انها هي التي أرسلتها» وقدمت المغلف إلى بومونت.

- «وبماذا تراهنين؟».

- «أي شيء تريده».

أحنى بومونت رأسه وهو يشك في نزاهتها: «لقد فتحت المغلف».

- «يا لك من...» وسكتت حين بدأ يضحك، لكن الإزدراء ظل واضحاً في نظرتها.

أخذ البطاقة التي تحمل اسم جانيت هنري، وكانت عليها كلمة واحدة: «أرجوك!». عبس وهو يتأمل البطاقة، وقال للممرضة: «ربحت الرهان»، وأخذ يدق على طرف البطاقة بإصبعه وقال: «خذي ما يحلو لك منها حتى يعتقد من يرى السلّة انني آكل منها باستمرار».

كتب فيما بعد:

«عزيزتي الآنسة هنري،

لقد غمرتني بلطفك، أولاً بزيارتك اللطيفة، ثم بسلّة الفاكهة. لم أعد أعرف كيف أشكرك، لكنني أتمنى أن أتمكن يوماً من التعبير عن امتناني لك.

المخلص نيد بومونت».

حين فرغ من كتابة الرسالة أعاد قراءتها، ثم مزقها وكتبها ثانية على ورقة أخرى، ولم يغيّر فيها سوى الجملة الأخيرة بحيث صارت: أتمنى ان أتمكّن من التعبير عن امتناني لك بوضوح أكثر.

ستة

نيد بومونت هذا الصباح يرتدي روب حمام وينتعل خفّاً ويجلس إلى طاولة قرب النافذة في غرفته في المستشفى، يتناول طعام الفطور ويقرأ صحيفة الأوبرزفور.

دخلت الغرفة أوبال مادفيغ. طوى الجريدة ووضعها بجانب الصينية ووقف يرحب بها بحرارة: «مرحباً يا صغيرتي». كان وجهه شاحباً.

ـ «لماذا لم تتصل بي بعد عودتك من نيويورك؟».

سألته وكأنها تتهمه بإهمالها. وهي أيضاً كانت شاحبة؛ والشحوب زاد بشرتها الفتية رقّة لكنه جعلها تبدو أكبر سناً.

عيناها الزرقاوان كانتا تعبران عن شدة انفعالها، دون أن تكشفا عن حقيقة مشاعرها. ظلّت واقفة تحاول أن تبدو أمامه واثقة من نفسها، وتجاهلت المقعد الذي قدمه لها، وقالت تردّد سؤالها بإصرار: «لماذا لم تتصل بي؟».

ضحك بتسامح وقال: «يعجبني هذا اللون الكستنائي في شعرك».

- «آه، يا نيد، أرجوك».

قال: «هذا أفضل... كنت أنوي الحضور إلى البيت لكن - حسناً - لقد تلاحقت الأحداث منذ عودتي وما كدت أفرغ من محاولة إيجاد حلول لها حتى التقيت بشاد أوروي ووجدت نفسي في المستشفى».

لم تتأثر بنبرة المرح في حديثه. سألته باقتضاب فظّ: «هل سيحكمون على ديسباين بالإعدام؟».

ضحك ثانية وقال: «لن يطول حديثنا إذا بدأناه بهذا الأسلوب».

عبست وقالت: «هل سيفعلون ذلك يا نيد؟» وخففت من غطرستها.

قال لها: «لا أعتقد ذلك» وهو يهز رأسه قليلاً. «يبدو أنه ليس هو قاتل تايلور».

لم تتفاجأ بكلامه وسألته: «هل كنت تعرف ذلك حين طلبت إليّ أن أساعدك في تلفيق دليل ضدّه؟».

ابتسم يلومها قائلاً: «بالطبع لا يا صغيرتي. من تحسبينني؟».

- «كنت تعرف ذلك». وكان صوتها بارداً وهازئاً كالنظرة في عينيها. «كنت تريد فقط ان تحصّل منه نقودك وقد جعلتني أساعدك في استخدام مقتل تايلور لهذه الغاية».

أجاب بدون اكتراث: «افهمي الأمر كما يحلو لك».

تقدمت منه قليلاً، ارتعش خدّاها قليلاً ثم استرجع وجهها الفتيّ صلابته وجرأته وقالت: «هل تعرف من الذي قتله؟» وعيناها كانتا تتأملان عينيه.

هزّ رأسه ببطء.

- «هل هو أبي؟».

نظر إليها مدهوشاً وقال: «تعنين أن بول يعرف الذي قتله؟».

ضربت الأرض برجلها وقالت: «أعني هل قتله أبي؟» وكادت تصرخ وهي تسأله.

وضع يده على فمها والتفتت عيناه نحو باب الغرفة وقال لها: «اسكتي».

تراجعت تبتعد عنه ودفعت يده عن وجهها وسألته بإصرار عنيد: «هل أبي هو القاتل؟».

قال لها بصوت غاضب ومنخفض: «إذا كنت تريدين

بإصرار ان تصبحي مغفّلة فلا داعي لأن تعلني ذلك بصوت عال. لا أحد تهمه أفكارك الغبية والأفضل ان تحتفظي بها لنفسك، ويجب عليك أن تحتفظي بها لنفسك.

اتسعت حدقتا عينيها وقالت: «هو القاتل إذاًا». صوتها خلا من الانفعال، لكنه عبّر عن قناعتها المطلقة.

أحنى رأسه نحوها وقال: «لا، يا عزيزتي»، بصوت غاضب وهادىء وأضاف. «لم يقتله». ظل وجهه قريباً من وجهها وارتسمت على شفتيه ابتسامة بشعة شوّهت ملامحه.

حافظت على عنادها ولم تبتعد عنه وقالت: إذا لم يكن هو القاتل فلا أفهم أي تأثير سيكون لما أقوله إذا قلت ذلك بصوت عال أم لا».

قال لها بسخرية واضحة: «سوف تتفاجئين حين تعرفين مقدار ما تجهلينه، وأضاف غاضباً: «ولن تفهمي ذلك أبداً إذا استمريت على هذا النحو».

تراجع قليلاً، ووضع يديه في جيبي الروب. ظهرت عدة تجاعيد في جبينه، وأخذ يتأمل الأرض عند قدميها. سألها بانفعال: «كيف خطرت ببالك هذه الفكرة المجنونة؟».

ـ «ليست فكرة مجنونة. وأنت تعرف ذلك».

هزّ كتفيه بنفاد صبر وسألها: «كيف خطرت لك؟».

هزّت كتفيها بدورها وقالت: «لم آخذها من أحد. لقد أدركتها فجأة».

- «هراء» قال بحدة ونظر إليها من تحت حاجبيه، وتابع: «هل قرأت الأوبزرفور هذا الصباح؟».

- «لا».

حدق فيها بعينين يملأهما الشك.

تضايقت واحمرت وجنتاها وقالت: «لم أقرأها. لماذا تسأل؟».

- «حقاً؟». سألها بنبرة من لم يصدق ادعاءها، لكن وميض الشك زال من عينيه، وبدت نظرته الآن فاترة ومتأملة. فجأة انتبه، ومدّ يده نحوها وقال: «أعطني الرسالة».

حدّقت فيه بعينين واسعتين وقالت: «ماذا؟».

- «الرسالة؛ الرسالة المكتوبة على الآلة الكاتبة، فيها ثلاث أسئلة ولا تحمل توقيعاً».

أخفضت عينيها لتتحاشى نظرته والارتباك عكّر صفو ملامحها. بعد تردّد لم يطل قالت: «كيف عرفت؟» وفتحت حقيبتها البنية اللون.

قال بدون اهتمام: «كل واحد في هذه البلدة وصلته رسالة منها على الأقل. هل هذه أول رسالة تصلك؟».

- «أجل». وأعطته ورقة مجعّدة.

فتحها وقرأها:

«هل أنت حقاً غبية لدرجة انك لا تعرفين ان والدك هو الذي قتل حبيبك؟

وإذا كنت لا تعرفين ذلك ما الذي جعلك تساعدينه هو ونيد بومونت على إلصاق الجريمة بشخص بريء؟

أتعرفين انك بمساعدتك والدك على الإفلات من قبضة العدالة صرت شريكة في الجريمة؟».

أحنى نيد بومونت رأسه وابتسم قليلاً. «انها جميعاً متشابهة». ولفّ الورقة على شكل كرة صغيرة وألقى بها في سلّة المهملات قرب الطاولة. «ستصلك على الأرجح رسائل أخرى طالما ان اسمك صار مدوناً ضمن اللائحة».

عضت أوبال مادفيغ على شفتها السفلى. عيناها الزرقاوان التمعتا بفتور وهي تتأمل وجه نيد بومونت.

قال لها: «أوروي يحاول ان يستغل هذه القضية في حملته الانتخابية. وأنت تعرفين ما حدث بيني وبينه. لقد ظنّ انني قطعت علاقتي بوالدك، وانه إذا دفع لي مبلغاً معيناً أقبل مساعدته في توجيه تهمة القتل لأبيك - وهذا يكفي طبعاً للفوز عليه في الانتخابات - ولكنني رفضت عرضه».

لم تتغير نظرتها وسألته: «وما سبب خلافك مع أبي؟».

ردّ بلطف: «هذا يخصنا نحن الأثنين فقط، يا عزيزتي. إذا افترضنا اننا اختلفنا في الأصل».

ـ «لقد حصل الخلاف فعلاً. في حانة كارسون».

«وأضافت بجرأة: لقد تشاجرتما بعد أن تبيّن لك أنه هو قاتل تايلور».

ضحك وسألها باستهزاء: «ألم أكن أعرف ذلك منذ البداية؟».

لم تتأثر باستهزائه وسألته: «لماذا سألتني إذا كنت قرأت الأوبزرفور؟ ماذا في الصحيفة؟».

ـ «المزيد من هذا الكلام الذي لا معنى له. الصحيفة على الطاولة إذا كنت تريدين الإطلاع عليها. سينشرون المزيد من هذه الأقاويل قبل بدء عملية الاقتراع. وأنت لا تساعدين والدك فعلاً بتقبّلك هذه الأفكار...» وسكت وهو يلوّح بيده بنفاد صبر لأنه انتبه انها لم تعد تستمع له.

توجهت إلى الطاولة وحملت الصحيفة. ابتسم وقال لها: «المقالة على الصفحة الأولى وعنوانها: رسالة مفتوحة إلى عمدة المدينة».

أخذت ترتجف وهي تقرأ ـ يداها وركبتاها وفمها ـ حتى ان نيد بومونت أخذ يتأملها قلقاً عليها، لكنها حين انتهت من قراءة المقالة وضعت الجريدة جانباً والتفتت نحوه مباشرة بملامح متصلبة وكأنها تمثال لا حياة فيه. تحدثت إليه بصوت منخفض وهي بالكاد تحرك شفتيها وقالت: «لا يجرأون على نشر هذه الأخبار لو لم تكن صحيحة».

ـ «هذه ليست ذات أهمية بالنسبة لما سوف ينشرونه قبل نهاية الانتخابات». قال ذلك بنبرة كسولة وبدا مرحاً وهو يحاول إخفاء غضبه.

نظرت إليه مطوّلاً ثم التفتت نحو الباب ولم تقل شيئاً.

قال لها: «انتظري».

توقفت والتفتت نحو. رأته يبتسم لها بودية يراضيها. ظلت ملامحها جامدة.

قال: «السياسة لعبة قاسية يا صغيرتي، والجميع يلعبونها على هذا النحو هذه المرة. الأوبزرفور مع الفريق الآخر، ولا تهتم إدارتها كثيراً بحقيقة ما ينشرونه عن بول طالما انه يؤذيه. انهم...».

ـ «لا أصدق ذلك. أنا أعرف السيد ماثيوز ـ كانت زوجته متقدمة عليّ ببضع سنوات في المدرسة، لكننا كنا صديقتين ـ وأنا لا أصدق انه يقول شيئاً عن والدي إلاّ إذا كان مقتنعاً بأنه حقيقي، أو أن لديه أسباباً كثيرة تجعله يظن ذلك».

ضحك ضحكة خافتة وقال: «يبدو انك تعرفين الكثير حول هذا الموضوع. السيد ماثيوز غارق في ديونه. الشركة المركزية للودائع تمتلك رهن مؤسسته وبيته. وهذه الشركة تخصّ بيل رون. وبيل رون يخوض الانتخابات ليفوز بمقعد سيناتور بدلاً من هنري. لذلك فإن ماثيوز ينفذ الأوامر التي تعطى له وينشر ما يطلب إليه».

لم تقل أوبال مادفيغ شيئاً. ولم يبد عليها انها اقتنعت بوجهة نظر نيد بومونت.

تابع يقول بحميمية محاولاً إقناعها: «هذه...» وأشار بإصبعه إلى الصحيفة، «محاولة تعتبر بسيطة بالنسبة لما سيحدث لاحقاً. سيظلون يلوّحون بعظام تايلور هنري حتى تخطر لهم قضية أكثر إثارة، وسنقرأ مقالات مشابهة حتى نهاية هذه الحملة. نستطيع ان نعتاد عليها منذ الآن، وأنت، من يين جميع الناس، يجب ألا تتركيها تضايقك. بول لا يهتم بها كثيراً. إنه رجل سياسي و...».

- «وقاتل» قالت بصوت منخفض ومميّز».

ردّ بانزعاج: «وابنته بلهاء. متى تقلعين عن غبائك هذا؟».

- «أبي قاتل».

- «أنت مجنونة. اسمعيني يا صغيرتي. لم يكن لوالدك أية علاقة بمقتل تايلور. انه...».

- «لا أصدقك»، وبكآبة تابعت: «لن أصدقك في حياتي. مرة أخرى».

عبس في وجهها.

التفتت وتوجهت نحو الباب.

- «انتظري... دعيني...».

خرجت وأغلقت الباب خلفها.

سبعة

غضب نيد بومونت بشدة لأنها أغلقت الباب ولم تردّ عليه، وأخذ يفكر ملياً في الأمر، حتى ظهرت التجاعيد في جبينه. وضع إصبعه في فمه وأخذ يقضم أظافره، وملامحه تدل على قلقه.

سمع وقع أقدام عند باب الغرفة. ارتاحت أساريره وتخلى عن عبوسه ومشى نحو النافذة وهو يدندن لحن أغنية. عبرت الأقدام بجوار الغرفة ولم يدخل أحد فتوقف عن الدندنة ورفع الورقة التي تحمل الأسئلة من سلّة المهملات. وضع الورقة وهي لا تزال على شكل كرة في جيبه.

عثر على سيجار في جيبه، فأشعله ووقف وهو يدخن قرب الطاولة وأخذ يتأمل الأوبزرفور ومقالة: «رسالة مفتوحة إلى عمدة المدينة».

«سيدي:

حصلت الأوبزفور على معلومات تعتقد انها في غاية الأهمية لجلاء الغموض المحيط بجريمة اغتيال الشاب تايلور هنري.

هذه المعلومات جمعناها من عدة شهادات خطية يقسم فيها أصحابها على صدق ما يقولون، وهذه الشهادات محفوظة عندنا. تحتوي الشهادات على المعلومات الآتية:

١ . ان بول مادفيغ تشاجر مع تايلور هنري منذ عدة أشهر

حول علاقة الشاب بابنة مادفيغ، وقد منع مادفيغ ابنته من لقاء هنري ثانية.

٢ . ان ابنة بول مادفيغ واصلت مع ذلك لقاءاتها بتايلور هنري في شقة مفروشة استأجرها لهذا الغرض.

٣ . انهما كانا معاً في هذه الشقة المفروشة بعد ظهر اليوم الذي قتل فيه.

٤ . ان بول مادفيغ قصد منزل تايلور هنري ذلك المساء، للاحتجاج إلى الشاب أو أبيه على استمرار العلاقة.

٥ . وان بول مادفيغ بدا غاضباً حين غادر منزل عائلة هنري قبل دقائق من مقتل تايلور هنري.

٦ . ان شهود عيان أفادوا رؤية بول مادفيغ وتايلور هنري في الشارع نفسه وعلى مسافة قريبة من المكان الذي عثر فيه على جثة الشاب، وذلك قبل حوالى خمس عشرة دقيقة من ارتكاب الجريمة.

٧ . وان جهاز الشرطة لم يكلف أي مفتش في اجراء التحريات اللازمة للكشف عن المجرم.

تعتقد الأوبزرفور انك يجب ان تطلع على هذه الأمور، وان الناخبين والمواطنين الذين يدفعون الضرائب يجب ان يطلعوا عليها أيضاً. والأوبزرفور مستعدة لتسليم هذه الشهادات، ومستعدة أيضاً لتقديم أية معلومات أخرى تصلها، لك أو لأي مسؤول تحدّده، ومستعدة لأن تتوقف عن نشر هذه الشهادات

وغيرها من التفاصيل إذا كان ذلك يساعد العدالة لكي تأخذ مجراها.

لكن الأوبزرفور لن تقبل بأن تتجاهل السلطات المعلومات الهامة الواردة في هذه الشهادات. إذا كان المسؤولون الذين ينتخبهم الشعب ويعيّنهم لكي يطبقوا القانون ويوطّدوا الأمن في هذه المدينة، إذا كان هؤلاء لا يعتبرون هذه الشهادات بالأهمية الكافية للاستناد عليها، فسوف ترفع الأوبزرفور الأمر إلى المحكمة العليا، إلى مواطني هذه المدينة، وتنشر كافة ما لديها من معلومات بالتفصيل.

هـ. ك. ماثيوز».

أطلق نيد بومونت صوتاً ساخراً ونفخ دخان سيجاره على المقالة، لكن عينيه دلّتا على قلقه.

ثمانية

بعد ظهر ذلك اليوم زارت نيد بومونت في المستشفى والدة بول مادفيغ.

وضع ذراعيه حول كتفيها وحضنها فدفعته عنها برفق وقالت: «أنت أسوأ من ابني بول».

قال لها: «إنني أشبهه كثيراً»، وساعدها لتخلع معطفها المصنوع من جلد الفقمة.

رتبت فستانها الأسود وجلست على حافة السرير. وضع

المعطف على كرسي ووقف واضعاً يديه في جيبي روب الحمام وأخذ يتأملها.

قالت له: «لا تبدو في حالة سيئة، لكنك لم تتعاف تماماً بعد. كيف حالك؟».

- «هائل. إنني أطيل مدة إقامتي هنا فقط من أجل الممرضات».

- «وهذا لا يدهشني. لكن لا تقف هكذا ترمقني بنظراتك المتودّدة وكأنك قطة. أنت توتر أعصابي. إجلس». وضربت برفق على السرير قربها.

جلس بجانبها.

قالت: «بول مقتنع أنك قمت بعمل عظيم ونبيل لكن رأيي أنك لو أحسنت التصرف منذ البداية لما كنت ستضع نفسك في موقف مماثل».

- «أجل يا والدتي».

قاطعته، وعيناها الزرقاوان تعمدتا النظر إلى عيني بومونت العسليتين، وقالت له: «اسمعني يا نيد، بول لم يقتل ذلك الشاب المدّعي، أليس كذلك؟».

فتح بومونت عينيه وفمه من دهشته وأجاب: «لا».

قالت السيدة العجوز: «وأنا لم أكن أصدق ذلك. بول ولد طيب القلب، لكنني سمعت ان هناك إشاعات مغرضة تدور

حوله، ولا أحد يعلم ماذا يدور في عالم السياسة. أنا لا أفهم شيئاً في هذه الأمور».

اختلطت دهشة بومونت بشيء من المرح وهو ينظر إلى وجهها النحيل.

قالت: «حسناً، إسخر مني، لكنني بالفعل لا أعرف بماذا تفكرون انتم الرجال، أو ماذا تفعلون بدون تفكير. لقد أقلعت عن محاولة البحث في هذه الأمور قبل سنوات عديدة، وأنت لم تكن قد ولدت بعد».

ربّت على كتفها وقال لها بإعجاب: «أنت إنسانة رائعة يا أمي».

أبعدت يده وصوّبت إليه نظرة ثاقبة وقالت: «هل تخبرني إذا كان هو القاتل؟».

هزّ رأسه بالرفض.

- «كيف لي ان أعرف انه لم يفعل ذلك إذا؟».

ضحك وقال يشرح لها: «لو انه قتله كنت سأقول لك «لا»، وإذا طلبت إليّ أن أخبرك الحقيقة وما إذا كان فعل ذلك، كنت سأجيبك «أجل»». وتابع يقول وقد تخلّى عن مرحه: «لم يفعل ذلك يا أمي». وابتسم لها. ابتسم ابتسامة نحيلة وأضاف: «سأكون سعيداً لو ان أحداً غيري في هذه المدينة يعتقد أنه لم يفعل ذلك خاصة إذا كانت والدته هي هذا الشخص».

تسعة

بعد حوالي ساعة من ذهاب السيدة مادفيغ استلم نيد بومونت طرداً بريدياً فيه أربعة كتب أرسلتها جانيت هنري ومعها بطاقتها. كان يكتب لها رسالة شكر مختصرة حين دخل جاك.

قال جاك ودخان سيجارته يتسرب من فمه في الوقت نفسه: «أعتقد أنني وصلت إلى نتيجة، مع انني لا أعرف كيف ستكون ردة فعلك حيالها».

جلس جاك ووضع رجلاً فوق رجل، وألقى بقبعته على الأرض، ونظر إلى سيجارته أولاً ثم إلى نيد بومونت. قال: «يبدو ان هذه الرسائل كتبتها ابنة مادفيغ».

اتسعت عينا بومونت قليلاً، ولفترة قصيرة فقط. شحب لون وجهه وصار تنفسه غير منتظم. لم يطرأ تغيير على صوته وهو يسأل جاك: «ما الذي جعلك تصل إلى هذه النتيجة؟».

من جيب داخلي تناول جاك ورقتين متشابهتين في الحجم ومطويتين بالطريقة نفسها قدمهما إلى بومونت، الذي فتحهما ووجد ان كل واحدة تضم ثلاثة أسئلة، والأسئلة نفسها تتكرر في كل ورقة.

قال جاك: «إحداهما هي الرسالة التي أعطتني إياها البارحة، هل تستطيع تمييزها؟».

هزّ بومونت رأسه ببطء.

قال جاك: «لا يوجد أي فارق بينهما. أنا كتبت الرسالة الثانية في شقة شارع شارتر حيث كان يلتقي تايلور هنري وابنة بول مادفيغ ـ وكتبتها بآلة كاتبة من نوع كورونا، كانت موجودة هناك وعلى ورقة وجدتها هناك. قيل لي إن الشقة لها مفتاحان أحدهما كان معه والآخر معها. ولقد زارت هي الشقة مرتين على الأقل بعد وفاته».

كان نيد بومونت يحدق مقطباً جبينه في الرسالتين، وأحنى رأسه موافقاً على كلام جاك دون ان يرفع نظره نحوه.

أشعل جاك سيجارة ثانية من التي كان يدخنها ونهض وتوجه نحو الطاولة ليطفىء السيجارة الأولى في المنفضة، ثم عاد إلى كرسيّه. لم تكن ملامحه أو تصرفاته تدل على أنه يعطي اهتماماً لردة فعل بومونت.

بعد حوالى دقيقة صمت رفع نيد بومونت رأسه قليلاً وقال: «كيف وصلت إلى هناك؟».

ترك جاك سيجارته في زاوية فمه وقال والسيجارة تهتز مع كلماته: «إشارة الأوبزرفور إلى الشقة هذا الصباح كانت دليلي. وقد ساعدت رجال الشرطة أيضاً، وقد وصلوا إلى المكان قبلي. لكن سنحت لي فرصة جيدة، لأن الشرطي الذي كان مكلّفاً بالبقاء في الشقة ـ كان صديقاً لي ـ فريد هيرلي ـ ولقاء عشرة دولارات سمح لي بالتفتيش كما أريد».

هزّ بومونت الورقتين وسأله: «هل يعرف رجال الشرطة شيئاً حول هذه الرسائل؟».

ـ «أنا لم أخبرهم. وحين حاولت مع هيرلي وجدت أنه لا يعرف شيئاً حول هذا الموضوع ـ هو مكلف بمراقبة الشقة ومحتوياتها حتى يصدر قرار بهذا الشأن. ربما يعرفون وربما لا يعرفون».

نفض رماد سيجارته على الأرض وقال: «بإمكاني ان أعرف الجواب».

ـ «لا داعي لذلك. ما الذي توصلت إليه أيضاً؟».

ـ «لم أبحث عن أية معلومات أخرى».

ألقى بومونت نظرة سريعة على الشاب الأسمر وعلى ملامحه التي تدل على غموض أفكاره، ثم نظر إلى الرسالتين في يده وقال: «كيف هو هذا المكان؟».

ـ «الشقة في مبنى رقمه ١٣٢٤. وهي تتألف من غرفة واحدة ومطبخ وحمام صغيرين، وقد استأجراها باسم فرينش. تدعي السيدة التي تدير هذه الشقة أنها لم تكن تعرف من هما فعلاً، إلاّ بعد مجيء رجال الشرطة اليوم. ربما تكون صادقة.

في هذا النوع من المباني لا تطرح أسئلة كثيرة. تقول السيدة إن الفتاة كانت تزور الشقة غالباً، خاصة بعد الظهر، وانها عادت وحدها مرتين الأسبوع الماضي، وربما كانت تقوم بزيارات سريعة للشقة دون ان يلاحظ أحد وجودها».

- «هل أنت أكيد أنها هي؟».

لوّح جاك بيده دلالة على وجود التباس في الموقف وقال: «الوصف مطابق». سكت وأضاف وهو ينفث الدخان: «انها الفتاة الوحيدة التي رأتها المرأة تدخل الشقة مؤخراً، أي بعد وفاته».

رفع بومونت رأسه ثانية وسأله: «هل كان تايلور يصطحب فتيات غيرها إلى الشقة؟».

لوّح جاك بيده مرة أخرى وقال: «السيدة لم تقل ذلك. لقد قالت إنها لا تعرف، لكن من أسلوبها في الردّ أؤكد أنها كانت تكذب».

- «ألم يكن في استطاعتك معرفة الحقيقة من محتويات الشقة؟».

هزّ جاك رأسه وقال: «لا. لا يوجد الكثير من الأغراض النسائية - ما عدا كيمونو وأدوات للزينة وبيجاما وعدة أغراض أخرى».

- «هل يوجد الكثير من أغراضه؟».

- «هناك بذلة وحذاء وملابس داخلية وبيجاما وجوارب وغيرها».

- «وقبعات؟».

ابتسم جاك وقال: «لا توجد قبعات».

نهض نيد بومونت وتوجه إلى النافذة. إنها بداية الظلام. نقاط مطر عالقة على النافذة، والمطر ما زال يتساقط بهدوء وينقر نقراً خفيفاً على الزجاج. استدار بومونت ليواجه جاك وقال له: «شكراً جزيلاً يا جاك». عيناه حدّقتا في وجه جاك بفتور وهو شارد الذهن تابع: «أعتقد أنني سأكلفك بمهمة جديدة قريباً ـ هذه الليلة على الأرجح. سأتصل بك».

وقف جاك وهو يقول: «حسناً» وخرج من الغرفة.

توجه بومونت نحو الخزانة، وحمل ثيابه إلى الحمام حيث ارتدى بذلته. دخلت الغرفة ممرضة طويلة وممتلئة ولها وجه شاحب لا أثر فيه لمساحيق التجميل.

قالت مدهوشة: «ماذا، لبست ثيابك!».

ـ «أجل، يجب أن أخرج الآن».

اختلط خوفها بدهشتها وقالت تحتج على رغبته: «لكنك لا تستطيع ذلك يا سيد بومونت. صار الوقت ليلاً والسماء تمطر والدكتور تايت سوف...».

قال بانزعاج: «أعرف، أعرف»، وتوجه إلى الباب.

- ٦ -

الأوبزرفور

واحد

فتحت السيدة مادفيغ الباب وصرخت: «نيدا هل جننت؟ تخرج من المستشفى في ليلة كهذه!».

ردّ بدون نشاط: «لم تكن المياه تقطر من التاكسي. هل بول موجود؟».

- «خرج منذ حوالى نصف ساعة، أعتقد أنه ذهب إلى النادي. أدخل أرجوك، أدخل».

- «وهل أوبال في البيت؟» سألها وهو يغلق الباب خلفه ويتبعها إلى غرفة الجلوس.

- «لا. لقد خرجت منذ الصباح تقريباً».

وقف بومونت عند باب غرفة الجلوس وقال: «لا أستطيع أن أبقى هنا، سأقصد النادي وأتحدث مع بول هناك» لم يكن صوته هادئاً.

التفتت السيدة العجوز نحوه بسرعة وقالت تؤنبه: «لن تفعل شيئاً مما قلت. أنظر إلى نفسك، ستصيبك رعشة بعد قليل. ستجلس هنا قرب المدفأة وسأحضر لك شراباً ساخناً».

- «لا أستطيع يا أمي، يجب أن أذهب».

عيناها الزرقاوان اللتان لا تدلان على تقدمها في السن صارتا براقتين وحادتين. سألته: «متى تركت المستشفى؟».

- «منذ قليل».

شدّت على شفتيها ثم فتحتهما قليلاً لتقول له وفي صوتها نبرة اتهام: «لقد هربت». وظهر الانزعاج في عينيها. اقتربت من نيد بومونت وتركت وجهها يقارب وجهه: كانت بطوله تقريباً. صار صوتها خشناً كأنه صادر عن حنجرة جفت من شدة الظمأ، وسألته والخوف في عينيها: «هل يتعلّق الأمر ببول، أو بأوبال؟».

ردّ بصوت خافت يكاد لا يسمع: «الأمر يتعلق بموضوع يجب أن أبحثه معهما».

لامست خده بشيء من الحياء بأصابعها النحيلة وقالت: «أنت صبي طيب يا بول».

وضع ذراعه حول كتفها وقال: «لا تقلقي يا أمي، ليس الأمر سيئاً إلى هذا الحد. أرجوك أن تقولي لأوبال عند عودتها أن تنتظرني».

ـ «هل أستطيع أن أعرف ما هو هذا الموضوع يا نيد؟».

ـ «ليس الآن ـ و ـ حسناً ـ من الأفضل أن لا تظهري أمام أي واحد منهما أنك تعتقدين ان هناك شيئاً ليس على ما يرام».

إثنان

مشى نيد بومونت تحت المطر مسافة طويلة حتى وصل إلى مخزن. طلب سيارة تاكسي بواسطة الهاتف ثم طلب رقمين للسؤال عن السيد ماثيوز. لم يتمكن من التحدث إليه.

طلب رقماً آخر وسأل عن السيد رامسين. بعد قليل قال: «آلو، جاك، أنا نيد بومونت. هل أنت مشغول؟... حسناً. إسمعني جيداً. أريدك ان تعرف ما إذا كانت الفتاة التي تحدثنا عنها قد زارت السيد ماثيوز صاحب جريدة الأوبزرفور اليوم، وماذا فعلت طوال النهار... هذا صحيح، هال ماثيوز. جربت الاتصال به في الجريدة وفي البيت ولم أجده... حسناً، بصورة سرية إذا استطعت، لكن جرّب ان تحصل على المعلومات بأسرع وقت ممكن... لا، لقد تركت المستشفى. سأكون في البيت في انتظار جوابك. أنت تعرف رقم الهاتف هناك... أجل، جاك، جيد، شكراً، واتصل بي إذا احتجت لشيء... إلى اللقاء».

خرج من المخزن ووجد التاكسي في انتظاره. أعطى السائق عنوان بيته، وبعدما قطعت السيارة مسافة غير طويلة طلب إلى السائق ان يوصله إلى عنوان آخر.

توقف التاكسي أمام بيت رمادي يحتل مساحة وسط مرجة خضراء منحدرة. قال للسائق وهو ينزل: «انتظرني».

رنّ جرس الباب ففتحت له خادمة لها شعر أحمر.

سألها: «هل السيد فار موجود؟».

«سأرى إذا كان موجوداً. من يريده؟».

- «السيد بومونت».

دخل النائب العام إلى قاعة الاستقبال وهو يمد يديه مرحباً بالزائر. وجهه الممتلىء كان يفيض إشراقاً. قال وهو يندفع نحوه: «أهلاً، أهلاً، بومونت، هذه زيارة مفرحة حقاً، أعطني قبعتك ومعطفك».

ابتسم بومونت وهزّ رأسه قائلاً: «لا أستطيع أن أبقى فترة طويلة. جئت في زيارة قصيرة فقط وأنا في طريقي من المستشفى إلى البيت».

- «وقد تعافيت تماماً؟ هذا رائع!».

- «أشعر أنني على ما يرام. هل هناك أخبار جديدة؟».

- «لا شيء يسترعي الاهتمام. الأشخاص الذين اعتدوا عليك ما زالوا فارين من العدالة - يختبئون في مكان ما - لكننا سنقبض عليهم».

قال نيد بومونت وهو غير واثق تماماً من أهمية هذه الخطوة: «أنا لم أمت، وهم لم يحاولوا قتلي: لن تستطيع ان توجّه إليهم

أكثر من تهمة اعتداء». ونظر إلى فار بعينين مرهقتين وسأله: «هل وصلتك رسائل جديدة فيها ثلاث اسئلة؟».

بلع ريقه وقال: «أجل، وصلتني رسالة أو رسالتان».

ـ «كم رسالة؟» سأله بومونت بصوت مهذب ولبق. ارتسمت على شفتيه ابتسامة نحيلة والتمعت عيناه بالمرح وهو ينظر في عيني فار.

بلع النائب العام ريقه وقال بتردد: «ثلاث». ثم أضاف: «هل سمعت عن الاجتماع الكبير الذي عقدناه...؟».

قاطعه بومونت وسأله: «وجميعها متشابهة؟».

ـ «أجل، إلى حد ما». بلّل شفتيه ونظر إلى بومونت كأنه يرجو منه ان يكف عن استجوابه.

ـ «إلى أي مدى؟».

انحدرت نظرة فار من عيني بومونت إلى رباط عنقه وانحرفت نحو كتفه الأيسر. حرك شفتيه لكنه لم يتكلم.

ابتسم بومونت بخبث واضح الآن وسأله بأسلوب معسول: «وجميعها تقول ان بول مادفيغ قتل تايلور هنري؟».

أجفل فار وشحب وجهه، ومن شدة اضطرابه نظر إلى عيني بومونت ثانية وقال يستجمع أنفاسه: «يا إلهي! نيدا!».

ضحك بومونت وقال: «أنت مضطرب يا فار» وتابع بأسلوبه المعسول: «انتبه لنفسك وإلاّ فإنك ستنهار». ثم سأله

بنبرة جدية: «هل قال لك بول شيئاً حول هذا الأمر؟ أعني حول أعصابك».

- «ل. لا».

ابتسم بومونت ثانية وقال: «لم يلاحظ ذلك على الأرجح. رفع يده وألقى نظرة إلى ساعته، ثم إلى فار وسأله بحدة: «هل عرفتم من الذي يكتب هذه الرسائل؟».

تلعثم النائب العام في ردّه وقال: «اسمعني، يا نيد، لا أريد - أنت تعرف - ليس الأمر -»، وسكت.

سأله بومونت بإصرار: «حسناً؟».

بلع ريقه وقال يائساً: «لقد وصلنا بتحرياتنا إلى استنتاج لكن من السابق لأوانه الإعلان عنه لأن التحريات ما زالت مستمرة. أنت تعرف كيف تتم هذه الأمور».

أحنى بومونت رأسه. لم تعد تظهر على وجهه سوى علامات المودة. صار صوته بارداً وخالياً من الانفعال حين قال: «عرفتم أين كانت تكتب ووجدتم الآلة، هذا كل ما توصلتم إليه. وليست عندكم معلومات تكفي لأن تخمنوا من كتبها».

قال فار بارتياح ظاهر: «هذا صحيح يا نيد».

تناول نيد بومونت يد فار وصافحه بحرارة. وقال: «هذه هي المعلومات التي تعرفونها حتى الآن! يجب أن أذهب! لن

تخطىء إذا أبطأت في التحرك، طالما انك واثق من انك على حق. ثق بكلامي هذا».

وجه النائب العام وصوته كانا يفيضان حرارة وانفعالاً وهو يقول: «شكراً لك يا نيد، شكراً لك!».

ثلاثة

عند التاسعة وعشر دقائق من مساء ذلك اليوم رنّ جرس التلفون في غرفة الجلوس في منزل نيد بومونت. توجه مسرعاً نحو التلفون ورفع السماعة.

ـ «آلو... أجل. جاك... أجل... أجل... أين؟... أجل، هذا رائع... يكفي لهذه الليلة. أشكرك».

وقف وهو يبتسم بشفتين شاحبتين. عيناه تتألقان برغبة متهوّرة، ويداه ترتعشان قليلاً.

وقبل أن يخطو بعيداً عنه. رّن جرس التلفون. تردّد ثم مدّ يده إلى السماعة: «آلو... آه، بول... أجل، لقد مللت من لعب دور المريض العاجز... لا شيء مهماً ـ فكرت فقط أن أزورك وأمضي معك بعض الوقت... لا، لا أستطيع. لست قوياً كما كنت أعتقد، سآوي إلى الفراش بعد قليل... أجل، غداً، بالتأكيد... مع السلامة».

ارتدى معطفه الواقي من المطر ووضع قبعته ثم نزل إلى

الشارع. حملت الريح مياه المطر إلى وجهه وهو يمشي إلى المرآب عند ناصية الشارع.

في كشك زجاجي داخل المرآب جلس رجل طويل وهزيل الجسم، ذو شعر بني، ويرتدي بنطلوناً فضفاضاً له حمالتان، كان أبيض اللون، وكان يسند ظهره إلى مقعده الخشبي ويرفع رجليه على رف صغير فوق مدفأة كهربائية وهو منهمك في قراءة الصحيفة. وضع الصحيفة جانباً حين رأى نيد بومونت الذي بادره بإلقاء التحية: «مرحباً يا تومي».

الوسخ المتراكم على وجه تومي جعل أسنانه تبدو أكثر بياضاً مما هي عليه. ابتسم له وقال: «يبدو الطقس سيئاً هذه الليلة».

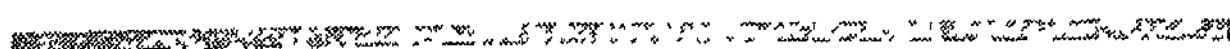
- «أجل. هل عندك سيارة أستطيع استئجارها؟ سيارة تحملني الليلة على طرقات الريف الوعرة».

قال تومي: «يا إلهي! ولماذا تختار ليلة كهذه إذا كنت مصمماً عندي بويك لا أهتم كثيراً بما يحدث لها».

- «هل توصلني إلى المكان الذي أقصده؟».

- «أنت تجازف في ليلة كهذه لا تستطيع ان تتأكد من أية سيارة كانت».

- «حسناً، إملأ خزانها بالوقود. ما هي أفضل طريق للصعود إلى جدول «لايزي كريك» في ليلة كهذه؟».



- «إلى أي مدى تريد ان تصعد؟».

نظر نيد بومونت إلى الرجل وهو يفكر ثم قال:

- «إلى المكان الذي يلتقي فيه الجدول بالنهر».

أحنى تومي رأسه وسأله: «إلى منزل ماثيوز؟».

لم يقل بومونت شيئاً.

قال تومي: «هناك فارق بحسب المكان الذي تقصده».

قال بومونت عابساً: «حقاً؟ إلى منزل ماثيوز. وليظل هذا سراً بيننا يا تومي».

- «وهل جئت لعندي لأنك تعتقد أنني أتكلم أو لأنك تعرف جيداً بأنني لا أفعل ذلك؟».

قال بومونت وهو لا يريد الخوض معه في نقاش:

- «أنا مستعجل».

- «ستسلك إذاً طريق النهر الجديد حتى منزل بارتون، ثم تنعطف في طريق ترابي وتجتاز جسراً - هذا إذا نجحت في الوصول إلى هناك - وتصل إلى أول تقاطع طرق إلى الشرق، وهناك تجد نفسك خلف منزل ماثيوز وعند أعلى التلة تقريباً. إذا لم تتمكّن من اجتياز الطريق الترابي في هذا الطقس ستكون مضطراً لأن تصعد في طريق النهر الجديد حتى التقاطع ثم تعود إلى الطريق القديم».

- «شكراً».

صعد بومونت في سيارة البويك فتقدم منه تومي وقال له بنبرة عادية: «هناك مسدس إضافي في الجيب الجانبي».

حدّق نيد بومونت بالرجل النحيل وسأله: «إضافي؟».

قال له تومي: «رحلة موفقة».

أغلق نيد بومونت الباب وانطلق بالسيارة.

أربعة

أعلنت الساعة في اللوحة أمامه العاشرة واثنتين وعشرين دقيقة. أوقف نيد بومونت السيارة وأطفأ المصابيح وخرج من البويك وهو مصاب بتصلب طفيف. مياه المطر حملتها الرياح فغمرت الأشجار والشجيرات والأرض والسيارة والرجل الواقف بجانبها. عند أسفل التلة ومن خلال خيوط المطر وأوراق الشجر بدت مساحات صغيرة غير متوازية من الضوء الأصفر الباهت. بدأ نيد بومونت يرتجف، وحاول أن يلف نفسه بمعطفه، قرر أن يقطع المسافة إلى أسفل التلة مشياً على قدميه، فأخذ يتعثر عبر دروب تجري فيها مياه المطر، نحو فسحات الضوء.

مياه المطر التي انهمرت على ظهره تحرّكها الرياح كانت تدفعه في طريقه بخطى سريعة. بدأ يتعافى تدريجياً من التصلّب الذي شعر به، ومع انه كان يتعثر غالباً ويكاد يقع،

وتؤلمه قدماه بسبب الحجارة التي لا يستطيع تمييزها في الظلام، إلاّ انه كان يخطو برشاقة وثبات نحو هدفه.

بعد قليل صادف ممراً جديداً، فانعطف ليسلكه محاولاً ألاّ يضيّعه وهو يتحسّس الشجيرات على الجانبين. قاده الدرب إلى جهة اليسار لمسافة قصيرة، ثم استدار في قوس عريض وقاده إلى حافة ممر أكثر ضيقاً، كانت مياه المطر تنحدر منه بصخب، ثم سلك قوساً آخر حتى وصل إلى الباب الرئيسي للمبنى الذي كانت تشعّ الأضواء من نوافذه.

تقدم نيد بومونت مباشرة نحو الباب ودقّ عليه.

فتح له الباب رجل يضع نظارتين ذو شعر رمادي. كان وجهه لطيفاً ويميل في غالبيته إلى اللون الرمادي، وعيناه اللتان تحدّقان من خلف عدستي نظارتيه كانتا رماديتين. بذلته البنية كانت نظيفة ومن نوعية جيدة، لكنها ذات طراز قديم. وقف يفتح الباب، ونقاط المطر تساقطت على قبة قميصه الأبيض، وقال: «تفضل يا سيدي، ادخل من تحت هذا المطر». صوته كان ودياً لكن بدون حماسة، وتابع: «يا لها من ليلة يخرج فيها الإنسان من بيته».

أحنى نيد بومونت رأسه قليلاً ليرد التحية ودخل. وجد نفسه في غرفة كبيرة كانت تشكل الطابق الأرضي كله. تباعد قطع الأثاث فيها وبساطتها أعطت الغرفة طابعاً بدائياً محبّباً. كانت القاعة بمثابة مطبخ وغرفة طعام وغرفة جلوس.

نهضت أوبال مادفيغ من مقعدها قرب المدفأة ووقفت تحدّق بعينين عدائيتين إلى نيد بومونت.

خلع قبعته وبدا يفك أزرار معطفه. بدأ الآخرون يتعرفون عليه.

الرجل الذي فتح له الباب قال: «هذا بومونت!» وكأنه لا يصدق عينيه ونظر باستغراب إلى شاد أوروي.

كان شاد أوروي يجلس على مقعد خشبي وسط الغرفة في مواجهة الموقد. ابتسم ابتسامته الحالمة لنيد بومونت وهو يقول بصوته الايرلندي وما فيه من ايقاع موسيقي: «ها هو فعلاً، كيف حالك يا نيد».

ارتسمت على وجه جيف غاردنر البشع ابتسامة برزت من خلالها أسنانه غير الطبيعية الجميلة وكادت تخفي عينيه الصغيرتين الحمراوين. «يا إلهي! راستي!» نادى الشاب ذا الخدين المتورّدين الذي كان ممدداً على الكنبة بجانبه: «عاد إلينا صاحبنا الذي يشبه الكرة المطاطية. قلت لك انه كان يحب الطريقة التي كنا نتقاذفه فيها».

نظر راستي إلى نيد بومونت وقال بضع كلمات لم يسمعها نيد من الطرف الآخر للغرفة.

الفتاة النحيلة التي كانت ترتدي ثوباً أحمر وتجلس قرب أوبال مادفيغ نظرت إلى نيد بومونت باهتمام واضح.

خلع نيد بومونت معطفه. وعلى وجهه النحيل لا تزال بارزة

آثار صفعات جيف وراستي؛ بدا هادئاً وفي عينيه رغبة متهوّرة. وضع قبعته ومعطفه على صندوق خشبي طويل غير مطليّ كان قرب الباب. ابتسم بتهذيب للرجل الذي استقبله وقال: «تعطلت سيارتي على مسافة قريبة من منزلك. أشكرك كثيراً يا سيد ماثيوز لأنك تمنحني مأوى في هذا الطقس الرديء».

قال ماثيوز: «أرجوك لا داعي للشكر أنا سعيد بك»، وكأنه لا يعرف ما يقول. ثم نظر إلى أوروي ثانية نظرة متوسلة.

لامس أوروي شعره الأبيض بيده الشاحبة والنحيلة، وابتسم بارتياح لنيد بومونت، لكنه لم يقل له شيئاً.

تقدم نيد بومونت من المدفأة، وقال لأوبال مادفيغ: «مرحباً يا صغيرتي».

لم تردّ على تحيته بل ظلّت واقفة في مكانها والحقد يملأ عينيها.

تحوّل بابتسامته إلى الفتاة النحيلة وقال: «وهذه السيدة ماثيوز، أليس كذلك؟».

قالت: «هذا صحيح». بصوت هادىء وودي إلى حد ما، ومدّت له يدها لتصافحه.

قال لها وهو يسلّم عليها: «قالت لي أوبال انك كنت صديقتها في المدرسة». والتفت ينظر إلى راستي وجيف قائلاً بلا مبالاة: «مرحباً أيها الشابان، كنت أتوق لرؤيتكما ثانية».

راستي لم يردّ.

صار وجه جيف قناعاً بشعاً من الغضب والاستهزاء وقال: «أنا سعيد بك خاصة وان مفاصل يديّ لم تعد متورّمة. ما هو السبب الذي يجعلني برأيك أحب ان أضربك لهذه الدرجة؟».

قال شاد أوروي بهدوء لجيف: «أنت ثرثار، يا جيف. ربما لو لم تكن ثرثاراً كنت احتفظت بأسنانك الطبيعية».

تحدثت السيدة ماثيوز إلى أوبال بصوت منخفض. هزّت أوبال رأسها وظلّت جالسة على مقعدها قرب الموقد.

أشار ماثيوز إلى مقعد خشبي قرب الموقد وقال بعصبية: «تفضّل بالجلوس يا سيد بومونت، وجفّف قدميك... وتمتع بالدفء».

- «شكراً». وقرّب بومونت المقعد من النار المشتعلة وجلس في مواجهة وهج اللهيب.

كان شاد أوروي يشعل سيجارة، وحين أطفأ الولاّعة قال لبومونت: «كيف حالك يا نيد؟».

- «في حال جيدة يا شاد».

- «هذا رائع». قال أوروي والتفت قليلاً نحو الرجلين قائلاً: «تستطيعان العودة إلى المدينة غداً».

التفت إلى بومونت وقال يشرح له موقفه: «كنا حذرين لأننا

لم نكن متأكدين انك ستنجو من الموت، لكن لا مانع لدينا ان تُوجّه إلينا تهمة الاعتداء عليك».

أحنى بومونت رأسه وقال: «وهناك احتمال بأنني لن أتقدم بدعوى ضدكم، لكن لا تنس ان صاحبنا جيف مطلوب بتهمة قتل ويست».

كانت نبرة صوته عادية، لكن الشر بدا في عينيه وهو يحدّق في الحطب المشتعل في الموقد. وأبعد نظرة الشرّ هذه حين استدار لينظر إلى ماثيوز بشيء من السخرية ويقول: «مع انني بالطبع أستطيع ان أتسبّب لماثيوز بمتاعب لأنه ساعدكم على الاختباء عنده».

قال ماثيوز بسرعة: «لم أفعل ذلك، يا سيد بومونت. لم أكن أعرف انهم موجودون هنا حتى جئنا اليوم وكنت مدهوشاً مثلك...» سكت فجأة وبدا الرعب واضحاً في ملامحه وهو يتوجه بالحديث إلى شاد أوروي ويقول له وهو يكاد ينتحب: «أنت تعرف جيداً انك تستطيع الحضور متى تشاء. تعرف ذلك، لكن ما أريد قوله...» والتمع وجهه فجأة بابتسامة فرحة وتابع: «إنني حين ساعدتك دون علم مسبق مني بما يدور أكون من الناحية القانونية غير مسؤول».

قال أوروي بهدوء: «أجل، لقد ساعدتني دون علم مسبق». وعيناه الزرقاوان الثاقبتان نظرتا بدون اهتمام إلى صاحب صحيفة الأوبزرفور.

صارت ابتسامة ماثيوز نحيلة واختفت تماماً. أخذ يعبث برباط عنقه وتحاشى النظر إلى أوروي مباشرة.

قالت السيدة ماثيوز لبومونت بمودّة: «كان جميع الحاضرين فاترين هذا المساء. وكان الجو مزعجاً حتى دخلت علينا».

نظر إليها باستغراب. عيناها السوداوان كانتا تتألقان رقّة وعذوبة. وتحت تأثير نظرته المتفحّصة خفضت رأسها وشدّت قليلاً على شفتيها بدلال. شفتاها نحيلتان عليهما طبقة من أحمر الشفاه الداكن، وكانتا جذابتين. ابتسم لها ونهض متوجهاً نحوها.

أوبال مادفيغ كانت تحدق في الأرض. ماثيوز وأوروي والرجلان الآخران كانوا جميعاً يراقبون نيد بومونت وزوجة ماثيوز.

سألها: «وما الذي جعل الجميع فاترين؟» وجلس القرفصاء أمامها، دون ان يواجهها مباشرة، وقد أدار ظهره للموقد، واستند إلى يد وضعها على الأرض.

قالت وهي تزمّ شفتيها: «لا أعرف. تصورت أننا سنمضي وقتاً سعيداً حين طلب إليَّ هال ان أرافقه إلى هنا مع أوبال. وحين وصلنا، وجدنا هؤلاء...».

سكتت قليلاً وقالت: «أصدقاء هال»، ولم تنجح في إخفاء شكّها بهذه الصداقة، وتابعت: «والجميع يتبادلون الألغاز حول

سرّ يشتركون في معرفته، وأنا لا أفهم شيئاً مما يجري حولي. وأوبال كانت منزعجة كالآخرين. انها...».

قال لها زوجها بنبرة متسلطة تخلو من المودة: «إلويز، أرجوك»، وحين رفعت عينيها ردّت عليه بوقاحة: «لا شيء يهمني». وتابعت: «ما أقوله صحيح، وأوبال منزعجة مثل كل واحد فيكم. أنتما لم تشيرا بعد إلى الموضوع الذي جئنا في الأصل لمناقشته هنا. تأكد انني ما كنت لأبقى طوال هذه المدة لولا العاصفة في الخارج».

تورّدت وجنتا أوبال ولم ترفع بصرها عن الأرض.

أحنت إلويز ماثيوز رأسها تقترب من نيد بومونت وقد تحولت وقاحتها إلى مزاح وقالت: «هذا بعض ما يدور هنا ويجب ان تعرفه. لهذا السبب كنت سعيدة بحضورك وليس لأنك شاب وسيم».

عبس باستياء ساخر.

عبست في وجهه، وكان عبوسها رائعاً.

سألته: «هل تعطلت سيارتك فعلاً؟ أم انك جئت تنضمّ إليهم لمناقشة اللغز نفسه؟ جئت لهذا الغرض. أنت واحد منهم».

ضحك، وسألها: «هل يهمك سبب مجيئي إلى هنا إذا كنت قد غيرت رأيي بعد رؤيتك؟».

قالت مرتابة من صدق كلامه: «لا... لا... يجب أن أكون على ثقة تامة من انك غيّرته فعلاً».

ـ «أعدك على أي حال أنني لن أكون غامضاً مثلهم. هل عندك فكرة عما يقلق راحتهم؟».

قالت وهي تتوق إلى إغاظتهم: «على الإطلاق. لكنني متأكدة انها مسألة سخيفة وعلى الأرجح لها علاقة بالسياسة».

رفع يده ولامس يدها موافقاً معها وقال: «أنت فتاة ذكية. لقد أصبت في الناحيتين». أدار وجهه نحو أوروي وماثيوز ثم نظر إليها بعينين تشعّان مرحاً وقال: «هل تريدينني أن أشرح لك ما يدور هنا؟».

ـ «لا».

ـ «أولاً: تعتقد أوبال ان والدها قتل تايلور هنري».

صرخت أوبال مادفيغ وكأنها تختنق وانتفضت واقفة. وضعت يدها على فمها، واتسعت عيناها وكانت نظرتهما جامدة ومخيفة.

قفز راستي واقفًا بدوره بغضب شديد، لكن جيف نظر إلى بومونت نظرة خبيثة وأمسك الشاب بذراعه وقال له مدعياً الرغبة في الابتعاد عن المشاكل: «دعه وشأنه. إنه لا يؤذي أحداً. وقف الصبي يضغط قليلاً على يد جيف لكنه لم يحاول ان يحرر نفسه.

جلست إلويز ماثيوز بلا حراك وهي تحدق بدون ان تفهم شيئاً بأوبال.

كان ماثيوز يرتجف كأنه رجل مريض، وكانت شفته السفلى وجفناه أيضاً تتدلى بارتخاء.

شاد أوروي كان يجلس وهو منحن إلى الأمام، بوجهه الوسيم الملامح والشاحب والقاسي، عيناه تشبهان الجليد الذي يميل لونه إلى الأزرق الرمادي، ويداه تمسكان بذراعي المقعد.

قال نيد بومونت، ولم يحاول أحد مقاطعته:

ـ «ثانياً: هي...».

صرخت أوبال مادفيغ: «نيد، أرجوك!».

استدار ورفع نظره إليها.

كانت قد أزاحت يدها عن فمها. ويداها كانتا متشابكتين. على صدرها. كانت ملامحها تتوسل إليه ان يرحمها.

ظل يتأملها لفترة. عبر النافذة والحائط تسرّب صوت المطر وهو يرتطم بالمبنى في سيول غزيرة ويرافقه هدير المياه المتدافعة في النهر القريب. كانت نظراته إليها باردة وثاقبة. بعد قليل تحدث إليها بصوت لطيف إلى حد ما، لكنه متعال في الوقت نفسه: «ألست هنا لهذا السبب؟».

قالت بصوت أجشّ: «أرجوك».

ابتسم ابتسامة نحيلة وسألها: «أليس من المفروض أن يتحدث أحد في هذا الموضوع إلاّ أنت وأعداء أبيك؟».

ضربت جنبيها بيديها، ورفعت رأسها بغضب وقالت بنبرة حادة ورنّانة: «لكنه هو قاتل تايلور».

أسند بومونت جسمه إلى يده ونظر إلى إلويز ماثيوز قائلاً: «هذا ما قلته لك». وتابع: «ولأنها كانت مقتنعة بذلك التقت بزوجك بعد إطّلاعها على الوساخة التي نشرها في صحيفته هذا الصباح. إنه بالطبع لا يفكر بأن بول قد ارتكب جريمة قتل: كل ما في الأمر انه يمر بمرحلة حرجة ـ لأن البيت والمؤسسة الصحافية مرهونان لدى الشركة المركزية للودائع والتي يمتلكها مرشح شاد لمركز السيناتور ـ وهو ينفذ الأوامر التي تصله. أما هي...».

قاطعه ماثيوز بصوت نحيل ويائس: «كفّ عن هذا الكلام يا بومونت. أنت...».

قاطع أوروي ماثيوز بهدوء قائلاً بنبرته الإيقاعية: «دعه يتكلم يا ماثيوز. دعه يقل ما يريد ان يقوله».

ـ «أشكرك يا شاد» قال بومونت بلا مبالاة، وبدون ان يلتفت تابع: «قصدت زوجك لكي يؤكد لها شكوكها، ولم يكن قادراً على إعطائها أي دليل ما لم يكذب عليها. إنه بالفعل لا يعرف شيئاً. مهمته بكل بساطة ان يلقي بالطين حيث يطلب إليه شاد أن يفعل. لكنه اليوم كان قادراً على

فعل شيء وقد باشر بتنفيذه: سينشر في صحيفة الغد قصة زيارتها له ويكشف للقراء عن قناعتها بأن والدها قتل حبيبها. وهذه بالطبع ضربة حاسمة. «أوبال مادفيغ تتهم والدها بالقتل. ابنة السياسي المعروف تدّعي بأنه هو قاتل ابن السيناتورا» ألا تستطيعين ان تتخيّلي العنوان بالخط الأسود العريض في الصفحة الأولى من الأوبزرفور؟».

كانت إلويز ماثيوز تستمع إليه بانتباه شديد وهي تنحني إلى الأمام. في الخارج تضرب زخّات المطر العنيف النوافذ والجدران. راستي في ركنه كان يتنهد ويتنفس بصوت مسموع.

لم يستطع نيد ان يداري ابتسامته وأضاف: «لهذا السبب اصطحبها معه إلى هذا البيت، لكي تكون في حمايته حتى نشر القصة. ربما كان يعرف بوجود شاد ورفيقيه، وربما لا. لا أهمية لذلك. إنه يريد ان تختفي بحيث لا يستطيع أحد أن يعرف شيئاً عما ارتكبته قبل صدور الصحيفة. ولا أعني أنه أحضرها إلى هنا ـ أو انه سيحتفظ بها، ضد رغبتها ـ لن يكون هذا التصرف ذكياً وسيزيد الأمور تعقيداً ـ وهو لا يحتاج لذلك على أي حال. إنها مستعدة لأن تبذل كل ما في استطاعتها كي تقضي على والدها».

قالت أوبال مادفيغ هامسة بإصرار: «هو الذي قتله».

جلس مستقيم الظهر ونظر إليها بكآبة للحظة، ثم ابتسم وهزّ رأسه باستسلام مرح وعاد يسند جسمه إلى يده.

إلويز ماثيوز لم ترفع عينيها السوداوين عن زوجها. كانت تتأمله بذهول وهو جالس أمامها وقد أحنى رأسه وخبأ وجهه بيديه.

شاد أورروي وضع رجلاً فوق رجل وتناول سيجارة من علبته وسأل بومونت ببرود: «هل أنهيت حديثك؟».

كان بومونت يدير ظهره إلى أورروي، وبدون ان يلتفت نحوه أجابه: «لا تستطيع ان تتصور إلى أية نهاية وصلت». كان صوته عادياً لكن بدا على وجهه فجأة انه منهك من شدة الإرهاق.

أشعل أروري سيجارته وقال: «حسناً، وما النتيجة من كل هذا الحديث؟ جاء دورنا الآن لنقول ما عندنا. الفتاة جاءت وروت قصتها بملء إرادتها. جاءت لأنها شاءت ان تفعل ذلك. وأنت أيضاً جئت بإرادتك. كل واحد هنا يستطيع ان يذهب حيث يشاء ومتى يشاء، أنت أو هي أو أي شخص آخر». وقف وتابع: «أنا شخصياً أريد أن أنام. أين أنام يا ماثيوز؟».

قالت إلويز ماثيوز لزوجها: «ليس هذا صحيحاً يا هال». ولم تقل ذلك بصيغة التساؤل.

ببطء رفع يديه عن وجهه. حاول ان يسترجع كرامته وهو يقول: «يا حبيبتي، هناك ما يكفي من الأدلة لإدانة مادفيغ في

كافة نشاطاته، وهذا يعطينا الحق في الإصرار على ان يباشر رجال الشرطة باستجوابه على الأقل. هذا كل ما فعلناه».

قالت زوجته: «لم أكن أقصد ذلك».

ـ «يا حبيبتي، حين جاءت الآنسة مادفيغ...».

تلعثم وسكت، وأصابته الرعشة من نظرة زوجته وغطى وجهه بيديه مرة ثانية.

خمسة

إلويز ماثيوز ونيد بومونت كانا وحدهما في قاعة الجلوس الكبيرة، يجلسان في مقعدين متقاربين، والمدفأة بينهما. كانت تنحني إلى الأمام تنظر بكآبة إلى ألسنة النار وهي تتصاعد من كتلة الخشب الأخيرة. كان بومونت يضع رجلاً فوق رجل وقد وضع يده خلف رأسه. أخذ يدخن سيجاره ويختلس النظر إليها.

نزل زوجها فسمعا صرير الدرجات الخشبية؛ توقف عند منتصف السلم. كان لا يزال يرتدي ملابسه، غير انه خلع قبّة قميصه. رباط عنقه كان مرخياً ويتدلى فوق سترته. قال:

ـ «يا حبيبتي، ألا تريدين أن تأوي إلى الفراش؟ صرنا في منتصف الليل».

لم تتحرك.

قال: «وأنت يا سيد بومونت، هل تريد...؟».

حين سمع بومونت اسمه التفت نحو الرجل الواقف على السلم، بوجه هادىء للغاية. وحين صمت ماثيوز عاد بومونت للإهتمام بسيجاره وبزوجة ماثيوز.

بعد قليل صعد ماثيوز إلى غرفته.

قالت إلويز ماثيوز دون ان ترفع عينيها عن النار: «هناك زجاجة من الشراب في الصندوق هلاّ أحضرتها؟».

«بكل طيبة خاطر». ووجد الزجاجة وحملها إليها، ثم أحضر كأسين، ملأ لها كأساً وقدمها إليها، حين مدت يدها تحرك نهداها تحت فستان الحرير الأحمر، وأخذ صدرها يعلو ويهبط مع تنفّسها.

لم ترفع نظرها عن النار إلاّ حين صارت الكأس في يدها. ابتسمت له بغنج وهي تشد شفتيها، اللتين تغطيهما طبقة كثيفة من أحمر الشفاه، إلى الجانبين. عيناها عكستا الضوء الأحمر الذي يشعّ من الموقد وكانتا براقتين للغاية.

ابتسم لها.

رفعت الكأس وقالت بفتور: «في صحّة زوجي!».

قال بومونت: «لا»، ورمى بمحتويات كأسه إلى الموقد.

ضحكت بفرح وقفزت على قدميها وقالت له بنبرة آمرة: «إملأ لي كأساً ثانية».

تناول الزجاجة عن الأرض وملأ لها الكأس.

رفعت الكأس عالياً وقالت: «في صحتك!».

شربا كأسيهما، وسرت الرعشة في أوصال إلويز.

قال لها: «من الأفضل ان تهدأي قليلاً، وتتناولي بعض الطعام».

هزّت رأسها وقالت: «لا أريد شيئاً». وضعت يدها على ذراعه وأدارت ظهرها للنار وهي تقترب منه وقالت: «دعنا نحمل المقعد الطويل إلى هنا».

وافق وقال: «هذه فكرة جيدة».

أبعد الكرسيّين وحملا المقعد ووضعاه في مواجهة الموقد. كان المقعد عريضاً وواطئاً ولا ظهر له.

قالت: «والآن أطفىء المصباح».

نفّذ أمرها ورجع ليجلس بجانبها وهي تملأ كأسها. قال لها: «هذه المرة في صحتك أنتِ»، وشربا وأصابتها الرعشة.

اقترب منها، ووهج النار يضفي على وجهيهما لوناً وردياً دافئاً.

نزل زوجها وسمعا صرير درجات السلم. توقف عند أسفل السلم وقال: «أرجوك، يا حبيبتي!».

همست في أذن بومونت باستياء: «إقذفه بأي شيء تجده».

ضحك بومونت ضحكة خافتة.

حملت زجاجة الشراب وسألته: «أين كأسك؟».

وفيما كانت تملأ كأسيهما عاد ماثيوز إلى غرفته.

قدمت لبومونت كأسه ولامسا كأسيهما، كانت عيناها مثيرتين في الوهج الأحمر. انسابت خصلة من شعرها الأسود على جبينها. تنفست من فمها وقالت بلهاث: «في صحتنا!».

شربا، وتركت كأسها تفلت من يدها وألقت بنفسها بين ذراعيه. ارتجفت وهي تقبّله. وقعت الكأس على الأرض الخشبية وتحطمت. عينا بومونت فيهما بريق ماكر وعيناهما مغمضتان.

لم يتحركا حين سمعا صرير الدرجات الخشبية. نيد بومونت لم يتحرك، وهي شدّت ذراعيها حوله. لم يكن يرى السلّم، وكلاهما أخذ يتنفّس بصعوبة.

ثم صرّت الدرجات الخشبية ثانية وبعد فترة قصيرة أبعد كل منهما رأسه وهما لا يزالان متعانقين. نظر بومونت إلى السلم، ولم يجد أحداً هناك.

وضعت إلويز ماثيوز يدها برفق على مؤخرة رأسه وهي تعبث بشعره وتلامس جلده بأظافرها. كانت عيناها نصف مغمضتين والبهجة تشعّ منهما. قالت: «هكذا هي الحياة»، بنبرة مريرة وساخرة، وتمددت على المقعد وشدته إليها، وقرّبت فمها من فمه.

كانا في هذا الوضع حين سمعا الطلقة النارية. انتفض بومونت ووقف في الحال وسألها بحدة: «أين غرفته؟».

حركت يدها بتثاقل وقالت بصوت أجشّ: «في آخر الممر».

قفز درجات السلم بسرعة ووجد نفسه وجهاً لوجه مع جيف البشع، الذي كان لا يزال يرتدي ملابسه العادية لكنه حافي القدمين، وكان يفرك عينيه الناعستين. وضع جيف يده على خصره ومدّ يده الأخرى ليوقف بومونت ويسأله بصوت مزمجر: «ما الذي يحدث هنا؟».

تحاشى نيد اليد الممدودة نحوه وانحرف قليلاً ثم وجه ضربة بيده اليسرى إلى وجه جيف. ترنح جيف وكاد يقع. تركه بومونت وأسرع يبتعد عنه؛ خرج أوروي من غرفة ثانية وأخذ يركض خلف بومونت.

من الأسفل علت صرخة السيدة ماثيوز.

فتح نيد بومونت باب غرفة ووقف فيه. كان ماثيوز ممدداً على ظهره على الأرض والمصباح مضاء فوقه. فمه كان مفتوحاً وخيط الدم يسيل منه. إحدى ذراعيه ممدودة على الأرض، والثانية على صدره. وإلى جانب الحائط، مسدس أسود كأن اليد الممدودة تشير إليه. على طاولة قرب النافذة وعاء حبر مفتوح وقلم وورقة، وهناك كرسيّ قرب الطاولة.

دفع شاد أوروي نيد بومونت جانباً وتقدم من الرجل

وانحنى بقربه. انسلّ بومونت من خلفه وألقى نظرة سريعة على الورقة، ثم وضعها في جيبه.

دخل جيف وتبعه راستي وكان في ملابسه الداخلية.

وقف أورروي ومدّ يديه تعبيراً على ان الأمر قُضي وقال: «لقد أطلق النار على نفسه ووضع فوهة المسدس في فمه، ومات».

خرج بومونت من الغرفة، والتقى في الممر بأوبال مادفيغ».

سألته بصوت مذعور: «ماذا حدث يا نيد؟».

ـ «ماثيوز أطلق النار على نفسه: «سأنزل وسأبقى معها حتى ترتدي ملابسك. لا تدخلي إلى غرفته، لا داعي لذلك». وتوجه نحو السلّم.

كانت إلويز جالسة على الأرض قرب المقعد.

خطا خطوتين نحوها، ثم توقف وألقى نظرة على الغرفة بعينين باردتين وثاقبتين. توجه نحو المرأة وجثا على ركبة واحدة أمامها وتحسّس نبضها. أخذ يتأملها في الضوء الخافت للنار الذي بدأت تنطفيء. كانت فاقدة لوعيها. أخرج الورقة التي وجدها على طاولة زوجها وتحرك وهو على ركبتيه باتجاه الموقد وأخذ يقرأ على وهج الجمر الأحمر:

«أنا هوارد كيث ماثيوز، المتمتع بكامل قواي العقلية، أعلن ان هذه هي آخر وصية لي: أعطي لزوجتي الحبيبة إلويز برادين

ماثيوز ولورثتها ولمن تتخلى له عن حقوقها، جميع ما امتلك مهما كانت طبيعته أو نوعه.

وأعين الشركة المركزية للودائع المنفّذ الوحيد لهذه الوصية.

وعلى هذه الشهادة أوقع إسمي...».

ابتسم بومونت ابتسامة خافتة وتوقف عن القراءة ومزّق الوصية ثلاث مرات؛ وقف ومدّ يده فوق حاجز النار وألقى بالوريقات بين الجمر الملتهب. اشتعلت الوريقات لفترة، وتناول بومونت المجرفة المعدنية وحرك الجمر بحيث يختلط رماد الورق المحترق معه.

عاد إلى جوار السيدة ماثيوز، وملأ كأساً من الزجاجة، ورفع لها رأسها وأجبرها على تناول جرعة صغيرة من الكأس. بدأت تستعيد وعيها ببطء، وسعلت حين كانت أوبال مادفيغ تنزل على السلم.

ستة

نزل شاد أوروي إلى القاعة، وتبعه جيف وراستي. الرجال الثلاثة كانوا يرتدون ملابسهم. وقف نيد بومونت عند باب المنزل وقد ارتدى معطفه ووضع قبعته على رأسه.

سأله شاد: «إلى أين أنت ذاهب يا نيد؟».

ـ «لأجد تلفوناً».

أحنى أوروي رأسه وقال: «هذه فكرة جيدة. لكن أريد أن أسألك عن شيء». وتوجه نحوه والرجلان يتبعانه.

قال نيد بومونت: «ماذا تريد؟» وأخرج يده من جيب معطفه، ورفع مسدسه نحو الرجال الثلاثة، ولم تكن أوبال مادفيغ الجالسة بجوار إلويز ترى يد نيد والمسدس الذي يحمله. قال نيد للرجال: «لا أريد أية تصرفات غبية لأنني مستعجل».

قال أوروي متجاهلاً المسدس: «كنت أفكّر ان هناك وعاء حبر مفتوح وقلماً على الطاولة وكرسياً بقربها واستغرب أننا لم نجد أية ورقة عليها كتابة على الطاولة».

ابتسم بومونت بدهشة ساخرة وتساءل: «ماذا؟ لم تجد أية ورقة مكتوبة؟» وخطا خطوة إلى الوراء، نحو الباب، وتابع: «هذا شيء غريب فعلاً سأناقشه معك بعد عودتي».

قال أوروي: «أفضّل ان نبدأ بذلك الآن».

- «آسف». وتراجع بسرعة نحو الباب، وتحسّس قبضته خلف ظهره، وفتح الباب وهو يقول: «لن أغيب فترة طويلة». واستدار بسرعة وأغلق الباب بعنف خلفه.

توقف المطر في الخارج. لم يسلك بومونت الدرب بل أخذ يركض حول البيت إلى الجهة المقابلة. سمع صوت باب ينغلق في الداخل. صوت هدير مياه النهر لم يكن بعيداً إلى يساره، فتوجّه نحوه وهو يمشي بين الشجيرات المتنامية من حوله.

سمع صفيراً حاداً ومنخفضاً وراءه. تقدم وهو يتعثر في مساحة من الوحل الطري حتى وصل إلى حرج صغير وسلك درباً بين الأشجار مبتعداً عن النهر. سمع الصفير مرة ثانية، إلى يمينه. خلف الأشجار علت الشجيرات المتنوعة، دخل بينها وهو ينحني قليلاً ليختبىء، مع ان الظلام كان دامساً.

طريقه إلى أعلى التلة كانت صعبة وزلقة وغير منتظمة تعبر في دغل، فأصيب بعدة خدوش في وجهه ويديه وتمزّقت ثيابه. وقع ثلاث مرات. وتعثر مرات عديدة. لم يعد يسمع الصفير. لم يجد سيارة البويك. ولم يجد الطريق التي سلكها عند قدومه.

أخذ يجرّ قدميه وتعثّر دون ان يكون هناك شيء في طريقه، وحين وصل أخيراً إلى أعلى التلّة وأخذ ينحدر من الجهة الأخرى ازدادت الطريق وعورة ووقع مراراً. عند أسفل التلّة وجد طريقاً مشى فيها إلى يمينه. طبقة الطين العالقة على حذائه أخذت تزداد حجماً وكان يضطر للوقوف عدة مرات كي يجرفها بمسدسه.

سمع نباح كلب فتوقف والتفت بإجهاد ينظر خلفه. قرب الطريق وعلى بعد حوالى خمسين قدماً وراءه رأى في الظلام بيتاً كان قد تجاوزه دون ان ينتبه. عاد أدراجه ووصل إلى بوابة عالية. الكلب ـ الذي بدا وحشاً غير محدد الشكل في الظلام ـ أخذ يقفز ويرتطم بالبوابة من الداخل ويعوي عواء يثير الذعر.

أخذ نيد بومونت يتحسّس القضبان الحديدية حتى وجد قبضة البوابة ففتحها ومشى قليلاً. تراجع الكلب وهو يلتفّ ويدور ويتظاهر بالقيام بهجمات لم يقم بها، ويملأ الليل بضجيجه.

انفتحت نافذة في الطابق الثاني وسمع نيد صوتاً يقول له: «ما الذي تفعله بهذا الكلب؟».

ضحك نيد بومونت ضحكة ضعيفة، ثم أجاب بصوت نحيل: «أنا بومونت من مكتب النائب العام. أريد أن أستخدم جهاز التلفون عندك. لقد مات رجل في بيت قريب من هنا».

صرخ الصوت مزمجراً: «لا أفهم شيئاً مما تقوله. أسكتي يا جيني!» عوى الكلب ثلاث مرات بمزيد من القوة ثم سكت. «والآن ماذا قلت؟».

- «أريد أن أستخدم جهاز التلفون عندك للإتصال بمكتب النائب العام. هناك رجل ميت في بيت قريب من هنا».

ردّ بانفعال: «يا إلهي!» وأغلق النافذة، عاد الكلب إلى عوائه ودورانه وهجماته المزعومة. رماه نيد بمسدسه الذي يغمره الوحل. فاستدار وركض يعدو خلف البيت.

انفتح الباب وبدا منه رجل متورّد الوجه وممتلىء الجسم، قصير القامة، يرتدي قميص نوم طويل لونه أزرق. قال مشدوهاً حين رأى بومونت: «يا إلهي! أنت في حالة مخيفة!».

قال بومونت: «التلفون».

مدّ الرجل يديه ليسند بومونت وهو يترنح. قال له بصوت أجش: «أعطني الرقم واسم الشخص الذي تريد ان تتكلم معه، وقل لي ماذا تريد ان تقول له. لأنك لن تستطيع ان تفعل شيئاً من ذلك».

قال بومونت: «التلفون».

تأمله الرجل وهو يفتح له باب إحدى الغرف وقال: «ها هو، ومن حُسن حظك ان السيدة العجوز ليست في البيت وإلاّ فإنها ما كانت ستسمح لك بأن تخطو خطوة واحدة في الداخل بهذا الوحل الذي يغطيك».

ارتمى بومونت في مقعد قرب التلفون، ولم يمدّ يده مباشرة إليه. عبس في الرجل الذي يرتدي قميص النوم الأزرق وقال له بصوت خشن: «اخرج وأغلق الباب خلفك».

الرجل كان واقفاً عند الباب، فأغلقه مباشرة.

رفع بومونت السمّاعة وانحنى إلى الأمام واضعاً مرفقيه على الطاولة وطلب رقم بول مادفيغ. فيما كان ينتظر الردّ كان يغمض عينيه بالرغم منه، ويفتحهما بصعوبة، وحين وصله صوت بول استجمع قواه وقال له بصوت واضح:

«مرحباً يا بول ـ نيد... لا داعي لذلك الآن. اسمعني جيداً. ماثيوز انتحر في منزله الريفي الواقع قرب النهر ولم يترك وصيّة... اسمعني، هذا في غاية الأهمية. بما انه مديون بمبالغ

طائلة ولم يترك وصية يسمّي فيها منفّذاً ستتولى المحكمة تعيين شخص يتولّى شؤون ممتلكاته. هل فهمت؟.. أجل. تأكد من ان القضية ستعرض على القاضي المناسب - فيلبس مثلاً - وبهذا نستطيع ان نزيح الأوبزرفور ونمنعها من خوض المعركة - إلاّ إلى جانبنا - حتى ما بعد الانتخابات. هل فهمتني؟... حسناً، حسناً، والآن اسمعني: عدد الأوبزرفور الذي سيصدر هذا الصباح بمثابة شحنة من الديناميت. يجب ان تمنع صدوره وتوزيعه. أقترح عليك ان تذهب إلى بيت القاضي فيلبس وتوقظه وتحصل منه على إنذار قضائي - أو أية ورقة توقف صدور الصحيفة إلى ان يعرف الصحافيون في الأوبزرفور موقف الصحيفة الجديد وان أصدقاءنا سيتولون إدارة الصحيفة حوالى شهر أو أكثر... لا أستطيع أن أعطيك التفاصيل الآن يا بول، لكنني أؤكد لك ان المقالة تشبه رزمة من الديناميت، ويجب ان تمنع توزيع العدد. تستطيع ان تصطحب فيلبس إلى هناك لتلقيا نظرة على المقالة. معك حوالى ثلاث ساعات قبل بدء التوزيع... هذا صحيح... ماذا؟... أوبال؟ انها بخير. إنها معي... حسناً، سأوصلها إلى البيت... أرجوك ان تتصل بالشرطة وتخبرهم بحادثة انتحار ماثيوز. سأعود إلى هناك في الحال. حسناً».

وضع السماعة على الطاولة ووقف ثم مشى يترنح حتى الباب؛ فتح الباب بعد محاولة أولى فاشلة ووقع في الممر فأسند نفسه إلى الحائط قبل ان يصل إلى الأرض.

جاء الرجل مسرعاً نحوه وقال: «إسند نفسك إليّ، يا أخي، يجب ان ترتاح. لقد وضعت حراماً على الكنبة كي لا تتوسخ من الوحل و...».

قال بومونت: «أريد أن أستعير سيارة. يجب أن أعود حالاً إلى بيت ماثيوز».

ـ «هل ماثيوز هو الرجل الذي مات؟».

ـ «أجل».

رفع الرجل حاجبيه وصفّر صفيراً قصيراً وحاداً.

سأله بومونت: «هل تعيرني السيارة؟».

ـ «يا إلهي! أرجوك، كن منطقياً، يا أخي! كيف ستقود سيارة وأنت على هذه الحالة؟».

ابتعد بومونت عنه وهو يتمايل وقال: «سأذهب مشياً على قدميّ».

حدّق فيه الرجل وقال: «ولن تفعل ذلك أيضاً. إذا وافقت أن تنتظرني سأرتدي ملابسي في الحال وسأوصلك مع انني أتوقع انك ستلفظ أنفاسك على الطريق».

كانت أوبال مادفيغ وإلويز ماثيوز جالستين في القاعة الكبيرة حين دخل نيد بومونت والرجل الآخر يكاد يحمله أكثر مما يقوده. دخل الرجلان دون ان يطرقا الباب. كانت أوبال وإلويز تجلسان مذهولتين، الواحدة منهما بجوار الأخرى.

ابتعد بومونت عن مرافقه والتفت حوله بإجهاد وسأل: «أين شاد؟».

أجابته أوبال: «لقد ذهب. ذهبوا جميعاً».

- «حسناً». وتابع بصعوبة: «أريد أن أتحدث إليك على انفراد».

ركضت إلويز ماثيوز نحوه وهي تصرخ: «أنت قتلته!».

ضحك كالأبله وحاول أن يضع ذراعيه حولها.

صرخت وضربته على وجهه.

وقع إلى الخلف دون أن ينحني، وحاول الرجل أن يلتقطه لكنه لم يستطع. تمدّد بومونت على الأرض بدون حراك.

- ٧ -

الأتباع

واحد

وضع السيناتور هنري منديل المائدة جانباً ووقف. وأثناء نهوضه بدا أطول مما هو عليه وأصغر سناً. رأسه الذي يميل إلى الصغر، تغطيه طبقة رقيقة من الشعر الرمادي، ووجهه متناسق وأرستقراطي الملامح. بشرة وجهه ارتخت بفعل الزمن ورسمت خطوطاً من التجاعيد، لكن الرخاوة لم تصل بعد حتى شفتيه، ولم يكن واضحاً أيضاً ان السنين تركت بصماتها حول عينيه: كانتا بلون أخضر رمادي، غائرتين، فيهما بريق جذاب، وجفناه مشدودان. قال بلباقة متعمّدة لإبنته: «هل تسمحين لي بأن أنفرد قليلاً مع بول في الطابق الثاني؟».

أجابته ابنته: «أجل، إذا تركت لي السيد بومونت، وإذا وعدتني ان هذا اللقاء لن يدوم طوال السهرة».

ابتسم لها نيد بومونت بتهذيب ملبياً دعوتها.

دخل وجانيت هنري إلى غرفة جدرانها بيضاء وفيها موقف يشتعل فيه الفحم وفوقه رف أبيض، وكان وهج الجمر يعكس وميضاً أحمر على قطع الأثاث المصنوعة من خشب «الماهوغوني» الفاخر.

أضاءت مصباحاً قرب البيانو وجلست تدير ظهرها إلى لوحة المفاتيح الموسيقية. شعرها الأشقر غمره ضوء المصباح وأحاطه بهالة نورانية. كانت ترتدي فستاناً أسود من قماش سويدي لا يعكس الضوء ولم تكن تضع أية حلية.

انحنى نيد بومونت لينفض رماد سيجاره على الجمر المتقد. التمعت لؤلؤة سوداء على قميصه وهو يتحرك، وعكست وهج النار فبدت كأنها عين حمراء تغمز.

سألها: «هل ستعزفين؟».

- «أجل، إذا شئت - مع أنني لا أعزف بشكل مميز - لكن فيما بعد. أريد أن أتحدث إليك الآن طالما ان الفرصة سمحت لنا». وضعت يديها على حضنها، وشدت كتفيها إلى الأعلى نحو رقبتها.

أحنى رأسه بتهذيب. ولم يقل شيئاً. ابتعد عن الموقد وجلس على كنبة حفر على جوانبها شكل القيثارة. انتظر بداية حديثها بانتباه لكن بدون فضولية.

أدارت مقعد البيانو قليلاً حتى تواجهه وسألته: «كيف حال أوبال؟» صوتها كان منخفضاً وودياً.

ردّ بصوت عادي: «بخير كما قيل لي، لم أرها منذ الاسبوع الماضي». رفع سيجاره نحو فمه ثم خفض يده وكأنه انتبه فجأة وسألها: «لماذا؟».

اتسعت حدقتا عينيها وسألته: «أليست طريحة الفراش بعد إصابتها بانهيار عصبيّ؟».

ـ «آه، لأجل ذلك!» قال بلا مبالاة وابتسم: «ألم يقل لك بول؟».

ـ «لقد قال لي انها في السرير إثر إصابتها بانهيار عصبي». وحدّقت فيه باستغراب: «هو قال لي ذلك».

ابتسم بلطف وقال: «أعتقد أنه حساس من هذه القضية». قال ذلك ببطء وهو ينظر إلى سيجاره. ثم رفع نظره إليها وحرك كتفيه قليلاً: «ليست مصابة بشيء من هذا القبيل. الأمر ببساطة يتعلّق بإصرارها على ان والدها قتل أخاك ـ وقد تصرّفت بمنتهى الغباء وأخذت تنشر هذه الفكرة البلهاء. وبما ان بول بالطبع لن يترك ابنته تتهمه علناً بارتكاب جريمة قتل، لذلك منعها من الخروج من البيت حتى تتخلّى عن تلك الفكرة».

ـ «تعني أنها ـ» تردّدت وتألقت عيناها وسألته: «إنها ـ أعني ـ انها سجينة؟».

ـ «تجعلين الأمر يبدو وكأنه ميلودراما». قال يحتجّ دون ان يبالي كثيراً برأيها». إنها مجرد طفلة. أليست عملية إجبار

الطفل على البقاء في غرفته من الطرق المعتمدة غالباً في التربية؟».

أجابت جانيت هنري بسرعة: «آه، طبعاً! لكن...» حدقت في يديها على حضنها، ثم رفعت نظرها إليه ثانية وسألت: «لكن لماذا فكرت في هذه المسألة؟».

كان صوت بومونت فاتراً كابتسامته وهو يردّ عليها متسائلاً: «ومَنْ لا يفكر في ذلك؟».

وضعت يديها على حافة مقعد البيانو وأحنت جسمها قليلاً إلى الأمام. قالت له بجدية: «هذا ما أردت ان أسألك عنه يا سيد بومونت. هل يعتقد الناس ذلك؟».

أومأ برأسه موافقاً، وظلّ محافظاً على هدوئه.

صارت مفاصل أصابعها بيضاء وهي تشد على حافة المقعد. سألته بإصرار: «لماذا؟».

نهض عن الكنبة ومشى نحو الموقد ليرمي ما تبقّى من سيجاره في النار. حين عاد إلى مقعده وضع رجلاً فوق رجل وأسند ظهره ليرتاح. قال: «الطرف الآخر يعتقد أن أصول اللعبة السياسية تقتضي ان يفكر الناس في ذلك». لم يكن في صوته أو في ملامحه أو أسلوبه في التعبير ما يدل على ان لديه أدنى اهتمام شخصي في الموضوع الذي يتحدث عنه.

عبست وقالت: «لكن يا سيد بومونت، لماذا يفكر الناس في

أمر إلاّ إذا كان هناك دليل من نوع ما، أو حتى ظرف معيّن يعتبره الناس دليلاً؟».

نظر إليها باستغراب دون ان يتخلى عن مرحه، وقال: «بالطبع هناك ما يدفع الناس للتفكير بهذا الاتجاه. كنت أظن أنك تعرفين ذلك». ومشّط شاربه بظفره، وسألها: «ألم تصلك واحدة من الرسائل غير الموقعة والتي يتلقّاها معظم الناس في هذه الأيام؟».

وقفت بسرعة من شدّة الانفعال وقالت: «أجل، وصلتني رسالة اليوم! كنت أريد أن أطلعك عليها، كي...».

ضحك ببطء ورفع يده لكي لا تحضر الرسالة وقال: «لا داعي لذلك. جميع الرسائل تتشابه إلى حدّ بعيد، وفي حوزتي نماذج عديدة منها».

جلست ثانية على مضض.

قال: هذه الرسائل بالإضافة إلى المادة التي كانت الأوبزرفور تنشرها قبل تمكننا من إبعادها عن المعركة، وبالإضافة أيضاً إلى الشائعات التي يطلقها الآخرون...» وهزّ كتفيه النحيلين وقال: «إستندوا إلى بعض الوقائع وجعلوا منها قضية ضد بول».

كانت تعضّ على شفتها السفلى وهي تسمعه؛ وبعد قليل سألته مترددة: «هل ـ هل هو في خطر؟».

أحنى بومونت رأسه وقال بثقة وهدوء: «إذا خسر في

الانتخابات وخسر سطوته في المدينة وسلطته في حكومة الولاية فسوف يحكمون عليه بالإعدام بالكهرباء».

أخذت ترتجف وسألته بصوت مرتجف أيضاً: «لكنه سيكون في مأمن إذا فاز في الانتخابات؟».

أحنى بومونت رأسه ثانية وقال: «بالتأكيد».

التقطت أنفاسها وامتدت الرعشة إلى شفتيها وهي تسأله: «هل سيفوز؟».

- «أعتقد ذلك».

- «وفي هذه الحالة مهما كانت هناك من أدلة تدينه هل» وتلاشى صوتها، ثم تابعت بعد قليل: «هل سيكون في خطر؟».

- «لن يحاكموه». وبحركة مفاجئة أجلس ظهره. أغمض عينيه وهو يشدّ عليهما، ثم فتحهما وحدّق في وجهها الشاحب والمتوتر. إلتمعت عيناه بسرور غمر كل ملامحه. ضحك - لم يضحك بصوت عال لكنه ضحك بسعادة غامرة - ووقف وهو يقول: «إنها جوديث بذاتها!».

جلست بهدوء وقد حبست أنفاسها، ونظرت إليه حائرة بعينيها العسليتين اللتين برزتا في وجهها الأبيض المرتبك.

أخذ يروح ويجيء في كل الاتجاهات وهو يتحدث بسعادة

ـ لم يكن يتحدث معها ـ لكنه من حين لآخر كان يلتفت ويبتسم لها.

قال: «هذه هي اللعبة، صارت الأمور واضحة الآن. إنها مستعدة لتحمّل بول ـ ومستعدة لأن تعامله بتهذيب ـ كل ذلك من أجل ان ينال والدها الدعم السياسي الذي يحتاج إليه، لكن لكل شيء حدود. وما تقدمه يكفي لأن بول يحبها كثيراً. لكن حين شاءت وقررت ان بول قتل أخاها وانه سيفلت من العقاب إلاّ إذا بادرت... هذا رائع فعلاً! ابنة بول وحبيبته تحاولان دفعه إلى كرسي الإعدام. إنه بالفعل محظوظ مع النساء».

كان يحمل سيجاراً نحيلاً منقّطاً باللون الأخضر، في يده. وقف أمام جانيت هنري وقضم طرف السيجار وقال وهو لا يريد اتهامها بل يشاركها في اكتشاف أمر ما: «أنت التي وزعت تلك الرسائل. لم يفعل ذلك أحد غيرك. كتبت الرسائل على الآلة الكاتبة التي عثر عليها في الشقة التي كان يلتقي فيها أخوك وأوبال. كان معه مفتاح للشقة، وكان معها مفتاح. هي لم تكتب الرسائل لأنها تأثرت كثيراً حين وصلتها. أنت التي كتبتها. أخذت المفتاح بعد ان سلمت الشرطة لوالدك جميع الأغراض التي كانت بحوزة أخيك، وتسلّلت إلى الغرفة وكتبت الرسائل. هذا رائع فعلاً». وبدأ يمشي ثانية. وقال: «حسناً سنجعل السيناتور يطلب مجموعة من الممرضات القويات ويقفل عليك باب غرفتك لأنك ستصابين بانهيار عصبي. يبدو ان هذا المرض معد وقد بدأ ينتشر بين بنات

رجال السياسة، ونحن أمامنا حملة انتخابية وسنتقدم بخطئ واثقة حتى لو تبين ان في كل عائلة مريضاً مصاباً بانهيار عصبي». والتفت نحوها ليبتسم لها بمودة.

رفعت يدها إلى حنجرتها، ولم تقم بأية حركة أخرى، ولم تقل شيئاً.

قال: «لحسن الحظ لن يسبب لنا السيناتور أية متاعب. إنه لا يهتم لشيء ـ لا يهتم بك ولا بإبنه الذي مات ـ لا يهمه سوى ان يعاد انتخابه وهو يعرف انه لن ينجح إلاّ بمساعدة بول». ضحك وتابع يقول: «وهذا ما دفعك لأن تمثلي دور جوديث، أليس كذلك؟» كنت على يقين أن والدك لن يقطع علاقته مع بول ـ حتى لو كان يفترض أنه مذنب ـ إلى ان يفوز بالانتخابات. ونحن نشعر بالراحة لموقفه هذا».

سكت ليشعل سيجاره فباشرت هي بالكلام. كانت قد رفعت يدها عن حنجرتها، وخفّ تصلّب أوصالها، وقالت بصوت هادىء، ببرود: «أنا لا أجيد الكذب. كنت أعرف أن بول هو الذي قتل تايلور، لذلك كتبت الرسائل».

حمل بومونت السيجار المشتعل في يده وتوجه إلى الكنبة حيث جلس يواجهها. كان ينظر إليها بجدية لكن بدون عدوانية. قال لها: «أنت تكرهين بول، أليس كذلك؟ حتى لو قدمت لك البرهان على أنه لم يقتل تايلور، فلن تتغير مشاعرك نحوه، أليس كذلك؟».

أجابته: «أجل» وعيناها العسليتان تنظران مباشرة إلى عينيه الداكنتين: «أعتقد أنني أكرهه».

ـ «هكذا إذاً! أنت لا تكرهينه لأنك تعتقدين أنه قتل أخاك، بل تعتقدين انه قتل أخاك من شدة كراهيتك له».

هزّت رأسها ببطء من ناحية لأخرى وقالت: «لا».

ابتسم بريبة وسألها: «هل ناقشت هذا الموضوع مع والدك؟».

عضّت على شفتها وتورّدت وجنتاها.

ابتسم بومونت ثانية وقال: «وقال لك ان كلامك سخيف».

ازداد تورّد خديها. وأرادت ان تقول شيئاً لكنها آثرت السكوت.

قال بومونت: «لو ان بول هو قاتل أخيك فإن والدك يعرف ذلك بالتأكيد».

نظرت إلى يديها في حضنها وقالت بفتور وبمأساوية: «والدي يعرف ذلك، لكنه لا يريد ان يصدقه».

قال بومونت: «من المؤكد انه يعرف الحقيقة» وضاقت عيناه وهو يضيف: «هل قال له بول شيئاً في تلك الليلة حول تايلور وأوبال؟».

رفعت رأسها مذهولة وسألته: «ألا تعرف ماذا حدث تلك الليلة؟».

- «لا».

- «لم يكن للأمر أية علاقة بتايلور وأوبال». قالت ذلك وهي تنطق الكلمات بسرعة تنم عن رغبتها في كشف الحقيقة، وتابعت تقول: «انه» والتفتت فجأة نحو الباب فسكتت في الحال. سمعا صوت ضحك يقترب من باب الغرفة وصوت وقع أقدام. التفتت نحو بومونت ثانية وقالت على عجل وهي ترفع يدها لترجوه قائلة: «يجب ان أخبرك بحقيقة ما حدث». وأضافت تهمس بإصرار: «هل أستطيع مقابلتك غدا؟».

- «أجل».

- «أين؟».

اقترح عليها قائلاً: «في بيتي».

أحنت رأسها موافقة بسرعة، وأعطاها العنوان بصوت منخفض وهي همست له: «بعد العاشرة؟».

فأحنى لها رأسه فيما السيناتور وبول مادفيغ كانا يدخلان إلى الغرفة.

إثنان

تمنى بول مادفيغ ونيد بومونت ليلة سعيدة للسيناتور هنري وابنته، وكانت الساعة العاشرة والنصف وهما يصعدان في

سيارة بنية اللون قادها مادفيغ في شارع تشارلز. بعد ان قطعت السيارة مسافة قصيرة تنفّس مادفيغ بعمق وتنهّد بارتياح وقال: «يا إلهي، يا نيد! أنت لا تعرف مدى سعادتي لأن علاقتك بجانيت بدأت تتحسّن».

قال نيد بومونت وهو ينظر بطرف عينه إلى بول مادفيغ: «إنني أعرف كيف أتصرف مع أي شخص كان».

ضحك مادفيغ ضحكة خافتة وقال بمودة: «لا أحد يتفوّق عليك في هذا المجال».

ابتسم نيد بومونت ابتسامة نحيلة وقال: «أريد التحدث إليك في موضوع هام غداً. أين أجدك بعد الظهر؟».

انعطف مادفيغ بالسيارة في شارع الصين وقال: «في المكتب. لكن غداً يكون رابع يوم في هذا الشهر، لماذا لا تبدأ هذا الحديث الآن؟ أمامنا ليلة طويلة».

ـ «لا أعرف الآن جميع النقاط التي أريد اطلاعك عليها. كيف حال أوبال؟».

ـ «بخير» ـ قال مادفيغ بكآبة ثم أضاف: «يا إلهي! أتمنى لو أستطيع ان أكون قاسياً معها. كنت سأتقبل الأمر ببساطة أكثر». اجتازا مسافة، ثم قال فجأة: «ليست حاملاً».

لم يقل نيد بومونت شيئاً. وجهه خلا من أي تعبير.

خفّف مادفيغ من سرعة السيارة وهما يقتربان من نادي

«لوغ كابين». كان وجهه متورّداً من شدة الانفعال. سأل صديقه بصوت أجشّ: «ما رأيك يا نيد؟ هل كانت ـ (وبلع ريقه بصعوبة وبصوت مسموع) ـ هل كانت عشيقته؟ أم ان لقاءاتهما كانت بريئة؟».

قال نيد بومونت: «لا أعرف. ولا أريد ان أعرف. بول، لا توجّه لها هذا السؤال».

أوقف مادفيغ السيارة وظل مكانه خلف المقود يتأمل الشارع أمامه. ثم جلا حنجرته ثانية وقال بصوت منخفض وأجشّ: «لست رجلاً سيئاً يا نيد».

ـ «إيه ـ إيه» قال نيد بومونت موافقاً معه وهما ينزلان من السيارة.

دخلا إلى النادي، وصعدا إلى الطابق الثاني، حيث افترقا أمام صورة الحاكم.

نيد بومونت دخل غرفة صغيرة في آخر الممر، حيث كان خمسة رجال يلعبون البوكر وثلاثة آخرين يراقبون اللعبة. أفسح له اللاّعبون مجالاً بينهم وحوالى الثالثة صباحاً، حين انتهى اللعب، كان قد ربح حوالى أربعمئة دولار.

ثلاثة

كان الوقت ظهراً حين وصلت جانيت هنري إلى شقة نيد

بومونت. كان منذ أكثر من ساعة يذرع المكان ذهاباً وإياباً، يدخّن سيجارة تارة، ويقضم أظافره طوراً.

أسرع نحو الباب حين سمع رنين الجرس، وفتحه، وابتسم لها كأنه يستغرب تأخرها وقال: «صباح الخير».

بدأت تقول: «إنني آسفة جداً لأنني تأخرت، لكن...».

قال لها مقاطعاً: «لكنك لم تتأخري، موعدنا كان في أي وقت بعد العاشرة».

وأشار لها بالدخول إلى غرفة الجلوس.

قالت: «شقتك لطيفة»، واستدارت ببطء وهي تتفحص الأثاث القديم والسقف العالي والنوافذ العريضة والمرآة الضخمة فوق الموقد، والقماش المخمليّ الأحمر الفاخر الذي يغطي المقاعد. «إنها جميلة فعلاً». والتفتت نحو باب نصف مفتوح وسألته: «هل هذه غرفة النوم؟».

- «أجل. هل تودين إلقاء نظرة عليها؟».

- «أجل».

وتقدم نحو غرفة النوم وتركها تتفرج عليها، ثم على المطبخ والحمام.

قالت وهما يرجعان إلى غرفة الجلوس: «المكان رائع. لم أكن أعرف أنه لا تزال توجد في هذه المدينة التي تتبع الطراز الحديث والبشع، أبنية جميلة كهذه».

أحنى رأسه قليلاً موافقاً على كلامها وقال: «أعتقد أن الشقة جميلة، وكما رأيت لا يوجد أحد لكي يسترق السمع إلينا، إلاّ إذا كان قد اختبأ داخل الخزانة، وهذا مستبعد».

رفعت رأسها تنظر إليه وقالت: «لم أكن أفكر في ذلك. قد لا نكون متفقين، وربما نصبح، أو اننا الآن، عدوّين، لكنني متأكدة من انك جنتلمان، وإلاّ ما كنت وافقت على المجيء إلى هنا».

سألها مازحاً: «تعنين انني تعلمت ألاّ أنتعل حذاء بنياً مع بذلة زرقاء؟ أمور كهذه؟».

- «لا أعني هذه الأمور».

ابتسم: «أنت مخطئة إذاً، لأنني مقامر، وأعمل مرافقاً لرجل سياسي».

- «لست مخطئة». ونظرت إليه ترجوه قائلة: «أرجوك لا داعي لأن نختلف منذ البداية، دعنا نختلف حين تكون هناك أسباب للخلاف».

ابتسم واعتذر قائلاً: «آسف. هلاّ تفضلت بالجلوس؟».

جلست، وجلس بدوره قبالتها في مقعد أحمر وثير. قال: «كنتِ البارحة تريدين ان تخبريني تفاصيل ما حدث ليلة مقتل أخيك».

قالت بصوت غير مسموع تقريباً: «أجل».

تورّد خداها وحوّلت نظرها إلى أرض الغرفة. حين رفعت عينيها ثانية كان الخجل واضحاً فيهما، والارتباك أثّر على صوتها وهي تقول: «أريدك ان تعرف ماذا حدث. أنت صديق بول ـ وقد تجعلك هذه الصداقة عدواً لي، لكن ـ أعتقد انك حين تعرف الحقيقة ـ لن تكون ـ على الأقل لن تكون عدوي. لا أعرف. ربما تختار ان تكون عدوي ـ لكن على أية حال يجب ان تعرف الحقيقة، حتى تستطيع ان تقرّر. وأنت قلت لي انه لم يخبرك».

نظرت إليه مباشرة فزال الخجل من عينيها وسألته: أليس كذلك؟».

ـ «أنا لا أعرف شيئاً عما دار في منزلكم تلك الليلة، وهو لم يخبرني».

انحنت صوبه وسألته بسرعة: «ألا يدلّ ذلك انه يريد التكتم على ما حدث، أو انه مضطر للتكتم عليه؟».

هزّ كتفيه وسألها بدون انفعال كأنه غير موافق على رأيها: «ولنفترض أن هذا صحيح؟».

عبست وقالت: «لكن يجب ان تنتبه ـ لا داعي لذلك الآن. سأخبرك بما حدث وأنت تقرر بنفسك». ظلت منحنية نحوه وهي تحدق في وجهه بعينيها العسليتين وقالت: «كان يتناول العشاء معنا، وتلك كانت المرة الأولى التي ندعوه فيها للعشاء».

ـ «أعرف ذلك. وأخوك لم يكن موجوداً».

- «لم يكن تايلور يتناول العشاء معنا، لكنه كان في غرفته. كنا نتعشى أنا ووالدي وبول فقط. تايلور كان يحضّر نفسه ليتناول العشاء في الخارج. كان يرفض الجلوس إلى مائدة واحدة مع بول بعد الخلاف الذي حصل بينهما بشأن أوبال».

أومأ برأسه انه يستمع إليها بانتباه، لكن بدون حماسة.

- «بعد العشاء وجدت نفسي لوحدي مع بول في الغرفة التي جلسنا فيها البارحة، وفجأة وضع يديه حولي ليقرّبني منه وقبلني».

ضحك نيد بومونت، لم يضحك بصوت عالٍ، لكنه ضحك من نوبة فرح مفاجيء لم يستطع إخفاءها.

نظرت إليه جانيت هنري مذهولة.

عدّل من ضحكته وتركها تتقلّص في ابتسامة وقال: «آسف. أرجوك ان تتابعي حديثك. سأشرح لك فيما بعد سبب هذا الضحك». وحين فتحت فمها تريد متابعة كلامها، قال: «انتظري هل قال لك شيئاً حين قبّلك؟».

- «لا. أعني، ربما يكون قد فعل ذلك، لكنني لم أسمع شيئاً» - وازدادت حيرتها، فسألته: «لماذا؟».

ضحك بومونت ثانية وقال: «أعتقد انه قال لك شيئاً حول حصته. كل هذا حصل بسببي. كنت أحاول إقناعه بأن يتوقف عن دعم والدك في الانتخابات، وقلت له إن والدك يستخدمك كطعم لكي يكفل ان بول سيقدم له الدعم الذي يطلبه، وقد

نصحته انه إذا كان موافقاً على هذه الصفقة فإنه يجب ان يتأكد من انه سيحصل على نصيبه منها قبل الانتخابات أو انه سيخسر هذا النصيب».

فتحت عينيها وقد خفت الحيرة فيهما.

قال: «حديثي هذا قلته له بعد ظهر ذلك اليوم، مع انني لم أكن أتصوّر انني نجحت في إقناعه». قطّب جبينه وأضاف: «ماذا فعلتِ له».

كان ينوي فعلاً الزواج منك وهو يكنّ لك احتراماً كبيراً وحبّاً أكبر، يبدو انك ضايقته وأغضبته حتى تصرّف معك على هذا النحو».

أجابته بهدوء: «لم أفعل شيئاً. مع انني لم أكن مرتاحة ذلك المساء. لم يكن أي واحد فينا مرتاحاً. حاولت جاهدة ألاّ أظهر انني - أنني أكره استضافته. وهو لم يكن مرتاحاً، أعرف ذلك، وأعتقد ان ارتباكه بالاضافة إلى الشك الذي زرعته أنت في نفسه جعلاه يقدم على...» وأنهت جملتها بحركة سريعة من يديها.

أحنى نيد بومونت رأسه موافقاً وسألها: «ماذا حدث بعد ذلك؟».

- «غضبت كثيراً، بالطبع، وخرجت من الغرفة».

- «هل قلت له شيئاً؟» وكانت عيناه تلمعان فرحاً لم ينجح في اخفائه.

ـ «لا، وهو لم يقل لي شيئاً. صعدت على السلم والتقيت بوالدي وهو ينزل. كنت أخبره بما حدث ـ كان غضبي من والدي يوازي غضبي من بول، لأن والدي هو السبب في وجود بول عندنا ـ وسمعنا بول وهو يخرج من الباب الرئيسي. ونزل تايلور من غرفته». صار وجهها شاحباً ومشدوداً وصوتها خشناً من الانفعال وأضافت: «كان قد سمعني أتحدث مع والدي وسألني ماذا حدث، لكنني لم أجبه وتركته واقفاً مع والدي وتوجهت إلى غرفتي وأنا حانقة لدرجة انني لم أعد أقدر على الكلام. ولم أر أحداً منهما بعد ذلك، إلى ان فتح والدي باب غرفتي وأخبرني ان تايلور ـ قتل».

سكتت ونظرت بوجهها الشاحب إلى نيد وهي تعبث بأصابعها وتنتظر جوابه بعد سماعه قصتها.

جوابه كان تساؤله ببرود: «حسناً، وماذا يعني كل ذلك؟».

ـ «ماذا يعني كل ذلك؟» ردّدت كلامه مدهوشة. «ألم تفهم ما حدث؟» لقد أدركت في الحال ان تايلور ركض خلف بول وانه حين وصل إليه بادر بول إلى قتله. كان تايلور غاضباً و...» وانتبهت فجأة لمسألة هامة فقالت: «تعرف ان قبعته لم تكن موجودة مكان الحادثة؛ لقد خرج من البيت على عجل وفي نوبة الغضب الشديد لم يرجع إلى غرفته ليضع قبعته انه...».

هزّ رأسه ببطء يقاطعها، وقال بصوت واثق: «لا. لست مقتنعاً بما تقولينه. لم يكن بول مضطراً لأن يقتل تايلور، وهو

لا يقدم على أمر كهذا. كان باستطاعته ان يتدبر أمه بقبضة يده، وهو ليس ممن يفقدون السيطرة على أعصابهم أثناء العراك. إنني أعرف ذلك جيداً. رأيت بول مرات عديدة وهو يتشاجر مع الآخرين، وقد تشاجرت معه بدوري. ما تقولينه ليس مقنعاً».

وقطّب جبينه وتحجّرت نظرته وهو يسألها: «ولنفترض انه فعل ذلك؟ أعني عن غير قصد، مع انني لا أصدق ذلك. هل تستطيعين ان تفسّري ما حدث إلاّ في إطار الدفاع عن النفس؟».

رفعت رأسها لترفض فكرته قائلة: «إذا كانت الحادثة دفاعاً عن النفس، لماذا يتكتم حول ما حدث؟».

لم يظهر على نيد بومونت أنه تأثّر بردّها، فقال لها: «إنه يريد ان يتزوجك. ولن يكون اعترافه بأنه قتل أخاك مفيداً له في هذا المجال...» وضحك ضحكة خافتة وأضاف: «يبدو انني صرت سيئاً مثلك. بول لم يقتل أخاك، يا آنسة هنري».

تحجّرت نظرتها هي الآن، وظلّت تتأمله دون ان تقول شيئاً.

فكّر قليلاً ثم سألها: «وأنت ليس عندك سوى ـ» وأخذ يعبث بأصابع يده ثم أضاف: «استنتاجك أن أخاك ركض في إثر بول تلك الليلة؟».

أجابته بإصرار: «هذا يكفي! لقد فعل ذلك. من المؤكد أنه

ركض في إثره. وإلاّ ـ ما الذي جعله يتوجه إلى شارع الصين وهو حاسر الرأس؟».

ـ «هل رآه والدك حين خرج من البيت؟».

ـ «لا، لم يكن يعرف ذلك حتى وصله الخبر...».

قاطعها قائلاً: «هل هو موافق معك؟».

علا صوتها وهي تقول: «يجب أن يكون موافقاً معي لأن ما أقوله لك لا مجال للخطأ فيه. يجب أن يكون موافقاً مهما كان الكلام الذي سيقوله، وأنت أيضاً يجب أن توافق على صحة ما أقوله».

ترقرقت الدموع في عينيها وتابعت تقول: «أنا واثقة أنك ستصدقني. أنت الذي عثرت على تايلور بعد مقتله يا سيد بومونت. ربما تكون مطلعاً على أمور أخرى لا أعرفها، لكن الصورة الحقيقية اكتملت عندك الآن».

بدأت يدا نيد بومونت ترتجفان. أسند ظهره في مقعده كي يتمكن من وضع يديه في جيبيْ بنطوله. كان وجهه هادئاً لكن التوتر رسم بضعة خطوط حول فمه. قال لها: «وجدته ميتاً، ولم يكن هناك أحد في الشارع، ولم أعرف شيئاً آخر».

قالت: «الآن صرت تعرف».

اهتزت شفتاه تحت شاربه الأسود، واتّقد الغضب في عينيه

وقال لها بصوت منخفض وأجشّ وبمرارة متعمّدة: «أعرف الآن ان الذي قتل أخاك قدّم خدمة للعالم».

أجفلت ورفعت يديها إلى حنجرتها، لكنها هدأت مباشرة وزال الرعب عن وجهها ونظرت إليه كأنها تتفهم ردة فعله العنيفة، وقالت له بهدوء: «أعرف. انك صديق بول، وهذا الحديث يؤذي مشاعرك».

أخفض رأسه قليلاً وتمتم قائلاً: «لقد قلت شيئاً لا معنى له. إنه كلام سخيف». وابتسم بسخرية وقال: «أترين، كنت على حق حين قلت لك إنني لست جنتلماناً». ذبلت ابتسامته وتخلصت عيناه من خجلهما وصارتا هادئتين، وقال لها بصوت عادي: «وأنت على حق أيضاً في أنني صديق بول، وسأظل صديقاً له حتى ولو كان قاتلاً».

أخذت تتأمله بإصرار وقالت له بصوت منخفض: «هل يعني هذا أن حديثنا لا فائدة منه؟ كنت أعتقد أنني لو أكشف الحقيقة لك...» وشعرت بأنها عاجزة عن مواصلة الكلام فهزّت يديها وكتفيها يائسة.

حرّك رأسه ببطء، ليقول لها انه لن يغيّر وجهة نظره.

تنهّدت ووقفت وهي تمدّ له يدها وقالت: «أنا آسفة وأشعر في الوقت نفسه بالخيبة، لكن لا داعي لأن نصبح عدوّين، أليس كذلك؟».

وقف يواجهها، لكنه لم يمدّ يده وقال: «في شخصيتك جانب خدع بول ويحاول أن يخدعني، هذا الجانب عدوّ لي».

ظلت تمدّ يدها إليه وهي تسأله: «والجانب الآخر في شخصيتي، الجانب الذي لا علاقة له بالأمر؟».

مد يده وتناول يدها وانحنى فوقها باحترام.

أربعة

خرجت جانيت هنري من الشقة، وتوجه نيد بومونت إلى التلفون، طلب رقماً وقال: «مرحباً، أنا نيد بومونت، هل السيد مادفيغ موجود؟... حين يعود قل له انني اتصلت به وانني سأحضر إلى المكتب لرؤيته... أجل، شكراً».

نظر إلى ساعته، كانت الساعة الواحدة وبضع دقائق. أشعل سيجاراً وجلس قرب النافذة، وراح يحدق في المبنى الرمادي في الجهة الأخرى من الشارع. أخذ الدخان يرتد عن زجاج النافذة المقفلة ويتجمع في دوائر رمادية فوق رأسه. كان يعض بحدّة على طرف السيجار. مضت عشر دقائق وهو على هذه الحال، حتى رنّ جرس التلفون.

رفع السماعة وقال: «مرحباً... أجل، هاري... بالتأكيد. أين أنت الآن؟... سأنزل إلى وسط المدينة. انتظرني هناك... نصف ساعة... حسناً».

ألقى بسيجاره في الموقد، وضع قبعته وارتدى معطفه

وخرج. مشى حوالى ست مجموعات من المباني حتى وصل إلى مطعم، حيث تناول سلطة وأقراصاً مقلية، وشرب فنجاناً من القهوة؛ وعلى بعد أربع مجموعات من المباني وصل إلى فندق صغير يدعى ماجيستيك، وصعد إلى الطابق الرابع بواسطة مصعد يعمل فيه شاب صغير القامة ناداه باسم نيد وحيّاه وسأله رأيه في الشوط الثالث من سباق الخيل.

فكّر بومونت وقال: «أقترح عليك اللورد بايرون».

قال عامل المصعد: «أتمنى ان تكون مخطئاً. لأنني راهنت على بايب أورغان».

هزّ بومونت كتفيه وقال: «ربما يربح، لكن وزنه ازداد بنسبة كبيرة». وتوجه إلى غرفة رقم ٤١٧ وطرق بابها.

فتح له هاري سلوس؛ كان رجلاً ممتلىء الجسم وشاحب الوجه، في الخامسة والثلاثين، وهو أصلع بشكل جزئي. قال: «في موعدك تماماً، تفضل بالدخول».

أغلق سلوس الباب، فسأله بومونت: «ما هي مشكلتك؟».

الرجل البدين توجه نحو السرير وجلس على حافته. قطّب جبينه ونظر إلى بومونت بقلق وقال: «لا يبدو الوضع جيداً برأيي يا نيد».

ـ «وما هو هذا الوضع؟».

ـ «ما حمله «بين» إلى مركز الشرطة من معلومات».

قال بومونت بتوتر: «حسناً. أنا مستعد لأن أسمع تفسيرك لما تقول، متى تشاء».

رفع سلوس يده وقال: «إنتظر يا نيد، سأخبرك جميع التفاصيل. إسمعني فقط». بحث في جيوبه عن علبة سجائره وتناول علبة محطمة من إحداها.

سأل بومونت: «هل تتذكر الليلة التي قتل فيها الشاب هنري؟»

قال بومونت: «إيه ـ إيه» بلا اكتراث.

ـ «أتتذكر أنني وبين وصلنا إلى النادي قبل وصولك إليه بقليل؟».

ـ «أجل».

ـ «حسناً، اسمعني جيداً: لقد رأينا بول والصبي يتجادلان بحدّة تحت الشجيرات على الرصيف».

مشّط بومونت جانباً من شاربه بظفره، مرة، وتكلم ببطء وحيرة: «لكنني رأيتكما تنزلان من السيارة أمام النادي ـ وذلك بعد قليل من العثور على الجثة ـ والسيارة كانت تجتاز الشارع من الجهة المقابلة». وحرك إصبعه وأضاف: «وبول كان موجوداً في النادي عند وصولكما».

أحنى سلوس رأسه بقوة موافقاً على كلام نيد وقال: «هذا

صحيح، لكننا قطعنا أولاً شارع الصين إلى مخزن بينكي كلاين ولم نجده هناك، فعدنا إلى النادي».

سأله نيد بومونت: «وماذا رأيتما بالتحديد؟».

- «رأينا بول والصبي واقفين تحت الأشجار يتجادلان بحدة».

- «ورأيتما ذلك وأنتما في السيارة تمران في الشارع؟».

أحنى سلوس رأسه بقوة مرة ثانية.

قال له بومونت يحاول أن يذكّره: «كان الشارع مظلماً، وأنا لا أفهم كيف تمكنتما من رؤية وجهيهما، إلاّ إذا كنت قد أبطأت من سرعة السيارة، أو انك أوقفتها تماماً».

قال سلوس بإلحاح: «لا، لم أفعل ذلك، لكني أستطيع أن أعرف بول في أي مكان».

- «قد تكون مصيباً في ذلك، ولكن كيف تستطيع ان تجزم أن الصبي تايلور هو الذي كان واقفاً أمامه؟».

- «إنه هو. من المؤكد أنه هو. رأينا وجهه وعرفناه».

- «وعرفتما أنهما كان يتجادلان أيضاً؟ وماذا تعني بذلك؟ هل كانا يتعاركان؟».

- «لا. لكنهما يقفان وكأنهما يتجادلان حول مسألة معينة. أنت تعرف أنك تستطيع ان تميّز «شخصين يتجادلان من طريقة وقوفهما أحياناً».

ابتسم بومونت دون أن يجد ما يبعث على المرح، وقال: «أجل، إذا كان أحدهما يواجه الآخر بجرأة». وتلاشت ابتسامته وهو يضيف: «وهذه هي المعلومات التي حملها «بين» إلى مركز الشرطة؟».

ـ «أجل؛ ولست متأكداً إذا قرر بنفسه الذهاب إلى مركز الشرطة، أم ان «فار» أرسل في طلبه بعد حصوله على معلومات في هذا الخصوص، وعلى أية حال تبقى النتيجة واحدة، بين إعترف أمام «فار» بما رأيناه. وقد حدث ذلك البارحة».

ـ «وكيف عرفت بما حدث يا هاري؟».

قال سلوس: ««فار» يطاردني؛ قال له «بين» انني كنت برفقته، فأرسل فار يطلب إليَّ الحضور لمقابلته، لكنني لا أريد ان يكون لي دور في هذه القضية».

قال نيد بومونت: «أتمنى ذلك يا هاري. وماذا ستقول إذا تمكّن فار من الوصول إليك؟».

ـ «لن أدعه يعرف مكاني. لأجل هذا السبب طلبت إليك الحضور».

بلع ريقه ليجلو صوته وبلل شفتيه وتابع: «إنني أفكر في مغادرة المدينة لأسبوع أو اسبوعين، إلى ان تهدأ الأمور قليلاً، وهذا يحتاج إلى بعض المال».

ابتسم بومونت وهزّ رأسه: «هذا التصرف ليس سليماً. إذا كنت تريد مساعدة بول إذهب إلى مكتب فار وقل له انك لم

تتمكن من التعرّف إلى الرجلين اللذين كانا يقفان تحت الأشجار، وانك لا تعتقد أن أي شخص آخر في سيارتك كان بإمكانه ان يفعل ذلك أيضاً».

قال سلوس عن طيب خاطر: «حسناً، أنا موافق. لكن، إسمعني يا نيد، يجب أن تعطيني شيكاً بالمقابل، لأن الأمر فيه مخاطرة و- حسناً - أنت تعرف كيف تتصرف».

أحنى بومونت رأسه موافقاً وقال: «سنجد لك عملاً سهلاً ومثمراً بعد الانتخابات، بحيث لا تحتاج ان تعمل أكثر من ساعة في اليوم».

وقف وقال: «سيكون هذا...» وبدت في عينيه المنقطتين باللون الأخضر نظرة فيها إصرار، فقال:

- «بصراحة يا نيد أنا مفلس. ألا تستطيع ان تستبدل هذا المنصب بمبلغ أقبضه الآن؟ إنني في أمسّ الحاجة له».

- «ربما أستطيع ذلك. سأبحث الأمر مع بول».

- «أرجوك ان تفعل يا نيد، وان تتصل بي».

- «بالتأكيد. إلى اللقاء».

خمسة

من فندق ماجيستيك توجه بومونت إلى مركز الشرطة؛ حيث قصد مكتب النائب العام وطلب مقابلة فار.

الشاب الذي طلب إليه بومونت أن يستأذن له بمقابلة فار، دخل إلى مكتب النائب العام ورجع بعد قليل معتذراً: «آسف يا سيد بومونت، السيد فار ليس في مكتبه».

- «متى يعود؟».

- «لا أعرف. يقول سكرتيره انه لم يحدد موعد رجوعه».

- «لا بأس، سأنتظره قليلاً في مكتبه».

وقف الشاب ذو الوجه المستدير في طريق بومونت قائلاً: «أرجوك، لا تفعل...».

ابتسم بومونت ابتسامة لطيفة للشاب وسأله بهدوء: «يبدو أن هذا العمل لا يعجبك يا بنيّ؟».

تردّد الشاب ثم ابتعد عن طريق نيد بومونت، الذي تقدم نحو الممر الداخلي ووصل إلى باب غرفة النائب العام وفتحه.

رفع فار رأسه ووقف في الحال يقول باستغراب: «هذا أنت؟ اللعنة على هذا الصبي! انه لا يعرف أبداً كيف يتصرف. قال لي ان رجلاً يدعى السيد بومان يريد مقابلتي».

قال بومونت ببرود: «لا عليك. المهم انني رأيتك».

لوّح النائب العام بيده يشير إليه بالجلوس، وبعد ان اختار مقعداً سأله بومونت بفتور: «هل هناك جديد؟».

- «لا». وأرجع كرسيه قليلاً إلى الوراء وعلّق أصابعه على جيبتي سترته. «لا شيء، عمل روتيني سئمنا منه».

- «والتحضيرات للإنتخابات؟».

- «يمكن أن تكون أفضل مما هي عليه».

وتكدّر وجه النائب العام المنتفخ والمتورّد وأضاف: «لكنني أعتقد أننا نسيطر على الوضع».

- «أمور عديدة، وأخبار كثيرة. هذا ما يحصل عادة في فترة الإنتخابات».

- «هل أستطيع ان أقدم أية مساعدة، أنا أو بول؟».

وحين هزّ فار رأسه الذي يغطيه شعر أحمر قصير وخشن، سأله بومونت: «هل الحديث عن علاقة بول بمقتل هنري هو أسوأ مشكل تعرّضت له؟».

بريق رعب بدا في عيني فار، واختفى وهو يغمض عينيه بشكل غير إرادي. جلس مستقيم الظهر في مقعده وقال بحذر: «يبدو انه كان من الأفضل ان ننتهي من هذه القضية منذ فترة، وأن نعثر على القاتل ونكشف الحقيقة. هذه إحدى المشاكل، وربما تكون أكبرها».

- «هل توصلت إلى جديد في هذا المجال؟ هل عرفت شيئاً منذ لقائنا الأخير؟».

هزّ فار رأسه وظلّ حذراً من بومونت.

إبتسم له بومونت ببرود وسأله: «ما زال التحقيق بطيئاً في مجالات معينة؟».

تضايق فار وقال: «أجل، بالطبع يا نيد».

أحنى نيد بومونت رأسه موافقاً، وبنظرة خبيثة وصوت متهكّم سأله: «وهل الموضوع الذي حدثك فيه «بين فيريس» من الموضوعات التي يجري التحقيق فيها ببطء؟».

فتح فار فمه ثم أغلقه. رطّب شفتيه وشدّ عليهما، وعيناه أصيبتا بالذهول أولاً ثم صارتا خاليتين من أي تعبير وقال: «لا أعرف ما إذا كان هناك شيء مهم في رواية فيريس أم لا، يا نيد. ولا أعتقد أنها هامة. ولم أفكر في الأمر ولم أجد فيه ما يستدعي ان أخبرك بشأنه».

ضحك بومونت بسخرية.

قال فار: «أنت تعرف جيداً أنني لا أخفي أية معلومات عنك وعن بول، أية معلومات لها أهميتها. أنتما تعرفانني منذ فترة طويلة».

أجابه نيد بومونت: «كنا نعرفك قبل ان تصبح قوياً. لكن لا بأس. إذا كنت تريد الرجل الآخر الذي كان في السيارة مع فيريس تجده الآن في الغرفة ٤١٧ في فندق ماجيستيك».

كان فار يتأمل عدة الكتابة الخضراء على مكتبه، وتمثال الراقص العاري وهو يرفع طائرة بين قلمين مائلين. بدا حائراً لكنه آثر الصمت.

وقف نيد بومونت وعلى شفتيه ابتسامة نحيلة. قال: «بول يحب دائماً مساعدة رجاله في الخروج من أي مأزق يقعون

فيه. هل تعتقد من الأفضل ان يسلّم بول نفسه لكي يُحاكم في قضية اغتيال هنري؟».

لم يرفع فار عينيه عن عدة الكتابة الخضراء. قال بعناد: «ليس من حقّي ان أقول لبول ماذا عليه ان يفعل».

ـ «هذا رأي رائع!» قال نيد بومونت وهو ينحني عند طرف المكتب حتى صار وجهه قريباً من أذن النائب العام فخفض صوته وقال له كأنه يريد ان يأتمنه على سر: «وإليك رأي آخر احتفظ به أيضاً. ليس من حقك ان تبادر في أي عمل لم يطلب إليك بول القيام به».

وتوجه نحو الباب وهو يبتسم له، لكن ابتسامته اختفت حين خرج من الغرفة.

- ٨ -

قبلة الوداع

واحد

دفع نيد بومونت باب شركة الولاية الشرقية للمقاولات، وتبادل تحية الصباح مع موظفتين في أول غرفة دخل إليها، ثم انتقل إلى غرفة أكبر فيها عدد من الموظفين تبادل معهم عبارات الترحيب وفتح باباً كتبت عليه كلمة: «مكتب خاص». دخل غرفة مربعة يتوسطها مكتب خشبي حيث جلس بول مادفيغ يدقّق في بعض الأوراق أمامه وبجانبه شاب صغير ينتظر تعليماته باحترام.

رفع مادفيغ رأسه وقال: «أهلاً نيد» ودفع بالأوراق جانباً وقال للشاب: «خذها الآن وعد بها فيما بعد».

جمع الشاب الأوراق وقال: «بالتأكيد يا سيدي. كيف حالك يا سيد بومونت؟» ثم أغلق الباب وراءه.

قال مادفيغ: «تبدو وكأنك لم تنم جيداً ليلة البارحة يا نيد. ماذا فعلت؟ أجلس أرجوك».

خلع بومونت معطفه وألقى به على مقعد، ووضع عليه قبعته، ثم تناول سيجاراً وقال: «لست متعباً، أنا بخير. ماذا لديك من جديد؟» وجلس على حافة المكتب.

قال له الرجل الأشقر: «أريدك ان تقابل ملوغلين، لأنك الوحيد الذي تعرف كيف تتعامل معه».

ـ «حسناً. ما به؟».

عبس مادفيغ وقال: «لا أحد يعرف ما به! اعتقدت أنني نجحت في التفاهم معه، لكن يبدو أنه يتجه نحو الفريق الآخر الآن».

تعكّر صفو عيني بومونت السوداوين ونظر إلى صديقه وقال: «هو أيضاً؟».

سأله مادفيغ ببطء بعد فترة من التفكير: «ماذا تقصد بذلك يا نيد؟».

وجاء رد بومونت بصيغة سؤال آخر: «هل تبدو لك الأمور على ما يرام؟».

هزّ مادفيغ كتفيه بنفاد صبر وهو يراقب بومونت بتمعّن وقال: «ليست سيئة. نستطيع ان نستغني عن مجموع أصوات ملوغلين إذا اضطررنا لذلك».

قال نيد بومونت وهو يشدّ على شفتيه: «ربما؛ لكننا لن نتحمّل خسارة المزيد من الأصوات». وضع السيجار في

زاوية فمه وقال: «أنت تعرف أن وضعنا ليس جيداً كما كان منذ اسبوعين».

ابتسم له مادفيغ بمودّة وقال له: «وأنت تجد متعة في رسم الصور المتشائمة يا نيد! ألا تجد أبداً ما يعجبك؟» ولم ينتظر رده بل تابع بهدوء واثق: «لم يسبق لي ان خضت حملة انتخابية إلاّ ومررت في ظروف سيئة تنذر بالخسارة التامة. لكن هذا لم يحصل».

كان بومونت يشعل سيجاره؛ نفخ الدخان من فمه وقال: «وهذا لا يعني انه لن يحصل أبداً». وأشار بسيجاره نحو مادفيغ وأضاف: «إذا لم تثبت براءتك من قضية اغتيال تايلور هنري بأسرع وقت، فلا داعي لأن تتابع حملتك الإنتخابية. فأنت ستخسر بمطلق الأحوال».

لم تتغير ملامح وجه مادفيغ، لكن عينيه الزرقاوين فقدتا شفافيتهما. قال بصوت عادي: «وماذا تعني بقولك هذا يا نيد؟».

- «جميع سكان هذه المدينة يعتقدون أنك أنت قاتله».

- «حقاً؟» ورفع يده إلى ذقنه وأخذ يفركه وهو يفكر، ثم قال: «لا تقلق لهذا الأمر؛ لقد تداول الناس أخباراً كثيرة عني من قبل».

ابتسم له بومونت بفتور وسأله بإعجاب لا يخلو من

السخرية: «وهل هناك أي موقف لم تتعرض له من قبل؟ وهل جربت كرسي الإعدام أيضاً؟».

ضحك الآخر وقال: «ولن أجرّبه أبداً».

قال بومونت بهدوء: «لست بعيداً جداً عنه الآن يا بول».

ضحك مادفيغ ثانية وقال: «يا إلهي!».

هزّ بومونت كتفيه وسأله: «هل أنت مشغول؟ هل تعتقد أنني أضيّع لك وقتك بتفاهات لا قيمة لها؟».

قال له مادفيغ بهدوء: «إنني أستمع إليك بانتباه؛ أنا أسمع دائماً كل كلمة تقولها».

ـ «أشكرك يا سيدي. ما الذي جعل ملوغلين برأيك يغيّر موقفه؟

هزّ مادفيغ رأسه لأنه لا يعرف الجواب.

قال نيد بومونت: «لأنه يعتقد انك ستخسر. الجميع يعرفون أن رجال الأمن لم يحاولوا البحث عن قاتل تايلور والجميع يعرفون ان موقفهم هذا سببه أنك أنت القاتل. وملوغلين يعتقد ان هذه الأقاويل تكفي لأن تخسر في الإنتخابات هذه المرة».

ـ «حقاً؟ وهو يعتقد أيضاً ان شاد سيتولى شؤون المدينة أفضل منّي؟ ويعتقد أن الشبهة التي تدور حولي تجعلني أسوأ من شاد؟».

عبس بومونت وقال لصديقه: «أنت تحاول إما أن تخدع نفسك أو تخدعني. ما علاقة سمعة شاد، بالموضوع الذي نتحدث فيه؟ شاد لا يصرّح بعلاقته بمرشحيه، أنت تفعل ذلك، ومرشحوك هم المسؤولون عن عدم إجراء التحريات اللازمة بشأن جريمة القتل».

رفع مادفيغ يده إلى ذقنه ثانية وأسند مرفقه إلى الطاولة. لم تظهر التجاعيد على وجهه الوسيم المتورّد اللون. قال: «لقد تحدثنا ما فيه الكفاية حول رأي الآخرين يا نيد. أريد ان أعرف رأيك أنت. هل تعتقد انني خسرت؟».

قال بومونت بصوت منخفض وواثق: «على الأرجح. الخسارة مضمونة إذا لم تفعل شيئاً. لكن مرشحيك سيفوزون».

قال مادفيغ ببرود: «هذا الاستنتاج بحاجة إلى شرح».

نفض بومونت رماد سيجاره بتأن في المنفضة النحاسية قرب طاولة المكتب. ثم قال بدون انفعال: «سوف يشطبون اسمك».

- «حقاً؟».

- «ولِمَ لا؟ لقد تركت شاد يأخذ معظم الناس العاديين من وراء ظهرك. لأنك تعتمد على أبناء الطبقة المحترمة، هؤلاء تهمّك أصواتهم، ولا تهمّك أصوات الرّعاع. لكن الريبة بدأت تدخل قلوب أبناء الطبقة الراقية. في هذه الحالة يقرر مرشحوك توجيه الضربة القاضية، يلقون القبض عليك بتهمة القتل، والمواطنون المحترمون يشعرون بالسعادة لأن المسؤولين

الشرفاء هم على جانب كبير من الشجاعة بحيث انهم يبادرون إلى سجن رئيسهم المعروف لأنه انتهك حرمة القانون، وسوف يتدافعون لإنتخاب الأبطال لإدارة شؤون مدينتهم مدة أربع سنوات أخرى. في هذه الحالة لا تستطيع ان تلوم رجالك، لأنهم يعرفون جيداً ان أوضاعهم المعيشية ستكون مؤمّنة إذا وافقوا، وسيصبحون عاطلين عن العمل إذا رفضوا».

أنزل مادفيغ يده عن ذقنه وسأله: «أنت لا تعوّل كثيراً على إخلاصهم، أليس كذلك يا نيد؟».

ابتسم نيد بومونت وأجابه: «أعوّل عليه بالقدر الذي تعول أنت عليه». وذبلت ابتسامته وهو يضيف: «ما أقوله لك يا بول ليس تخميناً. لقد زرت فار بعد ظهر اليوم، وكنت مضطراً لأن أقتحم باب مكتبه اقتحاماً ـ لأنه حاول ان يتفادى اللقاء بي. ادّعى أنه لم يباشر بالتحريات في جريمة القتل، وحاول ان يخفي المعلومات التي توصّل إليها. وفي النهاية لعب دور المغفّل». وكشّر استياء وتابع يقول: «هذا «فار» الذي كان طوع يدي دائماً».

قال مادفيغ: «لكن هذا «فار» وحده».

فقاطعه بومونت مباشرة وقال: «فار وحده! إنه إشارة التحذير لنا. راتليدج أو برودي أو حتى رايني، قد يحاول أي واحد منهم ان ينال منك أيضاً، وإذا كان فار قد باشر بتغيير موقفه فهذا دليل على أنه يعرف أن الآخرين يؤازرونه». عبس

في وجه صديقه الذي تبلّدت أحاسيسه وقال: بإمكانك ان تتوقف عن الاستماع إليّ متى تشاء، يا بول».

لوّح مادفيغ بيده بلا مبالاة وقال: «سأقول لك عندما يحدث ذلك. ولماذا كنت تزور فار؟».

ـ «اتصل بي هاري سلوس اليوم. وقال لي انه رآك أنت وتايلور تتجادلان في شارع الصين ليلة الجريمة، وكان معه في السيارة «بين فيريس» وهو أيضاً رآكما».

كان بومونت يتأمل عيني صديقه اللتين كانتا خاليتين من أي تعبير، وتابع يقول: «بين» قصد «فار» وأطلعه على ذلك. وهاري يطلب مبلغاً من المال مقابل ان لا يدلي بأقواله. هذان عضوان في النادي الذي تمتلكه وقد انتبها إلى التغيير الذي بدأ يحصل من وراء ظهرك. ولأنني كنت أشك ان فار أخذ يفقد السيطرة على أعصابه، لذلك ذهبت لمقابلته لأتأكد من موقفه».

أحنى مادفيغ رأسه وقال: «وأنت واثق من أنه يتعامل معي بأسلوب ماكر ودنيء؟».

ـ «أجل».

نهض مادفيغ وتوجّه نحو النافذة. وقف هناك، يداه في جيبي بنطلونه، وهو ينظر من خلال زجاج النافذة بضع دقائق، ونيد بومونت يجلس على حافة المكتب يدخّن وينظر إلى صديقه. ثم التفت مادفيغ وقال لبومونت: «ماذا قلت لهاري؟».

- «احتلت لتأجيل الحديث معه».

عاد مادفيغ إلى مكتبه، لكنه لم يجلس، وازداد التورّد في خديه.

سأل بومونت: «ماذا يجب ان نفعل برأيك؟».

- «بشأن سلوس؟ لا شيء. الغبي الآخر ذهب إلى فار وأدلى بما عنده، ولم يعد يهمّنا كثيرًا ما يفعله سلوس».

- «لم أكن أقصد ذلك. كنت أقصد ماذا نفعل بالنسبة للمشكلة ككل».

وضع بومونت سيجاره على حافة المنفضة وقال: «لقد قلت لك ان التحريات يجب ان تنشط لمعرفة الحقيقة في جريمة اغتيال تايلور هنري بأسرع وقت ممكن وإلاّ فأنت ستخسر. هذا هو رأيي. وهذا هو المجال الوحيد الذي يفيدنا أن نخوضه الآن».

رفع مادفيغ نظره عن نيد بومونت، وأخذ يتأمل مساحة خالية في الحائط. شدّ على شفتيه، وبدأ العرق يتصبب من صدغيه. قال بصوت صادر من أعماقه: «لن نستطيع ذلك. فكّر بشيء آخر».

أخذ نيد بومونت يتنفّس بصوت مسموع وبدا منزعجاً وهو يقول: «لا يوجد أي مجال آخر يا بول. وإذا فكّرنا بطريقة أخرى فإننا سنجد انها مفيدة لشاد أو لفار وجماعته وانها ستعود بالضرر عليك حتماً».

قال مادفيغ بصوت أجشّ: «يجب ان نجد مخرجاً يا بول. فكّر قليلاً».

وقف بومونت ومشى نحو الرجل الأشقر وقال بإصرار: «لا مخرج سوى الذي شرحت لك. ويجب عليك ان تقبله إذا أعجبك أم لم يعجبك، وإلاّ فإنني سأباشر فيه بالنيابة عنك».

هزّ مادفيغ رأسه بحدة وقال: «لا. إياك ان تفعل ذلك».

قال بومونت: «إنها المرة الأولى التي أرفض لك فيها أمراً يا بول».

نظر مادفيغ في عيني صديقه وقال له هامساً بصوت مبحوح: «أنا قتلته، يا نيد».

تنفس بومونت بعمق وتنهّد تنهيدة طويلة.

وضع مادفيغ يديه على كتفي نيد بومونت وقال بصوت غير واضح: «ما حدث كان مفاجئاً وبالصدفة. خرج من البيت يركض ورائي وكان يحمل عصا. تمكن من اللحاق بي وحاول ان يضربني بعصاه. لا أعرف كيف حدث ذلك لكنني تمكنت من انتزاعها من يده وضربته على رأسه - لم تكن الضربة قوية - لأنني لم أكن أقصد إيذاءه - لكنه وقع وحطم رأسه على حافة الرصيف».

أحنى بومونت رأسه وقد خلا وجهه فجأة من أي تعبير. سأله صديقه وهو يمعن في التحديق فيه، وكان صوته حاداً: «وماذا حدث للعصا؟».

ـ «حملتها تحت إبطي وأحرقتها فيما بعد. بعد ان تأكدت من موته وجدتها في يدي وأنا أمشي نحو النادي، فخبأتها تحت معطفي ثم أحرقتها».

ـ «من أي نوع كانت؟».

ـ «بنية اللون هي غير ملساء وثقيلة الوزن».

ـ «وقبعته؟».

ـ «لا أعرف يا نيد. أعتقد انها وقعت عن رأسه، وأن شخصاً ما أخذها».

ـ «كان يضع قبعة على رأسه؟».

ـ «أجل، بالتأكيد».

مشّط بومونت جانباً في شاربه بظفره وسأله:

ـ «هل تتذكر أن سيارة سلوس وفيريس مرت بالقرب منكما؟».

هزّ مادفيغ رأسه وقال: «لا، ولكنني لا أستطيع ان أجزم أنها لم تمر».

عبس بومونت وقال: «أنت جعلت الوضع يزداد سوءاً بهروبك والعصا معك وبإحراق العصا وتكتمك طوال هذه المدة. كان بالإمكان التماس البراءة بحجة الدفاع عن النفس».

ـ «أعرف ذلك، لكنني لا أريد يا نيد». قال مادفيغ بصوت أجشّ وتابع: أنا أريد جانيت هنري أكثر من أي شيء آخر في

حياتي، وكيف سيتسنى لي ذلك إذا كنت قاتل أخيها، حتى ولو كان الأمر مجرد حادثة غير مقصودة».

ضحك بومونت وهو ينظر إليه، ضحكة هادئة ومريرة. وقال: «كانت الفرصة أمامك أفضل مما هي عليه الآن.

حدق فيه مادفيغ ولم يقل شيئاً.

قال بومونت: «إنها منذ البداية تشكّ في أنك قاتل أخيها. وهي تكرهك وتحاول ان تقودك إلى الكرسي الكهربائي. هي التي زرعت بذور الشك الأولى حولك بواسطة رسائل غير موقّعة أرسلتها إلى جميع الأشخاص الذين لهم علاقة بك. وهي التي جعلت أوبال تثور ضدك. كانت تزورني في بيتي هذا الصباح وهي التي اعترفت بكل ذلك وحاولت ان تقنعني بالإنضمام إليهام. إنها...».

قال مادفيغ: «كفى». ونهض واقفاً وسأل بومونت وهو ينظر إليه ببرود: «ما الأمر يا نيد؟ هل تريدها لنفسك أم انك...» وسكت ثم تابع يقول له بازدراء: «لم يعد لذلك أهمية الآن». وأشار إلى الباب بلا مبالاة قائلاً: «أخرج أيها الحقير، هذه هي النهاية بيننا».

قال نيد بومونت: «سأخرج حين أنتهي من كلامي».

قال مادفيغ: «بل ستخرج حين أطلب إليك ذلك. لن تقول شيئاً أقتنع به، ولم تقل لي شيئاً اقتنعت به أصلاً. لن أسمعك بعد اليوم».

قال نيد بومونت: «كما تريد». وتناول قبعته ومعطفه وخرج.

إثنان

وصل نيد بومونت إلى بيته بوجه شاحب وكئيب. ارتمى على مقعد كبير أحمر وهو يحمل زجاجة شراب في يده وكأساً في اليد الثانية، لكنه لم يملأ كأسه ولم يشرب. أخذ يحدق وهو عابس بحذائه الأسود ووضع الزجاجة والكأس على الطاولة وراح يقضم ظفره. رنّ جرس الهاتف. لم يتحرك من مكانه. بدأ ضوء النهار ينحسر تدريجياً في الغرفة مع غروب الشمس. كانت الغرفة مظلمة حين نهض واتجه نحو التلفون.

طلب رقماً وقال بعد قليل: «مرحباً، من فضلك أعطني الآنسة هنري». وبعد فترة من الانتظار أمضاها وهو يصفر، قال: «مرحباً، آنسة هنري؟... أجل... كنت منذ قليل عند بول ولقد أخبرته كل شيء... أجل، كنت على حق. لقد ارتكب فعلاً الذي كنت تفكرين فيه...» ضحك. «كنت تعرفين أنه سوف ينعتني بالكذب، وسيرفض الاستماع إليّ، وسيطردني، ولقد نفذ ذلك فعلاً... لا، لا، لا بأس. هذا شيء لا بد منه... لا، أرجوك... أعتقد أن الأمر قُضي. الكلمات التي قلناها يصعب التغاضي عنها ونسيانها...

أجل، طوال فترة المساء، على ما أظن... هذا رائع... حسناً، إلى اللقاء».

ملأ كأسه وشربها. وتوجه بعد ذلك إلى غرفة نومه المعتمة وضبط المنبه على الساعة الثامنة ثم تمدّد بملابسه على السرير. ظل يراقب السقف لفترة قبل ان يغلبه النعاس وينام، وكانت أنفاسه غير منتظمة.

رنّ جرس المنبه، نهض من سريره وأضاء المصابيح في الغرفة وقصد الحمام حيث غسل وجهه ويديه وغيّر قميصه، وأشعل النار في الموقد في غرفة الجلوس. كان يقرأ الصحيفة حين وصلت جانيت هنري.

كانت منفعلة. بادرت في الحال تؤكد له أنها لم تكن تعرف أي أثر سيكون لحديثه مع بول حول زيارتها له، وانها لم تكن تفكر في ذلك، والبهجة كانت واضحة في عينيها، ولم تكن تستطيع إخفاء البسمة على شفتيها فيما أخذت تردّد عبارات الاعتذار والأسف.

قال لها: «لا تضعي اللوم على نفسك. كنت مضطراً لمصارحته بغضّ النظر عن النتيجة، وكان يتملكني إحساس عميق بأن صداقتي مع بول أشرفت على نهايتها. ولو انك حاولت ان تلفتي انتباهي إلى هذه النتيجة السلبية كنت سأعتبر الأمر تحدياً وسأواجه بول بالحقيقة على أي حال».

مدّت له يديها وقالت: «أنا سعيدة ولن أدّعي العكس».

قال لها وهو يأخذ يديها بين يديه: «النتيجة مؤسفة لكنني ما كنت لأتراجع خوفاً منها».

قالت: «أنت الآن تعرف أنني كنت على حق. هو الذي قتل تايلور». وتأملته بنظرتها المتسائلة.

أحنى رأسه وقال: «هو الذي اعترف بذلك».

سألته وهي تشد على يديه: «وهل ستساعده الآن؟» واقتربت منه.

تردّد وهو يتأمل الإصرار في ملامحها وقال: «كان في حالة دفاع عن النفس، وما حدث لم يكن عن سابق إصرار». وتابع يقول ببطء: «لا أستطيع ان...».

صرخت وقالت: «إنها جريمة قتل! من الطبيعي ان يدّعي أنه كان في حالة دفاع عن النفس». وهزّت رأسها متضايقة وقالت: «وحتى لو سلّمنا بأنها حالة دفاع عن النفس أو بدون سابق إصرار، أليس من واجبه ان يقف أمام هيئة المحكمة ويحاول إثبات ذلك كأي مواطن آخر؟».

- «مضى وقت طويل على الحادثة. لقد أخطأ حين تكتم على الأمر حوالى شهر، هذا التهرّب يساعد على إدانته».

- «ومن هو السبب في ذلك؟ وهل تعتقد أنه كان سيتكتم على الأمر طوال هذه الفترة لو انه كان بالفعل في حالة دفاع عن النفس؟».

أحنى رأسه مؤكداً على كلامه وأخذ يشرح لها الأمر قائلاً: «لقد آثر الصمت بسببك، لأنه يحبك، لم يكن يريدك ان تعرفي أنه قتل أخاك».

قالت بحدة: «لكنني أعرف ذلك منذ البداية! وسيعرف جميع الناس الحقيقة أيضاً!».

هزّ كتفيه قليلاً، وبدت الكآبة على ملامحه.

سألته: «هل تساعدني؟».

- «لا».

- «لماذا؟ لقد تشاجرت معه».

- «إنني أصدق ما قاله. أعرف ان الوقت تأخّر لكي يستطيع ان يبرّر خطأه أمام المحكمة، وبالرغم من خلافنا فإنني لن أساعدك على النيل منه».

بلّل شفتيه وقال: «دعيه وشأنه. سوف يلقون القبض عليه بمساعدتك أو بدونها».

قالت: «لن أدعه وشأنه إلاّ بعد ان ينال العقاب الذي يستحق».

وتسارعت أنفاسها وبان الغضب على ملامحها وقالت: «هل تصدقه لدرجة أنك تخاف البحث عن دليل يثبت أنه يكذب؟».

سألها بحذر: «ماذا تقصدين بذلك؟».

ـ «هل تساعدني للوصول إلى الحقيقة، إذا كان مادفيغ يكذب أم لا؟ لا بد ان يكون هناك إثبات على حقيقة ما حدث، ويجب ان نتوصل إلى هذا الإثبات. إذا كنت تصدقه حقاً فلن تخاف ان تساعدني على البحث عنه».

تأمل وجهها وهو يسألها: «وإذا وافقت معك وتوصلنا بالفعل إلى الإثبات الحقيقي، هل تعدينني بأنك ستقتنعين به مهما يكن؟».

قالت مباشرة: «أجل، إذا كنت أنت موافقاً على ذلك أيضاً».

«وستحافظين على سرية تحرياتنا حتى النهاية ـ أي حتى نصل إلى الحقيقة ـ ولن تستخدمي أية معلومات ضدّه حتى تكتمل لدينا جميع المعلومات؟».

ـ «أجل».

ـ «اتفقنا».

انهمرت دموعها من فرط سعادتها.

قال: «اجلسي». ملامحه جمعت بين اللّين والقسوة وكلامه كان مقتضباً وهو يقول: يجب ان نعدّ الخطط للتحرك. هل اتصل بك بعد الظهر أو في المساء، أي بعد لقائي معه؟».

ـ «لا».

ـ «لا نستطيع إذاً ان نعرف موقفك بالنسبة له. ربما يكون

قرّر فيما بعد انني كنت على حق. لن يكون لهذا أهمية بالنسبة لما حدث بينه وبيني ـ هذا الوضع انتهى ولا تراجع فيه ـ لكننا يجب ان نعرف موقفه منك في أسرع وقت ممكن».

قطّب جبينه وهو ينظر إلى رجليها ومشّط شاربه بظفره ثم قال: «انتظري زيارته، لا تتصلي أنت به لأن هذا سيؤثر على قراره من ناحيتك خاصة إذا كان بدأ يغيّر رأيه. إلى أية درجة أنت واثقة من تعلّقه بك؟».

كانت تجلس إلى الطاولة، فنظرت إليه وقالت: «أنا واثقة من تعلّقه بي كما تثق أية امرأة برجل يحبها». وضحكت محرجة وأضافت: «أعرف أن كلامي يبدو... لكنني واثقة منه فعلاً يا سيد بومونت».

أحنى رأسه وقال: «لا بأس إذاً، وستعرفين الوضع بدقة في فترة قريبة. هل حاولت سابقاً ان تنتزعي منه بعض المعلومات؟».

ـ «لم أحاول ذلك بعد، لكني أنتظر أن...».

ـ «حسناً، دعك من أية محاولة من هذا القبيل الآن. مهما تكوني واثقة من تعلّقه بك يجب ان تكوني حذرة معه من الآن فصاعداً. هل عندك معلومات لم تصارحيني بها بعد؟».

ـ «لا». وهزّت رأسها وقالت: «لم أكن أعرف تماماً ماذا أفعل، لذلك طلبت إليك ان...».

قاطعها ثانية وقال: «هل خطر لك ان تكلّفي مفتشاً خصوصياً ليقوم بالتحريات اللاّزمة؟».

ـ «فكرت في ذلك لكنني خفت، خفت أن أصارح مفتشاً بما أريد وأن يخبر بول. لم أعرف أي مفتش أختار ويكون موضع ثقة».

مرّر أصابعه في شعره الداكن وقال: «عندي مفتش نستطيع الاعتماد عليه. والآن اسمعيني، سأطلب إليكِ ان تتحري في أمرين مهمين، أولهما ما إذا كانت إحدى قبعات أخيك مفقودة، لأن بول يؤكد ان أخاك كان يضع على رأسه قبعة حين وقعت الحادثة. وأنا لم أر قبعته حين وجدته. حاولي ان تتفقدي جميع قبعاته، ما عدا التي استعرتها طبعاً»، وابتسم وهو يقول جملته الأخيرة.

لم تكترث لابتسامته. هزت رأسها ورفعت يديها بيأس وقالت: «لن أستطيع ذلك لأننا وزّعنا أغراضه منذ مدة، وعلى أية حال لا أحد بيننا يعرف تماماً ما كان عنده من ملابس وقبعات».

هزّ بومونت كتفيه وقال: «لم أكن واثقاً من الوصول إلى شيء في هذا المجال. لكن الأمر الثاني يتعلّق بالعصا التي كانت معه ـ أريدك أن تتحري ما إذا كانت إحدى عصيّه أو عصيّ والدك مفقودة، وهي عصا بنية اللون وغير ملساء وثقيلة الوزن».

قالت بحماس: «إنها عصا لوالدي، وأعتقد أنها موجودة».

قضم ظفره وقال: «تأكدي من وجودها. وسيكون هذا

كافياً حتى الغد، وربما سيتبين لك أيضاً موقف بول الحقيقي منك».

سألته وهي تقف منفعلة: «ما علاقة العصا؟».

- «يقول بول إن أخاك هجم عليه وهو يحملها، وان بول ضربه بها عن غير قصد وهو يحاول انتزاعها منه. ويدعي انه أخذ العصا معه وأحرقها».

- «أنا متأكدة ان جميع عصيّ والدي موجودة».

- «ألم يكن عند تايلور أية عصي؟».

- «لم تكن عنده إلاّ عصا سوداء لها مقبض فضي». ووضعت يدها على يده وقالت: «وإذا كانت جميعها موجودة فهذا يعني...».

- «هذا له معنى بالتأكيد». قال لها ذلك وهو يضع يده فوق يدها ويضيف محذّراً، «لا نريد أية خدع».

قالت تعده: «إطمئن. لو انك تعرف مدى سعادتي لأنني نجحت في الحصول على مساعدتك، وإلى أي مدى كنت أتمنى ذلك، ستثق بي».

- «أرجو ذلك»، ورفع يده عن يدها.

ثلاثة

بعد خروج جانيت هنري من بيته، أخذ نيد بومونت يروح

ويجيء في غرفة الجلوس، وهو يشعر بالضيق. ألقى نظرة على ساعته، كانت العاشرة إلاّ عشرين دقيقة. ارتدى معطفه وتوجه إلى فندق ماجيستيك؛ قال له موظف الاستقبال إن هاري سلوس غير موجود. خرج من الفندق وأوقف سيارة تاكسي وطلب إلى السائق ان يوصله إلى فندق «ويست رود».

كان فندق «ويست رود» مطلياً باللون الأبيض، وكان يبدو رمادياً في الظلام، وهو مشاد بين مجموعة من الأشجار ويبعد عن المدينة حوالى ثلاثة كيلومترات. كان الطابق الأول مضاء بأكمله وقد توقفت أمام الفندق مجموعة من السيارات. إلى جانب سيارات أخرى كانت متوقفة في موقف خاص إلى اليسار.

أحنى نيد بومونت رأسه تحية للبوّاب الذي كان يعرفه، ودخل إلى قاعة الطعام الكبيرة حيث كانت فرقة موسيقية من ثلاثة رجال تعزف لحناً صاخباً وعدد من الرجال والنساء يرقصون. مرّ بين الطاولات وبمحاذاة باحة الرقص وتوقف عند البار في إحدى زوايا القاعة. لم يكن هناك زبائن غيره عند البار.

كان النادل رجلاً ممتلىء الجسم وله أنف كبير، قال له مرحّباً به: «مساء الخير يا نيد. لم نعد نراك في المدة الأخيرة».

ـ «مرحباً يا جيمي. كنت مشغولاً. أريد كأساً من الكوكيتل من فضلك».

بدأ النادل يمزج الكوكتيل، والفرقة الموسيقية أنهت معزوفتها. ارتفع صوت امرأة نحيل وحادّ: «لن أمكث دقيقة واحدة في مكان يوجد فيه نيد بومونت الوغد».

التفت بومونت وهو يسند يده إلى البار. توقف النادل عن مزج الكوكتيل ونظر إلى السيدة بدوره.

كانت لي ويلشاير تقف وسط باحة الرقص تحدق في نيد بومونت. وبجانبها وقف شاب ضخم يرتدي بذلة زرقاء ضيقة عليه قليلاً. وكان هو أيضاً يحدق في بومونت، على نحو غبيّ إلى حد ما.

قالت: «إنه وغد وحقير، وإذا لم تطلبوا إليه الخروج سأخرج أنا».

جميع الحاضرين لزموا جانب الصمت.

توردت وجنتا الشاب، وحين حاول ان يقطّب جبينه ازداد شعوره بالحرج.

قالت الفتاة: «سأبادر بنفسي إلى طرده من هنا، إذا لم يتحرك أحد من الموظفين هنا».

قال بومونت وهو يتسم: «مرحباً يا لي، هل رأيت بيرني بعد خروجه من السجن؟».

أخذت لي تسبّه وتلعنه وتقدمت نحوه.. مدّ الشاب يده ومنعها قائلاً: «أنا سأتولى أمره. هذا الوغد». رفع قبة معطفه

قليلاً، وشدّ معطفه من الأمام وتقدم نحو بومونت وهو يسأله: «ماذا تقصد من توجيه كلام كهذا إلى سيدة ضعيفة؟».

حدّق بومونت في الشاب ومدّ ذراعه الأيمن ووضع يده على البار وقال: «أعطني شيئاً أضربه به يا جيمي. لا أريد ان أستخدم قبضة يدي».

كان النادل يضع يديه تحت البار، فرفعهما وهما تحملان هراوة صغيرة قدمها إلى بومونت، ترك بومونت الهراوة على البار وقال للشاب:

ـ «كلّ رجل يتحدث إليها بأسلوبه، آخر رجل رأيته معها شبهها «بالقرقة الغبية»».

توقف الشاب وهو يرمقه بنظرة متوقّدة من شدة الانفعال، وقال له: «لن أنساك وسنلتقي ثانية لتصفية حسابنا في مكان لا يوجد فيه أحد غيرنا». واستدار يخاطب لي ويلشاير قائلاً: «هيا بنا، فلنخرج من هذا المكان القذر».

قالت له حاقدة: «إذهب وحدك، لن أرافقك بعد اليوم، لقد سئمت منك».

اقترب منهما رجل ممتلىء برزت في فمه مجموعة من الأسنان الذهبية، وقال: «ستخرجان معاً».

ضحك نيد بومونت وقال: «السيدة معي يا كوركي».

قال كوركي: «لا بأس». والتفت نحو الشاب وقال له: «وأنت ستخرج الآن».

لم يناقشه الشاب وخرج في الحال.

عادت لي ويلشاير إلى طاولتها. جلست هناك وتضع يديها على خديها وتحدق في غطاء الطاولة.

جلس بومونت يواجهها، وقال للنادل: «جيمي حضّر لي كوكتيلاً، وأنا جائع أيضاً، هل تأكلين معي يا لي؟».

قالت دون ان تنظر إليه: «أريد كأساً من الشراب الفوّار».

قال بومونت: «حسناً. أحضر لي شريحة من اللحم مع فطر وأية خضار طازجة تجدها عند طوني، وقل له انني لا أريد خضاراً معلّبة، أريد خساً وبندورة مع جبنة روكفور وقهوة».

حين ذهب النادل قالت لي ويلشاير بمرارة: «لا خير في الرجال، جميعاً». وبدأت تبكي بصمت.

قال لها بومونت: «ربما أخطأت في اختيار الرجل المناسب».

قالت له وهي ترفع نظرها إليه غاضبة: «تستطيع ان تقول ذلك بعد الحيلة البشعة التي خدعتني بها».

قال محتجاً: «أنا لم أحاول خداعك. إذا كان بيرني أخذ ما عندك من مجوهرات ليسترد دينه لي فهذه ليست غلطتي».

بدأت الفرقة الموسيقية تعزف.

قالت متذمرة: «لا يوجد رجل يعترف بأنه مخطيء، هيا قم لنرقص».

قال على مضض: «آه، حسناً».

حين رجعا إلى الطاولة كان كأسا الشراب جاهزين. سألها والكأس في يده: «ماذا يفعل بيرني في هذه الأيام؟».

- «لا أعرف لم ألتق به منذ خروجه ولا أريد ان ألتقي به.. انه رجل آخر رائع! الرجال الذين عرفتهم هذه السنة كانوا جميعاً رائعين! هو وتايلور وهذا الغبي!».

سألها: «تايلور هنري؟».

- «أجل، لكنني لم أكن على علاقة وطيدة معه». وأضافت تشرح له: «لأنني في تلك الفترة كنت أقيم مع بيرني».

أفرغ بومونت كأسه وقال لها: «كنت إحدى الفتيات اللواتي كان يلتقي بهن في شقته في شارع تشارتر من حين لآخر».

- «أجل»، ورمقته بحذر.

قال: «أعتقد أننا نحتاج إلى المزيد من الشراب».

أخرجت علبة مسحوق التجميل من حقيبتها، وأخذت تتجمّل فيما كان نيد بومونت يطلب لها وله كأسين من الشراب.

أربعة

استيقظ نيد بومونت على رنين جرس الباب. نهض متثاقلاً من سريره وسعل قليلاً وهو يرتدي الكيمونو وينتعل الخفّ. كانت الساعة في المنبّه التاسعة وبضع دقائق. توجه نحو الباب.

دخلت جانيت هنري وهي تعتذر قائلة: «أعرف أنني جئت في ساعة مبكرة، لكنني لم أعد أستطيع الانتظار دقيقة واحدة. حاولت مراراً ان أتصل بك ليلة البارحة، ولم أنم طوال الليل. جميع عصيّ والدي موجودة في مكانها. كان مادفيغ يكذب عليك».

ـ «هل عنده عصا بنية اللون وغير ملساء وثقيلة الوزن؟».

ـ «أجل. هذه العصا أحضرها له المايجور سوبريدج من سكوتلاندا. انه لا يستعملها أبداً، وهي موجودة في المكان المخصّص لها». وابتسمت فرحة وهي تنظر إليه.

أغمض عينيه قليلاً ومرّر أصابعه في شعره المشعّث وقال: «لقد كذب عليّ فعلاً».

قالت فرحة: «ولقد وجدته في البيت حين عدت البارحة بعد زيارتي لك».

ـ «بول؟».

ـ «أجل، وقد عرض عليّ الزواج منه».

استفاق بومونت وسألها بانتباه: «هل أشار إلى الجدل الذي دار بيني وبينه؟».

ـ «أبدا».

ـ «ماذا قلت له؟».

ـ «قلت له ان هذا الطلب يأتي بعد موت تايلور بفترة قصيرة وأنا لا أستطيع ان أردّ عليه، ولم أقل انني لن أردّ عليه بعد فترة؛ وبذلك نكون ما زلنا متفاهمين».

نظر إليها بارتياب.

زال المرح عن وجهها ووضعت يدها على ذراعه وقالت بصوت متقطع: «أرجوك لا تظن انني قاسية القلب. لكن... آه!... أنا مصمّمة... ان أنفذ ما اتفقنا عليه ولذلك فإن أي شيء آخر يبدو لي... يبدو لي غير مهم الآن».

رطّب شفتيه وقال بمودّة لا تخلو من الكآبة: «سيكون رجلاً محظوظاً لو انك تحبينه بالقدر الذي تكرهينه فيه».

ضربت الأرض برجلها وقالت بصوت عال: «لا تقل ذلك! لا تقل ذلك ثانية!».

تضايق وبرزت خطوط على جبهته وشدّ على شفتيه.

قالت له معتذرة: «أرجوك ان تفهمني. أنا لا أقوى على احتمال ما قلته».

ـ آسف. هل تناولت الفطور؟».

ـ «لا. كنت مضطربة وأريد ان أنقل لك الخبر».

ـ «ستأكلين معي إذاً. ماذا تريدين؟» وتوجه إلى التلفون.

طلب فطوراً لشخصين وقصد الحمام لينظف أسنانه ويغسل وجهه ويديه ويمشط شعره. حين رجع إلى غرفة الجلوس كانت جانيت هنري قد خلعت معطفها ورفعت قبعتها عن رأسها وكانت تقف قرب الموقد تدخّن سيجارة. أرادت ان تقول له شيئاً، لكنها سكتت حين سمعت رنين التلفون.

رفع السماعة وقال: «آلو... نعم، هاري، ذهبت إلى الفندق ولم أجدك... أردت ان أسألك حول... أنت تعرف... الشخص الذي كان مع بول تلك الليلة. هل كان يضع قبعة على رأسه؟... كان يضع قبعة؟ هل أنت متأكد؟... وهل كان يحمل عصا؟... حسناً... لا، لم أتوصل مع بول إلى قرار بهذا الشأن يا هاري. من الأفضل ان تقابله بنفسك... أجل... إلى اللقاء».

رمقته جانيت هنري بنظرة متسائلة قال: «هذا أحد الرجلين اللذين يدّعيان انهما شاهدا بول يتجادل مع أخيك في الشارع تلك الليلة. يقول انه رأى القبعة ولم ير العصا. كان الظلام حالكاً، وهذان الرجلان كانا يمران في الشارع في سيارتهما. لا أعتقد أنهما استطاعا رؤية أي شيء بوضوح».

ـ «لماذا تسأل دائماً عن القبعة؟ هل هي مهمة؟».

هزّ كتفيه وقال: «لا أعرف. أنا مفتش هاو، وأعتقد أن لها معنى بطريقة أو بأخرى».

- «هل عرفت معلومات جديدة منذ البارحة؟».

- «لا، لقد سهرت معظم الليل وأنا أبتاع كؤوس الشراب لفتاة عرفت تايلور ولم أتوصل لأية نتيجة معها».

سألته: «هل أعرفها؟».

هزّ رأسه، ثم نظر إليها بحدة وقال: «ليست أوبال، إذا كنت تقصدينها بسؤالك».

- «ألا تعتقد أننا نستطيع ان نحصل.. ان نحصل على بعض المعلومات منها؟».

- «من أوبال؟ لا. انها تعتقد ان والدها قتل تايلور، وهي تعتقد انه فعل ذلك بسببها. وهي لم تندفع في ظنونها بناء على معطيات عندها بل بناء على رسائلك وعلى مقالات الأوبزرفور وبعض التفاهات الأخرى».

أحنت جانيت هنري رأسها ولم يظهر عليها انها اقتنعت بكلامه.

وصل الفطور الذي طلبه.

رنّ جرس التلفون وهما يأكلان. رفع بومونت السمّاعة وقال: «آلو... أجل يا أمي... ماذا؟». استمع إليها وهو عابس ثم قال: «لا تستطيعين سوى ان تسمحي له بذلك ولا أعتقد ان

في الأمر سوءاً... لا... لا أعرف أين هو... لا أعتقد ذلك... لا تقلقي لأجل هذا يا أمي... اطمئني... بالتأكيد... إلى اللقاء».

وعاد إلى الطاولة مبتسماً وقال: «فار فكّر مثلك. كنت أتحدث مع والدة بول، لقد أرسل فار رجلاً من مكتبه لاستجواب أوبال». والتمعت عيناه وهو يقول: «لن تفيدهما في شيء لكنهم قرروا تضييق الخناق من حوله».

سألته جانيت هنري: «ولماذا طلبتك والدة بول؟».

- «لأن بول خرج وتريد ان تعرف أين هو».

- «ألا تعرف أنك تشاجرت مع بول؟».

- «يبدو انها لا تعرف» ووضع الشوكة وقال: «هل أنت واثقة من أنك تريدين متابعة التحريات؟».

- «إنها المرة الأولى في حياتي التي أشعر فيها أنني أريد شيئاً بهذا الإصرار».

ضحك بومونت بمرارة وقال: «انها تقريباً الكلمات نفسها التي استخدمها بول وهو يشرح إلى أية درجة يريدك».

ارتجفت وقست ملامحها وأخذت تتأمله ببرود مفتعل.

قال لها: «لا أعرفك جيداً، ولست واثقاً منك. وقد رأيتك في حلم لم يعجبني كثيراً».

ابتسمت وقالت: «أنت بالتأكيد لا تصدّق تفسير الأحلام؟».

لم يبتسم وقال: «أنا لا أصدق شيئاً، لكن أنا مقامر وأتأثر بأمور كثيرة».

ابتسمت بشيء من السخرية وسألته: «وما هو هذا الحلم الذي يجعلك تفقد ثقتك بي؟ ورفعت يدها نحوه وقالت وهي تّدعي الجدية: «أخبرني بحلمك ثم أخبرك بالحلم الذي رأيته».

قال: «كنت أصطاد، واصطدت بالفعل سمكة ضخمة متعدّدة الألوان ـ وأنت قلت لي انك تريدين ان تلقي عليها نظرة، وحملتها ورميت بها إلى الماء قبل ان أتمكن من منعك».

ضحكت فرحة وقالت: «وماذا فعلت؟».

ـ «تلك كانت نهاية الحلم.

قالت: «هذا حلم كاذب لأنني لن أرمي بسمكتك إلى الماء. والآن اسمع حلمي كنت...» واتسعت عيناها وهي تسأله: «متى كان حلمك؟ في الليلة التي تناولت فيها العشاء عندنا؟».

ـ «لا. ليلة البارحة».

ـ «آه، هذا مؤسف. كان من الأفضل والأكثر تأثيراً لو اننا رأينا حلمنا في الليلة نفسها وفي الساعة نفسها والدقيقة عينها. أنا رأيت حلمي ليلة كنت عندنا. رأيت في الحلم أننا كنا تائهين في غابة، وكنا متعبين وجائعين. مشينا ومشينا حتى

وصلنا إلى بيت صغير، طرقنا الباب ولم يردّ أحد علينا. جربنا ان نفتحه، لكنه كان مقفلاً. اختلسنا النظر من النافذة ورأينا في الداخل طاولة كبيرة عليها جميع أنواع الطعام التي يمكن للانسان ان يتخيلها ولم نتمكن من التسلّل عبر أية نافذة لأن النوافذ كانت محمية بقضبان حديدية. عدنا إلى الباب وأخذنا ندق وندق بدون فائدة. ثم فكرنا ان بعض الناس يتركون مفاتيحهم تحت ممسحة الأرجل، فرفعناها قليلاً ووجدنا المفتاح تحتها. لكننا حين فتحنا الباب رأينا في الداخل مئات الثعابين تملأ الأرض ولم نكن نستطيع رؤيتها من النوافذ، وقد بدأت تسعى وتتمايل في اتجاهنا. أغلقنا الباب ووقفنا خائفيْن ونحن نسمع فحيحها وهي تطرق رؤوسها على الباب من الداخل. ثم قلت لي اننا ربما نستطيع ان نفتح الباب ونختبىء ونترك لها المجال لتخرج جميعاً. وهذا ما فعلناه. ساعدتني على التسلق إلى السطح ـ الذي لم يكن عالياً في هذا الجزء من الحلم ـ لم أعد أذكر كيف كان من قبل ـ وأنت تسلقت بدورك وانحنيت حتى تمكنت من فتح الباب الذي اندفعت منه الثعابين إلى الخارج. حبسنا أنفاسنا على السطح حتى خرج آخر ثعبان واختفى الجميع في الغابة. قفزنا عن السطح ودخلنا مسرعين وأغلقنا الباب وأخذنا نأكل ونأكل ونأكل واستيقظت وأنا أصفّق وأضحك».

قال لها بومونت بعد قليل: «أعتقد أنك ألّفت هذا الحلم».

ـ «لماذا؟».

ـ «بدأ الحلم وكأنه كابوس ثم تحوّل إلى شيء آخر، وكلّ الأحلام التي سبق لي ان رأيتها حول الطعام كانت تنتهي قبل ان تسنح لي الفرصة بتناول لقمة واحدة».

ضحكت جانيت هنري وقالت: «لم أؤلف كل ما فيه. لكن لا تسألني أي جزء منه هو الجزء الحقيقي. أنت اتهمتني بالكذب، ولن أخبرك شيئاً بعد الآن».

ـ «آه، حسناً». وحمل الشوكة ثانية لكنه لم يأكل. سألها وكأنه لم يفكر في المسألة من قبل: «هل يعرف والدك شيئاً عما حدث؟ هل تعتقدين اننا نستطيع ان نحصل منه على معلومات إذا واجهناه بما توصلنا إليه حتى الآن؟».

قالت له بحماس: «أعتقد ذلك».

قطّب جبينه وهو يفكر وقال: «المشكلة الوحيدة أنه قد يفشي الأمر ويكشف ما نحاول التوصل إليه قبل ان نكون مستعدين لذلك. إنه عصبي المزاج، أليس كذلك؟».

أجابته على مضض: «أجل، ولكن...» والتمعت عيناها وهي تدافع عنه قائلة: «أنا متأكدة اننا إذا اقنعناه بأن الأمر مهم يجب ان ينتظر حتى... لكننا صرنا جاهزيْن، أليس كذلك؟».

هزّ رأسه: «لا، لسنا جاهزين».

قطبت جبينها استياء.

قال: «قد نكون جاهزين غدا».

ـ «حقاً؟».

حذّرها بقوله: «أنا لا أعدك بشيء، لكنني أعتقد ذلك».

مدت يدها ووضعتها على يده وقالت: «لكنك ستعدني أن تتصل بي وتخبرني حين نصبح جاهزين، في أي وقت من الليل أو النهار؟».

ـ «بالتأكيد، أعدك بذلك» وتأملها وهو يقول: «وهل أنت متلهفة لحضور الفصل الأخير؟».

تورّد خدّاها من نبرة الاتهام في صوته، لكنها لم تخفض بصرها، بل قالت له بجرأة: «أعرف انك تحسبني قاسية بلا قلب، وربما أكون كذلك».

نظر إلى الطبق أمامه وقال لها متمتماً: «أتمنى لك متعة التفرّج إذاً».

- ٩ -

الحقيرون

واحد

بعدما تركته جانيت هنري، رفع نيد بومونت سماعة التلفون وطلب رقم جاك رامسين، وحين ردّ عليه جاك سأله: «هل تستطيع ان تأتي يا جاك؟... حسناً، إلى اللقاء».

عند وصول جاك كان بومونت قد ارتدى ملابسه. جلسا إلى الطاولة يواجه الواحد منهما الآخر وأمامهما زجاجة شراب وكأسان وزجاجة مياه معدنية. كان بومونت يدخن سيجاراً، وجاك يدخن سيجارة.

قال نيد بومونت: «هل سمعت شيئاً عن الانفصال الذي حصل بيني وبين بول؟».

قال جاك بصوت عادي: «أجل».

ـ «وما رأيك؟».

ـ «لا شيء. أذكر أن الخلاف بينكما في المرة الأخيرة والذي

كان من المفترض ان يؤدي إلى الانفصال تبيّن انه خدعة للاحتيال على شاد أوروي».

ابتسم نيد بومونت كأنه كان يتوقع هذا الرد، وسأله: «وهل هذا الاعتقاد سائد هذه المرة أيضاً؟».

قال الشاب الوسيم: «معظم الناس يعتقدون ذلك».

ابتلع بومونت دخان سيجاره ببطء وقال: «وإذا قلت لك انه لا يوجد خداع هذه المرة؟».

لم يقل جاك شيئاً، ولم تعبّر ملامح وجهه عن أفكاره.

قال نيد بومونت: «أؤكد لك ذلك». وترشف قليلاً من كأسه وسأله: «بكم أنا مدين لك؟».

ـ «ثلاثين دولاراً للمهمة التي كلفتني بها بشأن ابنة مادفيغ. لقد دفعت لي كل شيء ما عداها».

تناول نيد بومونت رزمة من الأوراق النقدية من جيبه وأعطاه ثلاث أوراق من فئة عشرة دولارات.

قال جاك: «أشكرك».

قال بومونت وهو ينفث دخان سيجاره: «عندي لك مهمة جديدة انني مصمم على اكتشاف الحقيقة في قضية مقتل تايلور هنري. بول قال لي انه هو القاتل، وأنا أحتاج إلى أدلة واضحة. هل تساعدني على الوصول إليها؟».

قال جاك: «لا».

ـ «ولِمَ لا!».

نهض الشاب الأسمر وهو يضع كأسه على الطاولة ويقول: «أنا وفريد نسعى لفتح مكتب صغير كمفتشيْن خصوصييّن، وبعد سنوات قليلة يصبح وضعنا جيّداً. أنا معجب بك يا بومونت ولكن هذا لا يكفي لكي أقف في وجه الرجل الذي يدير هذه المدينة».

قال بومونت يحاول ان يوضح له الموقف: «انه على شفير الهاوية، وكل رجاله مستعدون لدفعه حتى يسقط فيها. فار وراايني...».

ـ «فليفعلوا ذلك. لا أريد المشاركة في ما يحدث. ربما ينجحون في توجيه ضربة أو ضربتين له، لكن التخلّص منه موضوع مختلف. أنت تعرفه أفضل مني؛ وتعرف انه أقوى منهم وهم مجتمعون ضدّه».

ـ «إنه شجاع قوي فعلاً وهذا سبب فشله الآن. حسناً، إذا كنت لا تريد أنت حر».

قال جاك: «لا أستطيع قبول هذه المهمة».

وحمل قبعته وقال: «بالنسبة لأية مهمة أخرى أنا مستعد، لكن...» وحرّك يده كأنه يضع حداً لمتابعة النقاش في هذا الموضوع.

وقف نيد بومونت. لم يكن مستاء من موقف جاك، وقال له: «كنت أتوقع هذا الرد منك». ومشّط قسماً من شاربه

بإصبعه وهو شارد الذهن ويفكر، ثم سأل جاك: «قد تستطيع ان تقول لي أين يوجد شاد في هذه الأيام؟».

هزّ جاك رأسه وقال: «في المرة الثالثة التي هوجمت فيها إحدى حاناته، قُتل رجلا شرطة أثناء الهجوم، وهو منذ ذلك الحين مبتعد عن الأنظار، بالرغم من انه لا توجد تهمة موجهة إليه شخصياً». تناول السيجارة من فمه وقال: «هل تعرف ويسكي ماسوس؟».

- «أجل».

- «قد يقول لك عن مخبأ أوروي إذا كانت معرفتك جيدة به. انه موجود في المدينة، ويمضي معظم الليل غالباً في حانة تيم واكر في شارع سميث».

- «أشكرك يا جاك، سأجرّب حظّي معه».

قال جاك: «لا داعي للشكر». وتردّد ثم قال: «أنا متضايق جداً لإنفصالك عن مادفيغ. أتمنى لو...» وسكت فجأة ثم استدار يتوجه نحو الباب وهو يقول: «أنت بالتأكيد تعرف ماذا تفعل!».

إثنان

توجه نيد بومونت إلى مكتب النائب العام. ولم يتأخر الموظف هذه المرة في السماح له بالدخول إلى غرفة فار.

لم يقف فار عند دخوله، ولم يمدّ له يده ليسلم عليه.

قال له بتهذيب وببرود: «كيف حالك يا بومونت؟ تفضّل بالجلوس»، لم يكن وجهه الممتلىء متورّداً كعادته، ونظرته كانت ثاقبة وحادة.

جلس نيد بومونت وهو يضع رجلاً فوق رجل بهدوء، وقال له: «أردت أن أطلعك على ما حدث حين قابلت بول البارحة».

حافظ فار على بروده وقال: «نعم؟».

ـ «قلت له إنني زرتك في مكتبك وانك كنت... مذعوراً».

وارتسمت على ثغره ابتسامة لطيفة وواصل كلامه كأنه يروي حكاية ممتعة وغير مهمة بالنسبة له: «أخبرته أنك تحاول جاهداً ان تلصق به تهمة قتل تايلور هنري. صدقني في البداية، وحين قلت له ان الطريقة الوحيدة للخروج من هذا المأزق هي العثور على المجرم الحقيقي، قال لي انه غير موافق على ذلك. وقال انه هو القاتل مع انه أكّد لي ان الشاب مات في حادثة وانه كان يدافع عن نفسه حين تهجّم عليه».

ازداد شحوب وجه فار وشدّ على شفتيه، لكنه لم يقل شيئاً.

رفع بومونت حاجبيه وسأله: «أرجو ان لا تكون منزعجاً من كلامي؟».

ـ «تابع كلامك»، قال له النائب العام ببرود.

دفع بومونت كرسيه قليلاً إلى الوراء وابتسم بسخرية وقال:

«أنت تعتقد أنني أحاول خداعك، تعتقد ان في الأمر حيلة نريد منها الإيقاع بك». هزّ رأسه وتمتم قائلاً: «أنت جبان يا فار».

قال له فار: «أنا مستعد للاستماع لأية معلومات تدلي بها، لكنني مشغول جداً، لذلك سأكون مضطراً لأن أطلب إليك...».

ضحك نيد بومونت وقاطعه قائلاً: «حسناً. أعتقد أنك تفضل الاحتفاظ بهذه المعلومات في شهادة خطيّة موقعة».

ـ «هذا أفضل». وضغط فار على أحد أزرار لوحة موضوعة على المكتب أمامه.

دخلت سيدة رمادية الشعر.

قالت: «نعم يا سيدي» وجلست إلى جانب المكتب وحضّرت دفترها وحملت قلماً فضياً في يدها وجلست تنظر إلى بومونت تنتظر ان يبدأ بكلامه.

قال بومونت: «بعد ظهر الأمس وفي مكتبه في مبنى نيبال، قال لي بول مادفيغ انه كان يتناول طعام العشاء إلى مائدة السيناتور هنري ليلة مقتل ابنه تايلور هنري؛ وانه وقع خلاف بينه وبين تايلور هنري في بيت السيناتور. وانه بعد مغادرة بول مادفيغ للبيت تبعه تايلور هنري ولحق به وحاول ان يضربه بعصا ثقيلة غير ملساء وهي بنية اللون. وانه أثناء محاولته لنزع العصا من يد تايلور هنري ضربه من دون قصد على جبينه وأوقعه على الأرض؛ وان بول مادفيغ حمل العصا معه وأحرقها فيما بعد.

إنه يدعي ان السبب الوحيد في تكتمه على ما حدث بينه وبين تايلور هنري هو رغبته في إخفاء الأمر عن جانيت هنري. هذا كل ما لديَّ».

قال فار للموظفة: «أنقلي هذا في الحال على الآلة الكاتبة».

تركتهما وخرجت.

قال بومونت: «كنت أعتقد أنني أحمل إليك أخباراً تثيرك». وتنهّد ثم تابع: «كنت أعتقد انك ستصاب بالذهول حين تسمعها».

نظر إليه النائب العام دون ان يقول شيئاً. قال له بومونت بدون ارتباك: «كنت أعتقد انك ستستدعي بول وتواجهه بما قلته» لوّح بيده وقال: «افتضاح سر خطير، هذا تعبير ملائم».

ردّ النائب العام باقتضاب: «أرجوك ان تسمح لي بأن أدير شؤون مكتبي على طريقتي».

ضحك نيد بومونت ثانية ثم سكت حتى عادت الموظفة ذات الشعر الرمادي ومعها نسخة مطبوعة من المعلومات التي أدلى بها.

سأله بومونت: «هل أقسم اليمين على صحة ما ذكرت؟».

قال فار: «لا. التوقيع يكفي».

وقّع بومونت في أسفل الورقة، وقال متذمراً بمرح: «لم يكن الأمر مسلياً كما تصورت».

قطب فار جبينه وقال بارتياح: «بالفعل، لا أعتقد أنه كان كذلك».

قال له بومونت ثانية: «أنت جبان يا فار. إحذر من السيارات وأنت تجتاز الشارع». وأحنى له رأسه وقال: «إلى اللقاء».

وفي الخارج عبس بومونت بغضب.

ثلاثة

في تلك الليلة وقف نيد بومونت أمام باب بيت من ثلاثة أدوار في شارع سميث. كانت جميع النوافذ مظلمة. رنّ بومونت الجرس. فتح الباب رجل قصير القامة، رأسه صغير الحجم وكتفاه عريضان. قال لبومونت: «تفضّل» وهو يفسح له المجال بالدخول، بعد ان تأكد من أنه يعرفه.

ألقى عليه بومونت التحية ومشي في ممر معتم وبعد ان اجتاز بابين مقفلين على يمينه فتح باباً ثالثاً على يساره ونزل على سلم خشبي إلى الدور التحتاني الذي تحوّل إلى حانة فيها بار، وأنغام الموسيقى تتسرب بهدوء من الراديو.

خلف البار باب زجاجي كتب عليه: تواليت. فتح هذا الباب رجل ذو ملامح منفّرة، في كتفيه المائلين واكتناز ذراعيه ووجهه المسطّح وتقوّس رجليه ملامح غير طبيعية، انه جيف غادرنر.

حين رأى نيد بومونت التمعت عيناه الحمراوان الصغيرتان وقال: «يا إلهي! هذا بومونت ثانية!» وكشّر عن أسنانه الجميلة مبتسماً ابتسامة كبيرة.

قال له نيد بومونت: «مرحباً يا جيف». وجميع الموجودين في البار كانوا ينظرون إليهما.

تقدم جيف منه وألقى بذراعه اليسرى حول كتفيه، وأمسك بذراع بومونت اليمنى وقال للموجودين بمرح: «هذا أفضل رجل تورّمت يداي من ضربه، ولقد تورمت يداي مراراً من قبل». ودفع نيد بومونت باتجاه البار وهو يتابع: «سنشرب جميعاً أولاً ثم أقدم لكم عرضاً خاصاً بذلك». ونظر بخبث إلى بومونت وسأله: «ما رأيك يا عزيزي؟».

نظر بومونت بحدّة إلى الوجه الداكن والبشع وقال للخادم: «أريد كأساً من فضلك».

ضحك جيف ووجه كلامه للحضور مرة ثانية: «أترون، انه يحب ذلك. انه...» وتردّد قليلاً، ثم قطّب جبينه ورطب شفتيه وقال: «انه جزّار لعين!» والتفت نحو بومونت وسأله: «هل تعرف من هو الجزّار؟».

- «أجل».

بدا جيف حزيناً من خيبة أمله. طلب إلى النادل كأساً من الشراب، وحين وضع النادل الكأسين أمامهما ترك جيف يد بومونت لكنه لم ينزل ذراعه عن كتفيه. شرب جيف ثم وضع

كأسه وأمسك بمعصم بومونت قائلاً: عندي مكان مناسب ننفرد فيه في الطابق الثاني. هناك غرفة صغيرة لا مجال لأن تقع فيها على الأرض، أستطيع ان أقذف بك إلى الحائط وحين ترتد عنه أقذفك ثانية. وبهذه الطريقة لا نضيّع الوقت وننتظر حتى تنهض في كل مرة عن الأرض».

قال بومونت: «أريد ان أقدم لك كأساً.

وافق جيف وقال: «هذه فكرة جيدة».

وشربا ثانية.

دفع بومونت ثمن الشراب، وأشار جيف إلى السلم قائلاً: «المعذرة أيها السادة، سنصعد إلى الطابق الثاني لنتابع التمارين، وربّت على كتف بومونت قائلاً: «أنا وحبيبتي».

صعدا إلى الطابق الثاني ودخلا إلى غرفة صغيرة فيها كنبة وطاولتان ونصف دزينة من الكراسي. على إحدى الطاولات زجاجات فارغة وأطباق فيها بقايا سندويشات.

التفت جيف حوله وقال: «إلى أين ذهبت؟» ترك يد بومونت وشد على كتفيه وهو يسأله: «أنت لا ترى امرأة هنا، أليس كذلك؟».

- «لا».

هزّ جيف رأسه إلى الأعلى وإلى الأسفل وقال: «لقد ذهبت». تراجع خطوة إلى الوراء وضغط على جرس قرب

الباب بإصبعه المتسخ. ثم مدّ يده وانحنى على نحو منفّر ومضحك وقال له: «تفضل بالجلوس».

جلس نيد بومونت إلى الطاولة الأقل اتساخاً.

قال جيف وهو يقوم بانحناءة أخرى فظيعة: «إجلس حيث يحلو لك. إذا كان هذا الكرسي لا يعجبك، اجلس على كرسي آخر. إعتبر نفسك ضيفاً عندي واللعنة عليك إذا كان هذا لا يعجبك».

قال نيد بومونت: «الكرسي مريح».

قال جيد: «اللعنة على الكرسي. لا يوجد في هذا المكان القذر كرسي واحد يصلح للجلوس عليه. أنظر». ورفع بيده كرسياً ونزع إحدى أرجله وقال: «هل تسمي هذا كرسياً؟ إسمع يا بومونت، يبدو أنك لا تعرف شيئاً على الإطلاق عن الكراسي». ورمى الكرسي على الأرض وألقى برجله علي الكنبة. «لن تستطيع ان تخدعني. أنا أعرف تماماً بماذا تفكر. أنت تقول في نفسك انني سكران».

ابتسم له بومونت قائلاً: «لا، لست سكران».

ـ «بل أنا سكران. أنا سكران أكثر منك، وأكثر من أي واحد في هذه الحانة القذرة. أنا سكران جداً ولا تقل عكس ذلك، لكن...» ورفع إصبعاً ممتلئاً ووسخاً.

دخل عليهما نادل وسألهما: «ماذا تريدان؟».

التفت جيف وقال له: «أين كنت؟ كنت نائماً؟ ضغطت على الجرس منذ أكثر من ساعة».

أراد النادل أن يردّ عليه، لكن جيف تابع كلامه: «أتيت بأفضل صديق لي في هذا العالم لأشرب وإياه وماذا يحدث؟ يجب ان ننتظر ساعة حتى يصل النادل الخسيس. لا شك أن صديقي بدأ يغضب».

سأله النادل دون ان يكترث لكلامه: «ماذا تريدان؟».

ـ «أريد أن أعرف إلى أين ذهبت الفتاة التي كانت معي هنا».

ـ «آه، تلك الفتاة، لقد ذهبت».

ـ «إلى أين؟».

ـ «لا أعرف».

صرخ فيه جيف قائلاً: «عليك أن تعرف، وأن تعرف بسرعة أيضاً. ماذا تقصد بأنك لا تعرف؟ أية حانة هذه لا أحد فيها يعرف...» والتمعت عيناه فجأة فقال: «إذهب إلى تواليت السيدات لترى ما إذا كانت هناك».

قال له النادل: «ليست هناك، لقد غادرت الحانة».

ـ «مومس قذرة!» والتفت جيف نحو بومونت وقال: «ما رأيك بمومس قذرة كهذه؟ أنا طلبت إليك الحضور إلى هذه الغرفة لكي أعرفك بها، لأنني متأكد أنها ستعجبك وأنك

ستعجبها، وهي تحب دائماً ان تلتقي بأصدقائي. لكنها ذهبت دون ان تقول لي».

كان نيد بومونت يشعل سيجاره، ولم يقل شيئاً.

حكّ جيف رأسه وزمجر قائلاً: «حسناً، أحضر لنا كأسين من الشراب»، وجلس مقابل نيد بومونت وطلب بصوت وحشي نوعاً محدداً من الشراب.

طلب بومونت بدوره الشراب الذي يريد.

خرج النادل من الغرفة.

حدّق جيف بنيد بومونت وقال له غاضباً: «لا تعتقد أنني لا أعرف نواياك أنت أيضاً».

أجابه بومونت ببرود: «ليست لديَّ أية نوايا أريد فقط ان أرى شاد أوروي، وقيل لي إن ويسكي فاسّوس يتردّد على هذه الحانة وانه يستطيع ان يدلّني على المكان الذي يختبىء فيه أوروي».

- «ألا تعتقد أنني أعرف أين يوجد شاد؟».

- «بلى».

- «ولماذا لم تسألني؟».

- «حسناً. أين هو؟».

ضرب جيف الطاولة بيده بقسوة وقال: «أنت كذاب. أنت لا تريد ان تعرف مكان شاد؛ انك تطاردني».

ابتسم نيد بومونت وهزّ رأسه.

قال جيف بإصرار: «هذا صحيح، وأنت تعرف ذلك جيدا...».

دخل الغرفة رجل في الأربعين من عمره، شفتاه ممتلئتان ومتورّدتان، وعيناه لهما شكل مستدير. قال: «اسكت قليلاً يا جيف. أنت وحدك تضجّ أكثر من جميع الموجودين هنا».

استدار جيف يواجهه وقال: «هذا الوغد هو السبب في ذلك» وأشار إلى نيد بومونت وأضاف: «انه يعتقد انني لا أعرف ماذا ينوي أن يفعل. وأنا أعرف ذلك. انه وغد، هذه هي الحقيقة، وسوف أضربه بحدة، هذا ما سأفعله».

قال الرجل كأنه يتفهّم الموقف: «حسناً، لكن لا داعي لكل هذا الضجيج»، وغمز بعينه وهو ينظر إلى بومونت، ثم تركهما وخرج.

قال جيف منزعجاً: «تيم أيضاً تحول إلى وغد حقير». وبصق على الأرض.

أتى النادل بكأسيهما.

رفع بومونت كأسه وقال: «في صحة متعة النظر إليك».

قال جيف: «لا أريد ان أنظر إليك. أنت وغد حقير». وحدّق فيه بعينين كئيبتين.

- «أنت مجنون».

- «أنت كذاب. أنا سكران. لكنني لست سكران لدرجة أنني لا أستطيع ان أعرف ماذا تنوي أن تفعل». وشرب كأسه ومسح فمه بيده وقال: «وأقول لك ثانية أنت وغد حقير».

ابتسم له بومونت بمودّة وقال: «حسناً، قلْ ما يحلو لك».

قرّب جيف وجهه منه وقال: «وأنت تعتبر نفسك ذكياً جداً، أليس كذلك؟».

لم يقل بومونت شيئاً.

- «لقد فكرت ان تحتال عليّ وتتركني أسكر حتى تتمكّن من إلقاء القبض عليّ».

قال بومونت بلا مبالاة: «هذا صحيح. أنت متهم بأنك قتلت فرنسيس ويست، أليس كذلك؟».

قال جيف: «اللعنة على فرنسيس ويست».

هزّ بومونت كتفيه وقال: «لم أكن أعرفه».

- «أنت وغد حقير».

- «سأطلب لك كأساً».

أحنى الرجل البشع رأسه موافقاً ودفع كرسيه قليلاً إلى الوراء حتى طالت يده الجرس. ضغط على الجرس وقال: «أنت لا تزال وغداً حقيراً». وضع قدميه على الأرض وأنزل الكرسي على أرجله الأربعة قبل ان يقع عنه. قال باستياء: «تلك الحقيرة!» وحمل الكرسي إلى الطاولة ثانية. وضع مرفقيه إلى

الطاولة وأسند رأسه إلى يده. «ولماذا أهتم إذا ألقي القبض عليّ؟ هل تعتقد أنهم يحكمون عليّ بالاعدام؟».

- «ولـمَ لا؟».

- «لـمَ لا؟ يا إلهي! على أية حال لن تنفّذ العقوبة قبل الإنتخابات، وبعد ذلك يصبح الأمر بيد شاد».

- «ربما».

- «اللعنة عليك!».

دخل النادل ومعه كأسا الشراب.

قال له نيد بومونت بعد ان خرج النادل: «ربما ينوي شاد ان يتركك تنال عقوبتك إذا نجح في الإنتخابات أم لا، وهذه الأمور تحدث غالباً».

قال جيف ساخراً: «هذا احتمال كبير، خاصة بالنسبة لكل ما أعرفه عنه».

نفث بومونت دخان سيجاره وقال: «ماذا تعرف عنه؟».

ضحك جيف في مرح صاخب وبسخرية وضرب الطاولة بيده وقال بصوت هادر: «يا إلهي! انه يعتقد انني سكران لدرجة انني سأخبره».

من الباب سمعا صوتاً هادئاً فيه إيقاع موسيقيّ ولهجة ايرلندية: «هيا يا جيف، أخبره». كان شاد أورروي يقف عند الباب وينظر بعينين يملؤهما الحزن إلى جيف.

التفت جيف نحوه بمرح وقال: «كيف حالك يا شاد؟ تفضل واجلس معنا. هذا السيد بومونت. إنه وغد حقير».

قال له أوروي بهدوء: «طلبت إليك ان تظل مختفياً عن الأنظار».

ـ «لكن، يا شاد، صرت أخاف ان أعضّ نفسي! وهذه الحانة مخبأ لا بأس به، أليس كذلك؟ انها حانة غير مرخّص بها».

تأمله أوروي قليلاً، ثم حوّل نظره إلى بومونت وقال له: «مساء الخير يا بومونت».

ـ «مرحباً يا شاد».

ابتسم أوروي بلطف وأشار إلى جيف برأسه وسأل بومونت: «هل باح لك بالكثير؟».

ـ «لم أعرف منه شيئاً لم أكن أعرفه من قبل. انه يضج كثيراً، لكن كل ذلك الضجيج لا معنى له».

قال جيف: «أنتما حقيران».

وصل النادل ومعه كأسا الشراب. أوقفه أوروي وقال: «لا داعي. لقد شربا ما فيه الكفاية». عاد النادل بالكأسين. دخل شاد أوروي إلى الغرفة وأغلق الباب وراءه. وقف وهو يسند ظهره إلى الباب.

قال لجيف: «أنت تتكلم كثيراً يا جيف؛ وقد نبهتك إلى ذلك من قبل».

غمز نيد بومونت بعينه إلى جيف عن قصد.

ردّ جيف غاضباً: «ما الذي أصابك؟».

ضحك نيد بومونت.

قال له أوروي: «إنني أتحدث إليك يا جيف».

- «وكأنني لم أعرف ذلك».

قال أورروري: «سوف نصل إلى مرحلة أتوقف فيها عن التحدث إليك».

وقف جيف وقال: «لا تكن حقيراً يا شاد. ماذا أصابك؟» واستدار حول الطاولة ليقترب منه وهو يقول: «نحن أصدقاء منذ مدة طويلة؛ كنت دائماً صديقاً لي، وسأكون دائماً صديقاً لك». وتقدم نحوه وهو يمد ذراعيه ليحضن أوروي «صحيح أنا سكران، لكن...».

وضع أوروي يده على صدر جيف ودفعه إلى الوراء وقال له دون ان يرفع صوته: «اجلس».

حاول جيف ان يصفع وجه أوروي بيده اليسرى.

حرّك أوروي وجهه إلى اليمين متحاشياً الضربة التي كادت تصل إلى خدّه. صارت ملامح وجه أوروي الوسيم تنذر بالخطر، وأخذ يحرك قبضة يده اليمنى عند وركه.

نهض نيد بومونت بسرعة عن كرسيه وأمسك يد أوروي بيديه وهو ينزل على ركبتيه.

اندفع جيف نحو الباب من عنف ضربته الأولى ثم ارتد ولف عنق أوروي بيديه. كان وجهه البشع يميل إلى الاصفرار، وبرز فيه تشويهه المخيف، وزالت عنه علامات السكر.

سأل بومونت لاهثاً: «هل أخذت مسدسه؟».

قال بومونت: «أجل»، وابتعد قليلاً وهو يرفع على أوروي مسدسه الأسود.

صارت عينا أوروي بارزتين كأنهما قطعتان من الزجاج، وانتفخ وجهه وظهرت على بشرته بقع من الدماء المحتقنة لم يكن يحاول ان يقاوم جيف الذي كان يضغط ببطء على رقبته.

أدار جيف رأسه ليبتسم لنيد بومونت. كانت ابتسامته عريضة وخالية من التكلّف ووحشية في غباوتها. عيناه الحمراوان الصغيرتان التمعتا بمرح. قال بصوت أجشّ وفيه شيء من المودة: «سوف ترى الآن ماذا سنفعل به. سوف نقتله».

قال نيد بومونت: «لا علاقة لي بذلك». وكان صوته واضحاً.

قال له جيف: «ماذا؟ وهل تعتقد ان شاد سينسى ما فعلناه». لعق شفتيه بلسانه وقال: «سأجلعه ينسى. سأتدبر أمره». وابتسم

ابتسامة عريضة لبومونت ثم التفت نحو الرجل الذي كانت رقبته بين يديه، وأخذ جيف يتنفس بعمق وببطء. برزت على معطفه بقع كبيرة من العرق عند كتفيه وعلى ظهره وعلى ذراعيه. وتصبّب العرق على وجهه الداكن والبشع.

وجه نيد بومونت صار شاحباً. وهو أيضاً أخذ يتنفس بعمق وبرزت نقاط العرق عند صدغيه، وراح يتأمل أوروي الذي صار وجهه شديد الإحمرار. برزت عيناه، وخرج لسانه الأزرق من بين شفتيه المائلتين إلى الزرقة. جسمه النحيل بدأ يتلوى، وبدأ يضرب الحائط خلفه بطريقة آلية وبدون قوة.

ابتسم جيف لنيد بومونت ولم يلتفت إلى أوروي، وباعد قليلاً بين قدميه وأحنى ظهره إلى الأمام. توقفت يد أوروي عن ضرب الحائط. سُمعت طقطقة خافتة تلتها طقطقة أكبر وأكثر حدة. لم يعد أوروي يتلوى الآن، وارتخى بين يدي جيف.

ضحك جيف وقال: «هذه هي الضربة القاضية». أبعد الكرسي عن طريقه وألقى بجثة أوروي على الكنبة. سقطت الجثة والوجه إلى الأسفل فيما تدلت يد ورجل على الأرض. فرك جيف يديه على وركيه وقال لبومونت: «أنا انسان ساذج طيب القلب، أي شخص يستطيع ان يضطهدني ويستخدمني ولا أفعل شيئاً».

قال بومونت: «كنت خائفاً منه».

ضحك جيف: «أعتقد ذلك. أي شخص عنده عقل كان

يخاف منه. وأنت ألم تكن تخافه؟» ضحك ثانية ونظر حوله وقال: «هيا بنا قبل ان يأتي أحد إلى الغرفة» ومدّ له يده قائلاً: أعطني المسدس لأتخلّص منه».

قال بومونت: «لا. وحرّك يده بشكل جانبي حتى صار المسدس مصوباً إلى بطن جيف. وقال له: «نستطيع ان نقول انك كنت تدافع عن نفسك. لا تخف أنا معك. سيخلون سبيلنا بعد التحقيق مباشرة».

قال جيف: «يا إلهي! هذه فكرة رائعة. أسلّم نفسي وأنا متهم بقتل الرجل الذي يدعى ويست!» وعيناه الصغيرتان كانتا تنظران إلى وجه بومونت وإلى المسدس الذي يحمله.

ابتسم بومونت وكانت شفتاه شاحبتين، وقال بهدوء: «هذا ما كنت أفكر فيه».

تقدم منه جيف وهو يهدّده قائلاً: «لا تدّع أنك ساذج، أنت...».

ارتد بومونت إلى الوراء، واستدار حول طاولة وقال: «ليس عندي مانع ان أطلق النار عليك. تذكر انني مدين لك بذلك».

وقف جيف وأخذ يحك رأسه، وسأله في حيرة: «أي نوع من الحقيرين أنت؟».

ـ «مجرد صديق». وحرّك بومونت المسدس فجأة وقال له بنبرة آمرة: «اجلس».

حملق فيه جيف مشدوهاً وبعد تردد لم يطل جلس.

مدّ بومونت يده وضغط على الجرس.

وقف جيف.

قال له بومونت: «اجلس».

جلس جيف.

قال بومونت: «ضع يديك على الطاولة».

هزّ جيف رأسه بانزعاج وقال: «يا لك من وغد نصف ذكي، هل تعتقد أنهم سيتركونك تأخذني من هنا؟».

استدار بومونت حول الطاولة ثانية وجلس على كرسي في مواجهة جيف وباب الغرفة.

قال جيف: «الأفضل لك ان تعطيني هذا المسدس وان تتمنى ان تنسى ما فعلته. هل أنت مجنون يا نيد؟ هذه الحانة من الأماكن التي أكثر التردّد عليها! لن تستطيع أبداً ان تخرج بي من هنا».

قال بومونت: «أبعد يدك عن زجاجة عصير البندورة».

دخل النادل وحملق فيهما.

قال له بومونت: «اطلب إلى تيم ان يصعد إلى هنا». والتفت نحو جيف الذي همّ بالكلام: «إخرس».

أغلق النادر الباب وأسرع في النزول.

قال جيف: «لا تكن غبياً يا نيدي. هذه المحاولة فاشلة. ما الذي تربحه إذا سلمتني للشرطة؟ لا شيء». ورطب شفتيه بلسانه وأضاف: «أعرف انك مغتاظ لأنني كنت قاسياً معك، لكن ـ اللعنة! ـ ليست هذه غلطتي. كنت أنفّذ أوامر شاد، وقد سويّت المشكلة الآن وقتلته لأجلك».

قال نيد بومونت: «إذا لم تبعد يدك عن زجاجة عصير البندورة سأثقبها لك برصاصة».

قال جيف: «يا لك من حقير».

دخل عليهما الرجل ذو الشفتين الكبيرتين والعينين المستديرتين، وأغلق الباب خلفه بسرعة.

قال له بومونت: «جيف قتل أوروي. اتصل الآن بالشرطة. يجب ان تنظف المكان قبل وصولهم لأن حانتك بدون رخصة. والأفضل ان تتصل بدكتور أيضاً في حال انه لم يمت».

ضحك جيف بازدراء وقال: «إذا لم يكن ميتاً فلا يكون اسمي جيف». والتفت نحو الرجل يخاطبه بطريقة حميمة: «ما رأيك بهذا الذي يعتقد انك ستسمح له بأن يأخذني من هنا بكل بساطة؟ أخبره يا تيم انك لن تسمح له بذلك».

نظر تيم إلى الرجل الممدد على الكنبة ثم إلى جيف ونيد بومونت. بدت عيناه صاحيتين. قال لنيد بومونت ببطء: «هذه

مشكلة كبيرة لنا. ألا نستطيع ان نجرّه إلى الشارع حتى يعثر عليه رجال الشرطة في الخارج؟».

هزّ بومونت رأسه وقال له: «نظّف حانتك قبل وصول رجال الشرطة ولن يصيبك أي سوء. سأحاول جهدي ان أساعدك».

تردد تيم قليلاً، وحاول جيف استمالته: «اسمع يا تيم، أنت تعرفني جيداً. تعرف انني...».

رد تيم بدون اكتراث: «أرجوك، اسكت».

ابتسم نيد بومونت وقال له: «لا أحد يعرفك الآن يا جيف، بعد موت شاد».

- «لا أحد؟» وأسند ظهره إلى كرسيه ليرتاح وهدأت أساريره وقال: «حسناً، سلمني إلى رجال الشرطة إذاً. الآن عرفت انكم جميعاً أبناء زنا وأفضل ان يحكم عليَّ بالإعدام من أن أطلب خدمة من أحد منكم».

قال تيم متجاهلاً جيف: «هل أنت مصمم على تنفيذ ما تطلبه؟».

أحنى بومونت رأسه.

قال تيم وهو يضع يده على مقبض الباب: «حسناً، أعتقد أنني موافق معك».

قال له بومونت: «هل تستطيع ان تفتش جيف لنرى ما إذا كان يحمل مسدساً؟».

هزّ تيم رأسه وقال: «جريمة قتل حصلت عندي لكنني أرفض التدخل بأي شكل من الأشكال». وخرج من الغرفة.

بدا جيف مرتاحاً على كرسيه ويداه أمامه على الطاولة وأخذ يحدّث نيد بومونت بمرح وهو ينعته بالقذارة والسفالة ويكيل له الشتائم ويتهمه بلائحة طويلة ومتنوعة من الرذائل.

ابتسم له بومونت وهو يسمعه بتهذيب واهتمام.

دخل الغرفة شرطي برتبة ملازم نحيل الجسم ورمادي الشعر. وتلته مجموعة من رجال الشرطة.

قال له نيد بومونت: «مرحباً يا بريت. أعتقد أنه مسلّح».

سأله بريت: «ماذا حدث هنا؟» وهو ينظر إلى الرجل الممدّد على الكنبة، فيما تقدم رجلان من الشرطة وأمسكا بجيف غاردنر.

أخبره نيد بومونت بما حدث. كانت روايته صادقة لكنه ترك انطباعاً ان أوروي قُتل فيما كان يتعارك مع جيف ولم يحدث ذلك بعد نزع سلاحه.

فيما كان نيد يواصل الإدلاء بأقواله دخل الغرفة طبيب. وأخذ يفحص شاد أوروي. لم يأخذ ذلك وقتاً طويلاً، ووقف الطبيب ليقول للملازم: «إنه ميت»، وخرج من الغرفة.

كان جيف يكيل اللعنات للرجلن اللذين يمسكان به. وفي كل مرة كان يسبّ فيها كان أحدهما يصفعه على وجهه. ولم يتوقف جيف عن الضحك وعن ابتكار اللعنات. كادت أسنانه تقع من كثرة الضرب وسال من فمه خيط من الدماء.

سلّم نيد بومونت مسدس القتيل إلى بريت وهو يقف ويقول: «أتريدني ان أرافقكم إلى المركز الآن؟ أم تفضل ان أذهب إلى المركز في الصباح؟».

أجابه بريت: «من الأفضل ان ترافقنا الآن».

أربعة

غادر نيد بومونت مركز الشرطة بعد منتصف الليل. تمنى ليلة سعيدة للصحافيين اللذين كانا في المركز يغطيان أخبار الحادثة، وأوقف سيارة تاكسي. أعطى السائق عنوان بيت بول مادفيغ.

كان الدور الأول مضاء. صعد نيد بومونت السلم وفتحت له الباب السيدة مادفيغ. كانت ترتدي فستاناً أسود وتضع شالاً على كتفيها.

قال لها: «مرحباً يا أمي. ما الذي يجعلك تسهرين حتى هذه الساعة؟».

ـ «حين سمعت خطواتك في الخارج اعتقدت انك بول» ولم يبد عليها انها شعرت بخيبة أمل.

سألها بحدة: «ليس في البيت؟ كنت أريد مقابلته. ما الأمر؟».

تراجعت السيدة العجوز وفتحت الباب تفسح له المجال بالدخول وقالت له: «تفضل يا نيد».

أغلقت الباب خلفه وقالت: «أوبال حاولت الانتحار».

أخفض عينيه وتمتم قائلاً: «ماذا؟ ماذا حدث؟».

ـ «قطعت شرياناً في معصمها قبل ان تتمكن الممرضة من الإمساك بيدها. لم تنزف كثيراً وهي الآن بخير، ونرجو ألاّ تكرر المحاولة». بدا الضعف واضحاً في صوتها وفي ملامحها.

قال بومونت بنبرة صوت كشفت عن توتّره: «وأين بول؟».

ـ «لا أعرف. لم نستطع العثور عليه. كان من المفروض ان يعود إلى البيت في ساعة مبكرة. لا أعرف أين هو».

وضعت يدها النحيلة على ذراع بومونت وقالت له بصوت مضطرب: «هل أنت ـ أنت وبول؟» وسكتت وهي تشد على ذراعه.

هزّ رأسه وقال: «انتهينا من هذا الموضوع».

ـ «آه، يا نيد، يا بني، ألا تستطيع ان تحاول تسوية الخلاف؟ أنت وهو...» ولم تعد تسعفها الكلمات.

رفع رأسه ونظر إليها بعينين دامعتين. قال لها بلطف: «لا يا أمي، هذا الأمر انتهى. هل أخبرك ما حدث؟».

ـ «عندما أخبرته أنني اتصلت بك حين جاء الرجل من مكتب النائب العام، طلب إليَّ بول ألاّ أفعل ذلك مرة ثانية، واكتفى بالقول بأنكما لم تعودا صديقين».

بلع بومونت ريقه ليجلو صوته وقال: «إسمعي يا أمي، أخبريه أنني جئت لأقابله قولي له إنني ذاهب إلى البيت وسأنتظره هناك، سأنتظره طوال الليل». وبلع ريقه ثانية وأضاف بصوت ضعيف: «قولي له ذلك».

رفعت السيدة مادفيغ يديها وأحاطت بهما كتفيه وقالت: «أنت ولد طيب يا نيد. لا أريدك ان تختلف مع بول. إنك أفضل صديق عرفه، بغض النظر عن الخلاف الحاصل بينكما. ماذا حدث؟ هل جانيت...؟».

قال لها بصوت منخفض وفيه نبرة مرارة: «إسألي بول»، ثم حرك رأسه بانزعاج وقال: «سأذهب الآن يا أمي، إلاّ إذا كنت أستطيع ان أفعل شيئاً من أجلك أو من أجل أوبال. هل أنتما بحاجة إلى شيء؟».

ـ «لماذا لا تصعد إلى غرفتها؟ لم تنم بعد وقد يفيدها وجودك بجانبها. كانت تحب كثيراً الاستماع إليك».

هزّ رأسه وقال: «لا، لا أعتقد أنها ترغب في الاستماع إليَّ الآن»، وبلع ريقه وقال: «ولا في رؤيتي».

- ١٠ -

المفتاح المكسور

واحد

ذهب نيد بومونت إلى بيته. شرب قهوة ودخّن، وقرأ صحيفة ومجلة ونصف كتاب. كان يتوقف عن القراءة من حين لآخر ليتمشى في البيت من شدة تململه. لم يرنّ جرس الباب. ولم يرن جرس التلفون.

في الثامنة صباحاً أخذ حماماً وحلق ذقنه وارتدى ملابسه، ثم طلب فطوراً يتناوله.

في التاسعة رفع سماعة التلفون وطلب رقم جانيت هنري، سأل عنها، وقال بعد ان كلّمته: «صباح الخير... أجل، بخير، شكراً... حسناً، نحن على استعداد لإطلاق الأسهم النارية... أجل... إذا كان والدك موجوداً سنعرض عليه الأمر بالتفصيل... رائع، لكن لا تقولي كلمة واحدة قبل حضوري... سأصل بعد قليل. سأخرج في الحال... حسناً، أراك بعد بضع دقائق».

وقف وأخذ يحدق في فضاء الغرفة، صفّق بيديه وفرك يديه معاً. ارتسمت على فمه ابتسامة نحيلة غطاها شاربه، ولمع في عينيه بريق حادّ. توجه إلى الخزانة وتناول بسرعة معطفه وقبعته. ترك البيت وهو يدندن لحن أغنية: «سيدة صغيرة تائهة»، وأخذ يمشي بخطوات كبيرة على رصيف الشارع.

قال للخادمة التي فتحت له باب بيت عائلة هنري: «الآنسة هنري تنتظرني».

قالت له: «أجل يا سيدي»، وأشارت إلى غرفة غطى جدرانها ورق له ألوان فرحة، حيث كان السيناتور وابنته يتناولان طعام الفطور.

نهضت جانيت هنري في الحال وتوجهت نحوه ترحب به وتمدّ إليه يديها وهي تقول بصوت عال ومنفعل: «صباح الخير!».

نهض السيناتور على مهل وهو ينظر بدهشة مهذبة إلى ابنته، ثم مدّ يده إلى نيد بومونت قائلاً: «صباح الخير يا سيد بومونت. أنا سعيد برؤيتك. هل تتفضل معنا...؟».

- «أشكرك. لقد تناولت فطوري».

جانيت هنري كانت ترتعش. حدّة الانفعال جعلت اللون يتلاشى من وجهها، وجعلت عينيها قاتمتين فكانت تبدو كأنها مخدرة. قالت بصوت مشدود ومتقطع: «لدينا أمر نريد

اطلاعك عليه يا والدي. أمر يتعلق...» وسكتت والتفتت فجأة نحو نيد بومونت وقالت له: «أخبره! أخبره!».

نظر إليها بومونت بشكل مائل وهو يقطب جبينه، ثم نظر إلى والدها مباشرة. ظل السيناتور واقفاً مكانه بجانب الطاولة. قال له بومونت: «لدينا إثبات قوي يتضمن اعترافاً بأن بول مادفيغ هو قاتل ابنك».

حدق فيه السيناتور ووضع يده على الطاولة، وسأله: «وما هو هذا الإثبات القوي؟».

ـ «من المؤكد يا سيدي ان الاعتراف هو أهم الأدلة. انه يقول ان ابنك ركض خلفه في تلك الليلة وحاول ان يضربه بعصا بنية اللون وغير ملساء وثقيلة الوزن، وانه أثناء محاولته انتزاع العصا من يد ابنك ضربه من دون قصد على رأسه. ويقول انه أخذ العصا وأحرقها، لكن ابنتك» ـ والتفت نحوها وأحنى رأسه ـ «تقول ان العصا لا تزال موجودة في مكانها».

قالت جانيت هنري: «هذا صحيح. انها العصا التي قدمها لك المايجور ساوبريدج».

صار وجه السيناتور شاحباً وقاسياً كالحجر وقال له: «إنني أسمعك».

حرّك بومونت يده وأضاف: «هذا الكلام يثبت يا سيدي أن الادعاء بأن ما حدث كان بالصدفة أو في حالة الدفاع عن النفس هو ادعاء كاذب ـ لأن ابنك لم تكن معه عصا». هزّ

كتفيه قليلاً وقال: «هذا ما صرّحت به أمام فار البارحة انه على ما يبدو يخاف ان يخاطر - أنت تعرف المحاذير - لكنني لا أفهم انه لم يرسل في طلب بول اليوم».

عبست جانيت هنري في وجه نيد بومونت، لأن شيئاً ما أثار ارتباكها كما يبدو، وأرادت ان تتكلم لكنها شدت على شفتيها ولم تقل شيئاً.

رفع السيناتور هنري الفوطة ولامس بها شفتيه ثم وضعها على الطاولة وسأل:

- «هل يوجد... هل يوجد دليل آخر؟».

جاء ردّ بومونت في صيغة سؤال: «ألا يكفي هذا الدليل؟».

سألته جانيت: «لكن أنت لديك معلومات أخرى، أليس كذلك؟».

قال نيد بومونت يحاول التقليل من أهمية تلك المعلومات: «إنها معلومات لدعم هذا الدليل»، ثم وجّه كلامه إلى السيناتور قائلاً: «أستطيع ان أقدم لك معلومات تفصيلية، لكنك اطّلعت على الموضوع الأساسي، ألا تعتقد أنه كافٍ؟».

قال السيناتور: «إنه كافٍ». ورفع يده إلى جبهته وأضاف: «لا أستطيع ان أصدق ما أسمعه، مع انه الحقيقة. أرجو ان تعذرني قليلاً» - ثم نظر إلى ابنته وقال: «وأنت أيضاً يا عزيزتي، أريد ان أختلي بنفسي لأفكر ولأتكيف مع - لا، لا، إبقي هنا. سأذهب إلى غرفتي». أحنى رأسه قليلاً لهما وقال:

«أرجوك لا تذهب يا سيد بومونت. لن أغيب فترة طويلة - إنني بحاجة لأن أستوعب أن هذا الرجل الذي اشتغلت معه جنباً إلى جنب، هو قاتل ابني».

انحنى قليلاً لهما وخرج وهو يحاول ان يمشي بخطوات ثابتة.

أمسك نيد بومونت يد جانيت هنري وسألها بصوت منخفض ومشدود: «اسمعي، هل تعتقدين انه سيخرج من ورائنا؟».

نظرت إليه مذهولة.

شرح لها معنى سؤاله قائلا: «هل تعتقدين أنه سيحاول لقاء بول؟ لا نريده ان يفعل ذلك، لأن نتيجة لقاء كهذا غير مضمونة».

قالت: «لا أعرف».

قطّب جبينه بانفعال وقال: «لن نتركه يفعل ذلك. لو نستطيع ان نقترب أكثر من الباب الرئيسي لكي نوقفه إذا حاول الخروج؟».

قالت خائفة: «هيا بنا».

قادته إلى غرفة صغيرة معتمة نوافذها مغطاة بستائر سميكة. بابها كان على بعد خطوات من الباب الرئيسي. وقفا في العتمة

ينتظران. كانا يرتجفان وحاولت جانيت هنري ان تهمس بضع كلمات لكنه أسكتها وساد الصمت المكان.

بعد فترة انتظار لم تكن طويلة سمعا وقع خطوات في القاعة، وشاهدا السيناتور هنري وهو يعتمر قبعته ويرتدي معطفه، يمشي مسرعاً نحو الباب.

خرج نيد بومونت ليقف أمامه ويقول له: «انتظر أيها السيناتور».

نظر إليه السيناتور. كانت ملامحه حادة وباردة وفي عينيه نظرة مهيبة. قال له: «أرجوك ان تعذرني، يجب ان أخرج الآن».

قال بومونت وهو يقترب منه: «لن يفيدنا هذا في شيء، بل سيزيد الأمور تعقيداً».

اقتربت منه ابنته وقالت له ترجوه: «لا تذهب إليه يا أبي. إستمع لنصيحة السيد بومونت».

قال السيناتور: «لقد استمعت للسيد بومونت، ومستعد لأن أستمع إليه ثانية إذا كانت لديه معلومات أخرى يريد اطلاعي عليها. وإلاّ فأرجو ان تسمحا لي».

وابتسم لنيد بومونت قائلاً: «ما أحاول القيام به الآن يستند إلى المعلومات التي سمعتها منك».

نظر إليه بومونت مباشرة وقال: «لا داعي لأن تذهب إليه».

تأمله السيناتور بنظرة متعالية.

قالت جانيت: «لكن يا أبي» وأسكتتها نظرته.

بلع بومونت ريقه، وتورّدت وجنتاه. مدّ يده اليسرى بحركة مفاجئة ولمس جيب معطف السيناتور الأيمن.

تراجع السيناتور باستياء.

تأكدت ظنون بومونت وقال بصراحة: «هذا سيىء جداً». ونظر إلى جانيت هنري وقال: «معه مسدس في جيبه».

- «أبي!» صرخت جانيت ووضعت يدها على فمها.

شدّ بومونت على شفتيه وقال: «لن نسمح لك بالخروج من هنا وفي جيبك مسدس».

قالت جانيت هنري: «لا تتركه يخرج يا نيد».

رمقهما السيناتور بازدراء وقال: «يبدو أنكما نسيتما مع من تتكلمان. جانيت، إصعدي إلى غرفتك في الحال».

تراجعت خطوتين إلى الوراء على مضض، ثم توقفت وصرخت: «لا، لن أفعل ذلك! لا تتركه يخرج من هنا يا نيد».

رطّب بومونت شفتيه وقال يعدها: «لن يخرج».

حدّق فيه السيناتور ببرود ووضع يده على مقبض الباب.

انحنى بومونت قليلاً ووضع يده فوق يد السيناتور. وقال له باحترام: «اسمعني يا سيدي. لن أسمح لك بالخروج، وأنا لا

أتدخل في شأن لا يعنيني». ورفع يده عن يد السيناتور ووضعها في جيبه ليتناول ورقة ممزقة ومجعدة وملطخة بالبقع: «هذا بيان رسمي بتعييني مفتشاً خصوصياً في مكتب النائب العام منذ بداية الشهر الفائت». وفتح الورقة المطوية للسيناتور وقال: «وهذا القرار لا يزال ساري المفعول، لذلك لا أستطيع ان أسمح لك بالخروج وفي نيتك ان تطلق النار على أحد الأشخاص».

لم يلتفت السيناتور إلى الورقة، وقال مغتاظاً: «أنت تحاول إنقاذ حياة صديقك المجرم».

- «أنت تعرف جيداً أن هذا غير صحيح».

ازدادت حدة انفعاله وقال وهو يدير قبضة الباب: «يكفي أرجوك».

قال له بومونت: «إذا خرجت والمسدس في جيبك سألقي القبض عليك».

قالت جانيت هنري وهي تنتحب: «أبي، من فضلك!».

وقف السيناتور ونيد بومونت كل واحد منهما يحدق في الآخر ويتنفس بصوت مسموع.

كسر السيناتور حاجز الصمت أولاً وقال لابنته: «هل تسمحين يا عزيزتي وتتركيننا بضع دقائق؟ هناك أمور أريد ان أناقشها مع السيد بومونت».

التفتت إلى بومونت لتعرف رأيه، أحنى لها برأسه، فقالت لوالدها: «أجل، إذا وعدتني ألا تخرج قبل أن أراك».

ابتسم قائلاً: «أعدك بذلك».

التفت الرجلان يراقبانها وهي تبتعد، استدارت لتلقي عليهما نظرة سريعة ثم فتحت باب غرفة ودخلت إليها.

قال السيناتور باستياء: «من الواضح أنه لم يكن لك تأثير طيب على ابنتي. لم تكن عادة عنيدة إلى هذا الحد».

ابتسم نيد بومونت وكأنه يعتذر منه، لكنه لم يقل شيئاً.

سأله السيناتور: «منذ متى بدأ نشاطكما هذا؟».

ـ «تعني اهتمامنا بموضوع الجريمة؟ منذ يوم أو يومين. وابنتك بدأت تحرياتها وحدها منذ مقتل أخيها. لأنها كانت واثقة من ان بول هو الذي قتله».

ـ «ماذا؟» وظل السيناتور فاغراً فمه.

ـ «كانت واثقة من انه هو القاتل. ألم تكن تعرف ذلك؟ انها تكرهه كأنه سمّ قاتل ـ وهي تكرهه منذ البداية».

ـ «تكرهه؟» وتابع بلهفة: «يا إلهي! لا تقل ذلك».

أحنى بومونت رأسه قليلاً وابتسم بارتياب وقال للسيناتور: «ألم تكن تعرف ذلك؟».

تنفس السيناتور بجهد وقال له: «تعال معي» ومشى أمامه إلى داخل الغرفة المعتمة التي اختبأ فيها نيد بومونت وابنته منذ

قليل. أضاء السيناتور المصباح وأغلق نيد بومونت الباب، ووقفا يواجه الواحد منهما الآخر.

قال السيناتور: «أريد ان أتحدث إليك يا سيد بومونت بصراحة تامة. نستطيع ان نغضّ النظر عن ارتباطاتك الرسمية، أليس كذلك؟».

أحنى بومونت رأسه موافقاً وقال: «أجل، وأعتقد ان فار أيضاً لم يعد يذكرها».

ـ «تماماً. والآن يا سيد بومونت، أنا لست رجلاً متعطشاً للدماء، لكنني لا أستطيع ان أحتمل ان يتمتع قاتل ابني بكامل حريته وانه لم ينل العقاب الذي يستحقه بعد...».

ـ «قلت لك انهم سيلقون القبض عليه. انهم لا يستطيعون التغاضي عن المعلومات التي توصلوا إليها. دليل الإثبات قاطع وصار معروفاً لدى الجميع».

ابتسم له السيناتور ثانية، ببرود: «أنت بالتأكيد لا تقصد ان تقول لي، وأنت وأنا سياسيان محترفان، ان بول مادفيغ قد يُعاقب على أي عمل يرتكبه في هذه المدينة؟».

ـ «لكنني أقصد ذلك فعلاً، لأن بول انهار؛ رجاله يخونونه. والسبب الوحيد الذي يجعلهم يتريثون قليلاً قبل الانقضاض عليه هو تعوّدهم على القفز حين يستحثهم على ذلك بفرقعة سوطه، وهم يحتاجون لبعض الوقت كي يستجمعوا شجاعتهم لمواجهته».

ابتسم السيناتور هنري وهزّ رأسه: «أتسمح لي بأن أقف معك؟ وبأن أشير بأنني بدأت العمل السياسي قبلك بسنوات عديدة؟».

- «بالتأكيد».

- «إنني أؤكد لك إذاً أنهم لن يستجمعوا أبداً القدر الكافي من الشجاعة، مهما طالت فترة التريث. بول هو رئيسهم، وبالرغم من حصول بعض الانتفاضات المحتملة والمحدودة، فإنه سيظل رئيسهم».

- «يبدو اننا لن نتفق في هذا المجال». وقطب جبينه وهو يضيف: «بول انتهى. والآن، هذا المسدس الذي تحمله لن يفيدك في شيء، من الأفضل ان تعطيني إياه». ومدّ يده ليأخذ منه المسدس.

وضع السيناتور يده في جيب معطفه.

تقدم منه نيد بومونت وأمسك بيد السيناتور قائلاً: «أعطني المسدس».

حدق فيه السيناتور بغضب.

قال بومونت: «حسناً، طالما انك تريد ذلك»، وبعد عراك لم يطل تمكن من انتزاع المسدس من جيب السيناتور - وكان مسدساً قديماً مطلياً بالنيكل. همّ بوضع المسدس في جيبه حين دخلت جانيت هنري بوجه شاحب والذعر بادٍ في

عينيها بعد ان سمعت ضجيجهما وصوت كرسي وقع أثناء عراكهما.

سألت بصوت عال: «ماذا حصل؟».

قال بومونت متذمراً: «رفض ان يقتنع بالمنطق، فوجدتني مضطراً لانتزاع المسدس منه بالقوة».

كان السيناتور يرتعش ويلهث بصوت مسموع. تقدم نحو بومونت وأمره قائلاً: «أخرج من بيتي».

قال بومونت: «لن أفعل ذلك»، واهتزت شفتاه قليلاً، واتقد الغضب في عينيه. مدّ يده وأمسك بذراع جانيت هنري بقوة وقال لها: «اجلسي واسمعي ما سأقول. أنتِ التي طلبت ذلك وسوف تحصلين عليه». وخاطب السيناتور قائلاً: «الحديث سيطول، ومن الأفضل ان تجلس أنت أيضاً».

لم تجلس جانيت هنري، ولم يجلس والدها. نظرت إلى نيد بومونت بعينين تملّك فيهما الرعب، ووالدها بدا حذراً. وجهاهما كانا شاحبين.

قال نيد بومونت للسيناتور: «أنت قتلت أبنك». لم تتغير ملامح السيناتور ولم يأتِ بأية حركة.

ظلت جانيت هنري هادئة مثل والدها. فجأة غطت ملامحها مسحة من الذعر وجلست ببطء على الأرض. لم تقع، طوت ركبتيها ونزلت إلى الأرض، وضعت يدها اليمنى

على البلاط لتستند إليها، ورفعت وجهها المذعور إلى نيد بومونت وأبيها.

لم ينظر أي منهما إليها.

قال نيد بومونت للسيناتور: «أنت تريد ان تقتل بول الآن كي لا يقول انك أنت الذي قتلت ابنك. تعرف جيداً أنك تستطيع ان تقتله دون ان تعرض نفسك لأية عقوبة، سوف تدعي ان دوافعك نبيلة وانك كنت مندفعاً وغاضباً وقد تنجح في إقناع الآخرين بموقفك كما حاولت إقناعنا منذ قليل».

لم يقل السيناتور شيئاً.

تابع نيد بومونت يقول: «أنت تعرف أنه سيكشف حقيقة ما حدث إذا ألقي القبض عليه، لأنه سيحاول تبرئة نفسه أمام جانيت». وضحك بمرارة وقال: «وهذه نكتة رائعة فعلاً!».

مرّر أصابعه في شعره وقال: «أعتقد ان ما حدث كان على النحو التالي: «حين عرف تايلور ان بول قبّل جانيت ركض خلف بول وتناول العصا ووضع قبعته على رأسه، مع ان القبعة لا تعادل العصا من حيث الأهمية. وأنت فكّرت في احتمالات نجاحك...».

قاطعه السيناتور بصوت غاضب وأجشّ: «هذا هراء! لن أترك ابنتي تسمع...».

ضحك بومونت بقسوة وقال: «هذا هراء بالطبع. ورجوعك إلى البيت وأنت تحمل العصا التي قتلته بها وتضع قبعته على

رأسك لأنك خرجت خلفه وأنت حاسر الرأس، هذا لا معنى له أيضاً، لكنه يكفي لإثبات التهمة عليك».

سأله السيناتور بصوت منخفض وهازئ: «واعتراف مادفيغ؟».

ابتسم بومونت ابتسامة عريضة وقال: «سأقول لك ماذا سنفعل بهذا الاعتراف: جانيت، اتصلي بمادفيغ واطلبي منه الحضور في الحال. وعند حضوره نخبره كيف أراد والدك ان يتهجم عليه وهو مسلح ونعرف عندئذٍ ردّة فعله».

تحرّكت جانيت لكنها ظلت جالسة على الأرض. ووجهها كان خالياً من أي تعبير.

قال والدها: «هذا تصرف سخيف لن نقبل به».

قال لها نيد بومونت بنبرة آمرة: «اتصلي به يا جانيت».

وقفت جانيت ولم تكترث للسيناتور حين صرخ: «جانيت!» وتوجهت نحو الباب.

غيّر السيناتور نبرة صوته وقال لها بلطف: «انتظري، يا عزيزتي». والتفت نحو بومونت قائلاً: «أودّ التحدث معك على انفراد».

- «لا تتصلي به الآن»، قال نيد بومونت للفتاة التي وقفت مترددة عند باب الغرفة.

ولم تتركه يتابع كلامه وقالت بعناد: «أريد ان أسمع هذا الحديث، لي الحق في ذلك».

أحنى بومونت رأسه موافقاً والتفت نحو والدها وقال: «الحق معها».

قال السيناتور: «جانيت، يا عزيزتي، انني أحاول ان أخفّف عنك...».

ـ «لا أريدك ان تخفّف عني. أريد ان أعرف الحقيقة».

رفع السيناتور يديه بانهزامية وقال: «لن أقول شيئاً إذاً».

قال بومونت: «اتصلي ببول يا جانيت».

قبل ان تتحرك قال لها السيناتور: «لا. أنتما تزيدان الأمر تعقيداً لكن...» وتناول محرمة من جيبه ومسح بها يديه وأضاف: «سأخبركما بما حدث بالتفصيل، ثم أطلب إليكما خدمة لا أعتقد انكما سترفضانها. على أية حال...» وسكت وهو ينظر إلى ابنته قائلاً: «ادخلي يا عزيزتي وأغلقي الباب وراءك إذا كانت هذه رغبتك».

أغلقت الباب وجلست على كرسي بالقرب منه، وانحنت إلى لأمام وجسمها ووجهها مشدودان.

وضع السيناتور يديه خلف ظهره، وهو لا يزال يحمل المحرمة في يده، ونظر بدون عداوة إلى نيد بومونت وقال: «ركضت وراء تايلور في تلك الليلة لأنني لم أكن أرغب في

خسارة صداقة بول بسبب حدة طبع ابني. لحقت بهما في شارع الصين. كان بول قد تمكن من انتزاع العصا من تايلور. كانا يتشاجران، وكان تايلور أشد انفعالاً من بول. طلبت إلى بول ان يذهب في حاله ويتركني مع ابني لأتفاهم معه، وافق وأعطاني العصا. وجّه تايلور إليَّ كلاماً لا يوجهه ابن لأبيه، وحاول ان يدفعني بعيداً عن طريقه حتى يتمكن من اللحاق ببول. لا أعرف ماذا حصل تماماً - وكيف تلقّى الضربة - لكنه وقع وارتطم رأسه بالرصيف. عاد بول، لأنه لم يكن قد ابتعد كثيراً، وعرفنا ان تايلور فارق الحياة في الحال. أصرّ بول ان نتركه هنا وان لا نعترف بحقيقة ما حدث. قال إن وفاة تايلور التي لم يكن أمامنا سبيل لاجتنابها سوف تتحول إلى فضيحة لها أثر سيىء في الحملة الإنتخابية وأنا - بالفعل - اقتنعت بكلامه. انحنى ورفع قبعة تايلور وأعطاني إياها لكي أضعها على رأسي وأنا راجع إلى البيت - لأنني خرجت حاسر الرأس. وأكّد لي ان تحريات رجال الشرطة يمكن وضع حد لها إذا تبين انها ستشكل خطراً علينا. بعد ذلك بفترة - خلال هذا الاسبوع بالتحديد - أخافتني الشائعات التي أشارت إلى بول بأصابع الاتهام على انه قاتل تايلور، ذهبت إليه وسألته ما إذا كان من الأفضل ان نصارح الجميع بالحقيقة. ضحك من مخاوفي وأكّد لي انه يعرف كيف يحمي نفسه». مسح وجهه بمنديله وقال: «هذا ما حدث بالتفصيل».

صرخت ابنته بصوت مخنوق وقالت: «أنت تركته مرمياً هناك في الشارع!».

أجفل، ولم يقل شيئاً.

قال نيد بومونت بعد فترة من الصمت والعبوس: «خطاب انتخابي - جزء مُنمّق من الحقيقة». وكشر استياءً وقال له: «كنت تريد ان تطلب إلينا خدمة».

نظر السيناتور إلى الأرض أولاً، ثم رفع نظره إلى نيد بومونت ثانية وقال له: «ان تحتفظا بما سمعتما ولا تخبرا أحداً به».

قال نيد بومونت: «لا».

التفت السيناتور إلى ابنته وقال: «أرجو المعذرة يا ابنتي»، ثم إلى نيد بومونت: «أخبرتك الحقيقة كاملة، وأنا أعرف وضعي جيداً. لا أطلب إليك سوى ان تعيد إليَّ مسدسي وتتركني - أنت وجانيت - خمس دقائق، بل دقيقة واحدة في هذه الغرفة لوحدي».

قال نيد بومونت: «لا».

رفع السيناتور اليد التي تحمل المحرمة إلى صدره، وترك محرمته تتدلى منها.

قال بومونت: «يجب ان تنفّذ العقاب الذي تستحق».

إثنان

توجه نيد بومونت مع «فار» إلى باب البيت الرئيسي، وخلفهما الموظفة ذات الشعر الرمادي واثنان من رجال الشرطة والسيناتور.

سأله فار: «هل ترافقنا؟».

- «لا، سأزوركم فيما بعد».

لوّح فار بيده بحماس وقال: لا تبخل علينا بالزيارة يا نيد. صحيح أنك تحتال عليّ، لكنني لا أعتبر ذلك مأخذاً عليك لأن النتيجة هي التي تمني في النهاية».

ابتسم له بومونت ابتسامة عريضة، وتبادل التحية مع الشرطيين والموظفة، وأغلق الباب وراءهم.

صعد إلى الغرفة ذات الجدران البيضاء حيث كان يوجد البيانو. نهضت جانيت هنري عن الأريكة عند دخوله.

قال لها يقرّر أمراً واقعاً: «لقد ذهبوا».

- «هل... هل...؟».

- «قدّم إفادة متكاملة - فيها تفاصيل كثيرة لم يذكرها أمامنا».

- «هل ستخبرني إياها؟».

وعدها قائلاً: «أجل».

ـ «ماذا...» وسكتت قليلاً ثم أضافت: «ماذا سيفعلون له الآن؟».

ـ «أعتقد ان العقاب لن يكون قاسياً، بسبب كبره في السن ومركزه الاجتماعي وأسباب تخفيضية أخرى. سيحكمون عليه بالقتل غير المتعمّد ثم يضعون الحكم جانباً أو يؤجلون التنفيذ».

ـ «هل تعتقد ان الأمر لا يتعدّى كونه حادثة؟».

هزّ نيد بومونت رأسه. كانت عيناه باردتين. قال لها بأسلوب جازم: «أعتقد أنه أصيب بنوبة غضب جنوني حين فكّر أن ابنه سيؤثر على إمكانية إعادة انتخابه وضربه وهو في هذه الحالة».

لم تعلّق على تفسيره. كانت تعبث بأصابع يديها. سألته سؤالاً ثانياً وقد ازدادت صعوبة النطق عندها: «هل ـ هل كان ينوي ـ ان يطلق النار على بول؟».

ـ «أجل. كان يستطيع ان يتهرب من العقاب مدعياً انه يثأر لموت ابنه في حين ان القانون لم يعاقب المجرم. كان يدرك ان بول لن يلزم الصمت طويلاً إذا أُلقي القبض عليه. وبول كان يتكتم على الحقيقة لأنه يريد ان يدعم والدك في الإنتخابات ويريدك أنتِ. وهو بالطبع لن يستطيع الوصول إلى قلبك إذا تبين انه قاتل أخيك. لم يكن يهتم برأي أي انسان آخر سواك، ولو انه كان يعرف انك كنت تشكين فيه منذ البداية، لكان كشف الحقيقة في حينه».

أحنت رأسها بكآبة وقالت: «كنت أكرهه، وقد أخطأت في الحكم عليه وما زلت أكرهه».

بكت وسألته: «لماذا يا نيد؟».

رفع يده متضايقاً وقال: «لا تسأليني ألغازاً».

قالت: «وأنت خدعتني واحتلت عليَّ وأوصلتني إلى هذه الحالة، ومع ذلك فأنا لا أكرهك».

- «مزيد من الألغاز».

- «منذ متى يا نيد، منذ متى تعرف الحقيقة عن أبي؟».

- «لا أستطيع ان أحدد وقتاً معيناً. كانت الفكرة تخطر لي دائماً. لو ان بول هو الذي قتل تايلور كان سيخبرني بذلك منذ فترة طويلة. لم يكن عنده أي مبرر لإخفاء خبر كهذا عني. لكن كان عنده مبرر لكي يخفي عني الجرائم التي يرتكبها والدك، لأنه يعرف جيداً أنني لا أحب والدك وأنا كنت صريحاً معه في ذلك. لم يكن واثقاً من أنني لن أحاول استغلال ما حدث للنيل من والدك. لكن بول يعرف جيداً انني لن أحاول النيل منه. لذلك حين قلت له انني سأسعى لكشف ملابسات الجريمة مهما تكن النتائج، واجهني باعترافه الملفق لكي أغض النظر عن الموضوع».

- «ولماذا لم تكن تحب والدي؟».

قال بانفعال: «لأنني لا أحب القوّادين».

إحمرّ وجهها وبدت مرتبكة. سألته بصوت جاف ومقتضب: «وأنت لا تحبني لأنني...».

لم يقل شيئاً.

عضت على شفتيها وصرخت فيه قائلة: «أجبني!».

ـ «أنت تصرفاتك سليمة، لكنك لم تتصرفي على هذا النحو مع بول، كنت تتلاعبين بعواطفه. أنت ووالدك تسبّبتما له بالكثير من الأذى. حاولت أن أقنعه بذلك، وحاولت ان أقول له انكما تعتبرانه من مستوى أدنى من مستواكما وهذا يعطيكما الحق لمعاملته كما يحلو لكما. حاولت ان أقول له إن والدك اعتاد ان يربح دون ان يبذل جهداً، وانه إذا وجد نفسه في حفرة فإنه إما ان يخسر عقله أو يتحول إلى ذئب. لكن بول كان مغرماً بكِ، لذلك...»، وشدّ على أسنانه ومشى نحو البيانو.

قالت بصوت منخفض وحاد: «أنت تكرهني وتعتبرني مومساً».

ـ «أنا لا أكرهك». قال بانفعال دون ان يلتفت نحوها، وأضاف: «لقد دفعتِ ثمن ما ارتكبته ونلت جزاءك وهذا القول ينطبق علينا جميعاً».

ساد الصمت بينهما، إلى ان قالت له: «والآن أنت وبول سترجعان إلى سابق عهدكما».

استدار وهو بجانب البيانو وألقى نظرة على ساعته وقال: «يجب ان أودّعك الآن».

التمعت عيناها وقالت: «هل أنت مسافر؟».

أحنى رأسه وقال: «في قطار الرابعة والنصف».

- «هل تنوي الرحيل عن هذه المدينة بشكل نهائي؟».

- «سأحاول ان أتحايل لكي لا أعود من أجل جلسات المحكمة، وأعتقد أنني سأنجح في ذلك».

مدت يديها نحوه باندفاع وقالت: «خذني معك».

نظر إليها بدهشة وسألها: «هل تريدين ذلك فعلاً أم انك مصابة بنوبة هستيرية؟». صار وجهها قرمذي اللون، وقبل ان تتمكن من الردّ قال لها: «لا فارق عندي، وإذا كنت تريدين الذهاب معي أنا موافق». وقطّب جبينه وأضاف: «وهذا البيت، من سيتولى شأنه؟».

قالت بمرارة: «لا يهمني ذلك ـ سأكلف أصحاب الدين به».

قال لها ببطء: «هناك أمر آخر يجب ان تفكري فيه، سيقول الجميع انك تخليت عن والدك عندما وقع في مشكلة وكان بحاجة إليك».

- «إنني أتخلّى عنه، وأريد ان يعرف الجميع ذلك. لا يهمني ماذا سيقولون ـ طالما انك ستأخذني معك».

بكت وقالت: «ما كنت سأتخلى عنه لولا انه تركه ممدداً على الأرض في ذلك الشارع المظلم».

قال نيد بومونت يقاطعها بحدة: «لا داعي لهذا الحديث الآن. إذا كنت مصمّمة على السفر يجب ان تجهزي أمتعتك. لا تأخذي معك الآن أكثر من حقيبتين. سوف نرسل في طلب سائر الأغراض فيما بعد، على الأرجح».

ضحكت ضحكة عالية وغير طبيعية، وخرجت تركض من الغرفة. أشعل سيجاره وجلس إلى البيانو وأخذ يعزف لحناً هادئاً حتى عادت إليه. كانت تضع على رأسها قبعة سوداء وترتدي معطفاً أسود وتحمل حقيبتين في يديها.

ثلاثة

استقلاّ سيارة تاكسي أوصلتهما إلى منزل نيد بومونت. كانا صامتين معظم الطريق. قالت جانيت مرة بشكل مفاجىء: «أتذكر ذلك الحلم الذي حكيته لك ـ نسيت ان أقول لك ان المفتاح كان من الزجاج وانه انكسر في أيدينا بمجرد ان فتحنا الباب، لأن القفل كان قاسيا فدفعناه بالقوة».

نظر إليها بشكل جانبيّ وقال: «حسناً؟».

ارتجفت وأضافت: «لم نتمكن من إغلاق الباب على الثعابين حين فوجئنا بوجودها، فخرجت تسعى صوبنا من كل ناحية واستيقظت وأنا أصرخ».

ـ «لم يكن هذا إلاّ حلماً. لا تفكري فيه». وابتسم بدون فرح وقال: «وأنت رميت بسمكتي في البحر ـ في الحلم».

توقفت السيارة وصعدا إلى منزله. عرضت عليه ان تساعده في توضيب أمتعته، لكنه رفض قائلاً انه سيفعل ذلك بنفسه: «اجلسي وارتاحي. لا تزال أمامنا ساعة قبل موعد القطار».

جلست على مقعد أحمر وثير وسألته بخجل: «إلى أين أنت مسافر؟».

ـ «إلى نيويورك، في البداية».

كان قد أعدّ حقيبة حين سمع جرس الباب. قال لها وهو يحمل حقيبتيها إلى غرفة نومه: «من الأفضل ان تدخلي إلى الغرفة». وأغلق الباب وراءها.

توجه نحو باب المنزل وفتحه.

قال له بول مادفيغ: «جئت لأقول لك انك كنت على حق، وانني أعرف ذلك الآن».

ـ «لم تأتِ ليلة البارحة».

ـ «لم أكن أعرف ما حدث. وصلت إلى البيت بعد خروجك بقليل».

أحنى نيد بومونت رأسه وقال له: «تفضل» وهو يفسح له المجال للدخول.

دخل مادفيغ إلى غرفة الجلوس. لفتت نظره مباشرة حقيبة بومونت، وألقى نظرة على الغرفة من حوله وسأله: «مسافر؟».

ـ «أجل».

جلس مادفيغ على المقعد حيث كانت تجلس جانيت هنري منذ قليل. بدا كبيراً في السن ومرهقاً.

سأله نيد بومونت: «كيف حال أوبال؟».

ـ «إنها بخير، صغيرتي المسكينة. سوف تتحسن الآن».

ـ «أنت السبب في معاناتها».

ـ «أعرف ذلك، يا نيد! أعرف ذلك!» مدّ رجليه ونظر إلى حذائه وتابع يقول: «لا تظن انني فخور بما فعلت». وبعد فترة صمت غير طويلة قال: «أعتقد ـ أعرف ان أوبال تود ان تراك قبل سفرك».

ـ «ستودع أوبال وأمي بالنيابة عني، لأنني مسافر في قطار الرابعة والنصف».

رفع مادفيغ إليه عينين عكّرت الكآبة صفوهما وقال له بصوت أجشّ: «أنت على حق طبعاً، يا نيد، لكن ـ حسناً أنت على حق». ونظر إلى حذائه ثانية.

سأله نيد بومونت: «ماذا ستفعل بأتباعك الذين لم يعودوا موضع ثقة؟ هل ستدفع بهم إلى الخلف في وظائفهم؟ أم انهم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم؟».

ـ «تعني فار وسائر الجبناء؟».

ـ «أجل».

ـ «سألقنهم درساً لا ينسى». قال مادفيغ بإصرار، لكن بدون حماسة ولم يرفع نظره عن حذائه. سأدفع ثمن غلطتي أربع سنوات، لكنني سوف أنظف مؤسستي خلال هذه السنوات وسوف أنشيء منظمة قادرة على التماسك والبقاء».

رفع نيد بومونت حاجبيه وسأله: «ستحاول ان تهزمهم في الإنتخابات؟».

ـ «سوف أنسفهم جميعاً، اللعنة عليهم! شاد مات. سأترك رجاله يتولون شؤون المدينة للسنوات الأربع القادمة. لن يستطيع أي واحد منهم ان يبني كياناً قوياً لدرجة ان يثير مخاوفي. سأسترد المدينة في الإنتخابات المقبلة وأكون خلال هذه الفترة قد أعددت العدّة وكوّنت مؤسستي».

قال له نيد بومونت: «تستطيع ان تفوز في هذه الدورة».

ـ «بالتأكيد، لكنني لا أريد ان أفوز ومن حولي هؤلاء الأوغاد».

قال بومونت موافقاً: «الأمر يتطلب صبراً وشجاعة، لكن هذه هي أفضل طريقة لمتابعة اللعبة».

قال مادفيغ بتعاسة: «ولم يتبق لي سوى الصبر والشجاعة؛ لأنني لست شديد الذكاء». رفع نظره عن رجليه إلى المدفأة

وسأل بومونت بصوت غير مسموع تقريباً: «هل أنت مضطر للسفر يا نيد؟».

- «أجل».

بلع ريقه بصوت مسموع وقال: «لا تعتبرني أحمق أرجوك، لكنني أريد ان أطمئن أنك لست حانقاً عليَّ يا نيد، إذا سافرت أو بقيت في هذه المدينة».

- «لست حانقاً عليك يا بول».

رفع رأسه فجأة وسأله: «هل تمدّ يدك وتصافحني؟».

- «بالتأكيد».

نهض واقفاً وأمسك بيد نيد وكاد يحطمها من شدة قبضته. قال له: «لا تسافر يا نيد. إبق بجانبي. أنا محتاج إليك الآن. سأحاول جهدي لكي تعود الأمور إلى مجراها بيننا، وسأعوّض عليك ما فاتك».

هزّ بومونت رأسه وقال: «لست مديناً لي بشيء لكي تعوّض عليّ».

- «وهل تفكر في تغيير...».

هزّ بومونت رأسه ثانية وقال: «لا أستطيع. أنا مضطر للسفر».

ترك مادفيغ يد بومونت وجلس ثانية باكتئاب وقال: «أنت تنتقم مني».

حرك بومونت يده متضايقاً وقال: «ليست عندي أية نية للإنتقام». سكت وعضّ على شفته ثم قال بحدة: «جانيت هنا».

حدّق فيه مادفيغ.

فتحت جانيت هنري باب غرفة النوم وخرجت. كان وجهها شاحباً ومتعباً لكنها بدت واثقة من نفسها. مشت نحو بول مادفيغ وقالت له: «لقد تسبّبت لك بكثير من الأذى يا بول، أنا...».

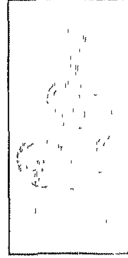
صار وجهه شاحباً مثل وجهها. وبدأ يسترد قوته تدريجياً؛ قال لها بصوت أجش: «لا تحاولي يا جانيت، لن تستطيعي ان تفعلي شيئاً...» وأضاف بضع كلمات غير واضحة.

تراجعت جانيت هنري وقد صدمتها ردة فعله.

قال نيد بومونت: «جانيت ستسافر معي».

فغر مادفيغ فاه ونظر كالأبله إلى نيد بومونت، وشحب وجهه ثانية. تمتم بضع كلمات لم يفهم منها سوى كلمة: «حظ» والتفت حوله بارتباك؛ وقف وتوجه نحو الباب، فتحه وخرج، وقد تركه مفتوحاً وراءه.

نظرت جانيت هنري إلى نيد بومونت الذي وقف يتأمل الباب المفتوح.



يقول الناقد الادبي في ملحق جريدة التايمس ان داشيل هاميت ارتقى بالحبكة القصصية في هذه القصة الى مستوى لم يسبقه ولم يصل اليه احد من قبل او من بعد.

ويعكس هاميت في هذه القصة عيوب المجتمع الاميركي والاقطاعي ويبرز ظاهرة الفساد والمحسوبية التي كانت سائدة في عصره.



1855132273